شرح
خطبة الإمام الرضا عليه السلام
في التوحيد والحكمة والمعرفة

تأليف

آية الله الميرزا حسن كوهر

تحقيق واخراج

خادم الإمام الحسين عليه السلام

معين الحيدري

حوزة ودار الأوحد ـ النجف الاشرف ـ الطبعة الثانية ١٤٤١

وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة

موقع الأوحد
Awhad.com

الأوحد
للثقافة والطباعة والنشر
النجف الأشرف ٠٧٨٠١١٣٥٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾

- الكتاب: شرح خطبة الإمام الرّضا عليه السلام في التوحيد.
- المؤلف: الميرزا حسن بن علي الشهير بـ: كَوهر / تحقيق معين الحيدري
- الطبعة: الثانية / حوزة ومكتبة ودار الأوحد للثقافة والطّباعة والنشر.
- محل وتاريخ الطبع: العراق / النجف الأشرف / ١٤٤١ هـ

شرح خطبة الإمام الرّضا عليه السلام

في التوحيد والحكمة والمعرفة

تأليف

آية الله الميرزا حسن كَوهر

تحقيق وإخراج

خادم الإمام الحسين عليه السلام

معين الحيدري

حوزة ودار الواحد - النجف الأشرف - الطبعة الثانية ١٤٤١

الإهداء

الى البدر الازهر...

والقمر الانور...

والعالم الاكبر...

والعارف الاقدر...

آية الله الولي المؤتمن...

الشيخ الميرزا حسن...

الأغلى من اللؤلؤ والجوهر...

والشهير ب: كَوهر...أعلى الله مقامه...

أهدي هذا العمل... مُعين الحيدري

مقدّمة التّحقيق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ محمّد وآله الطَّاهرينَ الْعضد، أمّا بَعْدُ: فَهَذِهِ رِسَالَةٌ عَمِيقَةٌ فِي مَبَاحِثِ التوحيد والحِكْمَةِ وَالْعِرْفَانِ الحقيقيّ فِي شرح خطبة عظيمة فِي التَّوْحِيدِ الإِلَهِي لِمَوْلانَا الإِمَامِ الرِّضَا عليه السلام لِهَذَا الْعَالِمِ الكَامِلِ، وَالْبَاذِلِ الْوَاصِلِ، آيَةِ اللهِ، الميرزا حَسَن بْن عَلِيّ الشَّهِيرِ بِـ: (كَوْهَر) أَعْلَى اللهُ مَقَامَهُ، وَهِيَ لَعَمْرِي مِنْ فَرَائِدِ الحِكْمَةِ فِي التَّوْحِيدِ.

أَخْرَجْنَاهَا لِيَنْتَفِعَ بِهَا المؤْمِنُونَ الطَّالِبُونَ الْوَاصِلُونَ، وَقَدْ قَابَلْنَاهَا عَلَى مَخْطُوطَةٍ نَرْمِزُ لَهَا بـ:(خ م) ونَرْمِزُ لِبَعْضِ الإِخْتِلافِ فِي النُّسَخِ بـ: (خ ل)

نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّمَامَ وَالْقَبُولَ وَالْفَائِدَةَ، وَنَشْكُرُ كُلَّ مَنْ سَاعَدَنَا فِي إِخْرَاجِهَا مِنَ المؤمنين، وكَتَبَ الْعَبْدُ المسكينُ الحيْدريّ الموسَويّ مُعِينٌ فِي النَّجَفِ الأَشْرَفِ وَالكُوفَةِ المقدّسَةِ.

الطبعة الأولى في شوال سنة ١٤٢٢ هـ.

وأعيد تنقيحها وطبعها في ج١ سنة ١٤٤١ هـ

موجز سيرة المؤلف

هو شيخ الحكماء والمتألهين، قدوة الفقهاء والمجتهدين، قوام الملّة والدّين، مرجع الفحول الأساطين، كاشف أسرار العلوم، وموضح مبهمات الرّسوم، العلاّمة الوحيد الأنور، المولى الميرزا حسن الشهير بـ: كَوهر.

كان عالماً، فاضلاً، حكيماً، محققاً، مدققاً، منطقياً، أصله من (قراجة داغ) من أذربيجان ومسقط رأسه (أوج دبين) قرية مِنْ قراه، ومنها النباتي الشاعر المعروف، قرء في النجف الأشرف على كثير مِنْ أساتيذ زمانه، ثم انتقل إلى كربلاء، وحضر عند ناموس الدهر، ووحيد العصر، أبي القرى الظاهرة، الشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين قدس سره، وكان ذلك عن طريق تلميذ الشيخ الأرشد، السيد الأمجد، الشهيد السعيد، السيد محمد كاظم الحسيني المدني الكربلائي قدس سره فلازم العالمين الجليلين، وكان وصيّ السيّد في جميع أموره من التّجهيز والتّغسيل وقضاء الدّيون والصّلاة عليه.

ووصفه السيد الشهيد آية الله محمد كاظم الحسيني الرّشتيّ قدس سره بـ: ((العالم الكامل، والفاضل العامل، ذا الفهم الثّاقب والرّأي الصّائب، اللّوذعيّ الألمعيّ، الوليّ المؤتمن، مولانا مُلاّ حَسَن، الشّهير بـ: كَوْهَر..[1])).

---

[1]. دليل المتحيرين لكاظم الرّشتي.

وكَانَ الرّادّ على كُلّ مَنْ أراد تشويه حقيقة فكر العالمين الجليلين الشيخ أحمد والسيد كاظم مِنْ مثل البابيّة وغيرهم، وأكبر دليل على هذا انّه تصدّى إلى هؤلاء مع بقية علماء مدرسة الشيخ الاوحد ومما يدل على هذا ما ورد في طبقات الشيعة وأعيان الشيعة وغيرها انّه ذهب مع الشيخ حسن بن جعفر كاشف الغطاء إلى بغداد لردّ داعية للباب وحكم بتكفيره.

وله تأليفات عجيبة ومهمّة جدّاً خصوصاً في الإلهيات والحكمة والمعرفة، تدلّ على يده الطولى في ذلك وانّه شرب من ذلك المعين الزّلال وفهم مكنونات الأسرار وجاس خلال تلك الديار لأنهُ عرف لحن القول في الأخبار الواردة عن السّادة الأطهار، عليهم سلام الله ما دجى ليل أو أسفر نهار، نذكر منها: كتاب اللّمعات، كتاب المخازن، كتاب شرح خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد وهو هذا، كتاب البراهين الساطعة، كتاب شرح حياة الأرواح، ومختصر شرح حياة الأرواح، وغيرها من التأليفات في الأصول والفقه، وله أشعار رائعة تدلّ على حسن ذوق في الأدب والبيان والبلاغة، ومنها قصيدة في رثاء شيخه وأستاذه الشيخ أحمد قدس سره منها:

قَـلّ أنْ سَـحّتْ دَمَـاً عَيْـ ـنَايَ طُـولَ الـدّهْرِ سَـرْمَدْ
لِنَعِـيّ الـرّزْءِ لَمّـا بَكّـرَ النّـاعِي وَأنْشَـدْ

قُلْتُ: مَنْ تَنْعَى؟ فَقَالَ: الطْ ... طُهْرَ زَيْنَ الدّينِ أحْمَدْ
مَنْ لَهُ شَمْلُ الْهُدَى وَالدْ ... دِينِ وَالدّنْيَا تَبَدّدْ
يَا سَمَاءً فِي لُحُودِ الْـ ... أرْضِ وَالتّرْبِ تَوَسّدْ
مَا سَمِعْنَا قَبْلَ ذَا أنْ ... نَ السّمَا فِي الأرْضِ تُلْحَدْ
أنْتَ ذَاكَ الْجَوْهَرُ الْفَرْ ... دُ الّذِي لا زَالَ مُفْرَدْ
مجْدُكَ السّامِي أشَادَ الْـ ... عِلْمَ فِي الدّنْيَا وَشَيّدْ
فَسَأَلْتُ الْفِكْرَ عَنْ تَأْ ... رِيخِهِ يَوْماً فَأنْشَدْ
فُزْتَ بِالْفِرْدَوْسِ فَوْزاً ... يَا بْنَ زَيْنِ الدّينِ أحْمَدْ

وفي آخر سنة مِنْ عمره الشريف توجّه إلى زيارة قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وقبور الأئمّة عليهم السلام وحَجّ البيت الحرام في سنة (١٢٦٦ هـ) فأجاب نداءَ ربّه ولبّاه في مكّة المكرمة ودفن في وادي قريش تحت درج الصفة المتصل بحائط حرم عبد المطلب وعبد مناف وأبي طالب وأرخ تاريخ وفاته بـ:(بِهِ غَابَ نُور)يساوي(١٢٦٦ هـ) قدس الله روحه الطاهرة.

نَصُّ إجَازَةِ الشيخ الأوحد قدس سره لَهُ

بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبّ العالمينَ، وصلّى الله عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهرين، أمّا بَعْدُ: فيقول العَبْدُ المسْكِينُ أحْمَدُ بنُ زَيْنِ الدّينِ الهجريُّ

الأحسائي: انهُ قَدْ عَرَضَ عليَّ الإبْنُ الأعَزُّ، العَالِمُ العَامِلُ، المؤْتَمَنُ الوَفِيُّ، الآخوندُ، الملاّ حَسَنُ بنُ علي الشّهير ب: كَوْهَر -أحْسن الله أحوالَهُ، وبَلّغَهُ آمَالَهُ، في مَبْدَئِه ومَآله، بِحُرْمَةِ مُحَمّدٍ وآله- رِسالَةً شَرِيفَةً، تَشْتَمِلُ عَلَى جُلِّ طُرقِ السّداد، وأصول الصّوابِ والرّشاد، منْ أحوال الْمَبْدَءِ والْمَعاد، تَهْدي الْحَقَّ وإلى طَرِيقٍ مُسْتقيم، قَدْ سَبَقَ فيها مَنْ كان قَبْلَهُ، وقصر عَنْ شَأوِها مَنْ رَامَ مُباهاتها بَعْدَهُ، ولَعَمْري؛ لَقَدْ نَطَقَ بلِساني، ووَعَى منْ مَعانيها بفَهْمِ جَنَاني، ووَضَعَ أساسَهَا وأرْكَانَها ببيانِ رَوْعِي وأرْكَاني، فَشَكَرْتُ اللهَ فَلَهُ الفَضْلُ والْمِنّةُ، حَيْثُ أحْيَى ببيانه هَذا مَا انْمَحَى منَ الْحَقِّ والسُّنّة، لمَا دَخَلَ عَلَيَّ منَ السُّرُور، بِمَا وَهَبَهُ لَهُ منَ الْحِكْمَةِ والنُّور، إلى يَوْمِ النّشُور، والْحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِينَ، وقَدْ أجزْتُ لَهُ -أحْسَنَ اللهُ تَوْفِيقَهُ- أنْ يَرْوِيَ عَنّي جَمِيعَ مَقْرُوآتي ومَسْمُوعَاتي، وجَمِيعَ مَا جَرَى بِهِ قَلَمي، وفَاهَ به كَلِمي، منْ جَمِيعِ مَا وُضِعَ منَ العُلُومِ، منَ الْمَنْشُورِ والْمَنْظُومِ، منْ عُلُومِ الأصُولِيِّينَ، ومَا ابْتَنى عَلَيْهِما منَ الْفُرُوعِ الْمُتَعَلّقَةِ بأحوال النّشْأتَيْنِ، مُشْتَرِطاً عَلَيْه ما اشترطَ عَلَيَّ منَ التّثَبُّتِ والإحْتِياط وسُلُوكِ طَرِيقِ التقوى والإنقطاعِ إلى الله تَعَالَى في كُلِّ حَال، وأنْ لا يَنْسَاني منَ الدُّعَاءِ في مَظانِّ الإجَابَةِ في حَياتي والْمَمَات، والْحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وكَتَبَ بيده الْجَانِيَةِ أحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الدّين، في ثامنِ ذي الْقَعْدَةِ منَ السّنَةِ التاسعَةِ والثّلاثينَ بَعْدَ المائتين والألف منَ الْهِجْرَةِ النّبويّةِ عَلَى مُهاجِرِها وآلِهِ أفْضَلَ الصّلوةِ والسّلام والْحَمْدُ لله (٨ ذو القعدة ١٢٣٩)

نصّ خطبة الإمام الرّضا عليه السلام

حدثنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد قال: حدثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن زياد القلزمي عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلوة بجدّة قال: حدّثني محمد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التّوحيد قال ابن ابي زياد: ورواه لي أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي -مولى لهم وخالاً لبعضهم- عن القاسم بن ايوب العلوي: أنّ المأمون لَمّا أراد أنْ يستعمل الرّضا عليه السلام على هذا الأمر؛ جمع بني هاشم فقال: إنّي أريد أنْ استعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم وقالوا: أتولي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلاً يأتنا فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن؛ اصعد المنبر وانصب لنا عَلَماً نعبد اللهَ عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فَقَعَدَ ملياً لا يتكلّم مطرقاً، ثمّ انتفضَ انتفاضة واستوى قائماً وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه وأهل بيته صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول انّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ مخلوق انّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران، وشهادة الإقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل، الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرّف بالتشبيه ذاته، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب مَنْ مثّله، ولا به صدّق مَنْ نهّاه، ولا صمده من أشار إليه، ولا إيّاه عنى مَنْ شبّهه، ولا له تذلّل مَنْ بعّضه، ولا إيّاه أراد مَنْ توهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول،

بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته، خلق الله الخلق حجاباً بينه وبينهم، ومباينته إيّاهم مفارقته إنّيتهم، وابتداؤه إيّاهم دليلهم على ان لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدء عن ابتداء غيره، وادوه اياهم دليل على ان لا اداة فيه، لشهادة الادوات بفاقة المتأدّين، واسماؤه تعبير، وافعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله، وقد اخطأه من اكتنهه، وَمَنْ قال: كيف؟ فقد شبّهه، وَمَنْ قال: لِمَ؟ فقد علّله، وَمَنْ قال: حتى؟ فقد وقّته، وَمَنْ قال: فيم؟ فقد ضمنه، وَمَنْ قال: إلى مَ؟ فقد نهّاه، وَمَنْ قال: متى؟ فقد غيّاه، وَمَنْ غيّاه فقد غاياه، وَمَنْ غاياه فقد جزّاه، وَمَنْ جزّاه فقد وصفه، وَمَنْ وصفه فقد ألحَدَ فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحَدٌ لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة مبائن، لا بمسافة قريب، لا بمداناة لطيف، لا يتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحول فكرة، مدبر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهِمَةٍ، مدرك لا بمجسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تصحبه الاوقات، ولا تضمنه الاماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحده الصفات، ولا تقيده الادوات، سبق الاوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف ان لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف ان لا ضد له، وبمقارنته بين الامور عرف ان لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجلاية بالبهم، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله تعالى: [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ][1] ففرّق بها بين قبل وبعد، ليعلم ان لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها ان لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها ان لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها ان لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الالوهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف؟ ولا تغيبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد فعالها، منعتها منذ القدمة، وحمتها

---

[1]. الذاريات / ٥٠

قد الازلية، وجنبتها لولا التكملة، افترقت فدلت على مفرقها، وتباينت فاعربت عن مباينها، لما تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، واليها تحاكم الاوهام، وفيها اثبت غيره، ومنها انيط الدليل، وبها عرفها الاقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالاقرار يكمل الايمان به، ولا ديانة إلاّ بعد المعرفة، ولا معرفة إلاّ بالاخلاص، ولا اخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع اثبات الصفات للتشبيه، فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه أو يعود إليه ما هو ابتدأه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولمَا كان للبارئ معنى غير المبروء، ولو حدّ له وراء إذاً حدّ له أمام، ولو التمس له التمام إذاً لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشيئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء، إذاً لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه، ليس في محال القول حجّة ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في اباء ته عن الخلق ضيم، إلاّ بامتناع الأزلي أن يثنى، وما لا بدء له ان يبدأ، لا إله إلاّ الله العليّ العظيم، كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالا بعيداً، وخسروا خسرانا مبيناً، وصلى الله على محمّد النبيّ وآله الطيّبينَ الطاهرينَ.

نصّ شرح خطبة التوحيد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ الأذلّ الأحقر ابن عليّ حسن الشّهير بكَوهر، تجاوز الله عن سيئاتهما وحشرهما مع ساداتهما بمحمّد وعليّ وآلهما:

إنّي لَمّا كنتُ في عنفوان الشّباب طالباً لسلوك مناهج الحقّ والصّواب، لقد نقّيت من العلوم علوماً، ورسمتُ منها رسوماً، فما زادني إلاّ بُعْداً عمّا كُنْتُ أنال، ويبعدني عن المنال، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أنْ أضرب آباط مطيّتي شرقاً وغرباً، كي ألاقي من المنيخين في فِنائهم ركباً، لعلّهم يهدونني المناخ، وأنْ اختار الإنزواء عن أبناء الدّنيا كما هو اختيار الأولياء، وبقيتُ في حرمان في بوادي الزّمان، ولا أهتدي سبيلاً، ولا أرى دليلاً، حتّى وفّقتُ للحضور بحضرة قطب رحى الهداية، المقتبس أنواره من فاضل أشعّة نيّر فلك الولاية، السّيّد السّند والكهف المعتمد، عمدة الأفاضل والأعاظم السّيد كاظم -أطال الله بقائه وسلّمه وأبقاه- فَرَوّاني مِنْ صافي زلاله السّلسبيل، وهداني إلى خير السّبيل، فبقيت أطفي نيران جناني بما سقاني، إلى أنْ تشرّفت بحضور استاده الأعظم عماد الإسلام والمسلمين، وركن المؤمنين الممتحنين، منتهى سلوك السالكين العارفين، الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الأحسائيّ -أطال الله بقاه وجعلني في كلّ مكروه

ومحذور فداه[1]- فبقيت أتشرّف في حضرة قدسه، وأستأنس بقدس أنسه، فبلغت ما بلغت به ومن فاضل أشعته، حتى روّيت من الكؤوس أصفاها، ومن المشارب أحلاها، فخمدت منها ما تلظّى من النّيران في الحشا وذلك فضل الله يؤتيه من يشا، فبينما كنت كذلك أطفقت أنْ أبيّنَ المسالك للسالكين حتى لا يتيهون في تيه المهالك، فحيث أردتُ التبيان من بدايع معاني أرباب البيان وقفتُ على خطبة لمولانا الرّضا -عليه وعلى آبائه وأبنائه وجدّته آلاف التحية والثنا- في بيان التوحيد، ولعمري إنّها خطبة جامعة لِلُبَابِ الْمعارف الإلهيّة، ظاهرها أنيق، وباطنها عميق، مشتملة على بيان تنزيه الخالق، بما لا يطيقه أحد من الخلائق، فرأيتُ أنْ أبيّنَ ما أراد عليه السلام لأهل الحقّ وأهديهم لِمَا هو الحقّ طالباً لمرضات الله ومستعيناً به إنهُ وليّ الهداية وإليه المرجع في البِداية والنّهاية:

روى الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن زياد القذمي عن محمد بن أبي زياد الجدّي صاحب الصلاة بجَدّة قال: حدثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لي وأملى أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي -مولى لهم وخالاً لبعضهم- عن القاسم بن أيّوب العلويّ: إنّ المأمون لمّا أراد أنْ يستعمل الرّضا عليه السلام جمع بني هاشم فقال: إنّي أريد أنْ أستعملَ الرّضا على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم وقالوا: أتولّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه رجلاً يأتنا به، فترى من جهله ما تستدلّ به عليه، فبعث فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن؛ إصعد المنبرَ وانصبْ لنا عَلَماً نعبد الله عليه، فصَعَدَ عليه السلام المنبرَ فقَعَدَ مَليّاً لا يَتكَلّمُ مُطرِقاً، ثمّ انتفَضَ انْتِفَاضَةً وَاستوَى قائِماً وَحَمَدَ اللهَ وَأثنَى عَلَيهِ وَصَلّى عَلَى النّبيّ وَأهلِ بَيتِهِ (صلى الله عليه وآله) ثمّ قَالَ سَلامُ اللهِ عَلَيهِ:

---

[1]. مِنْ هذا يستشف أنه قدس سره كتبها في حياتهما أعلى الله مقامهما.

قَالَ عليه السلام : ﴿أوّلُ عِبادَةِ اللهِ مَعْرِفَتُهُ﴾

(إعْلَمْ يا أخي وفّقك الله لعبادته)؛ إنّ العبادة عبارة عن تخليص المفترضات والسّنن، فَمَنْ أدّاهما بالتّخليص فَهُوَ عَبْدٌ لله.

❖وقال مولانا الصادق عليه السلام: ﴿ألْعَبْدُ ثَلثَةُ أحْرف؛ العينُ عِلْمُهُ بِاللهِ وَالْبَاءُ بَوْنُهُ عَنِ الخَلْقِ وَالدّالُ دُنوّهُ مِنَ الخَالِقِ بِلا إشَارَةٍ وَلا كَيْف﴾[1].

وهذا لا يكون إلاّ بأداء الواجبات والمستحبات بالإخلاص، فإنّ الإخلاص روح العمل، والعمل بلا إخلاص جسد لا حراك له، فالمركب منهما هو العبادة، والإخلاص هو توجه العبد إلى الله بكلّه:

❖قال عليه السلام: ﴿أعْبدِ اللهَ كَأنّكَ تَرَاهُ فَإنْ كُنْتَ لا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ﴾[2].

فإنْ كُنْتَ عَبْداً لله -كما وصفنا لك- كان قلبك محلّ ظهور عظمة الله سبحانه ومهبط فيوضاته ومقرّ جلاله كما قال عزّ مَنْ قائل: ﴿مَا وَسِعَني أرْضِي وَلا سَمَائِي بَلْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ﴾[3].

---

[1]. في مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام المطبوع الآن: (..وحروف العبد ثلاثة: ع ب د، فالعين علمه بالله، والباء بونه عمّن سواه، والدّال دنوّه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب).

[2]. في مصباح الشريعة وفي الأمالي للطوسي وأعلام الدين للديلمي ومجموعة ورّام لورّام بن أبي فراس وغيرها: (يا أبا ذر؛ أعبدِ اللهَ كأنك تراه فإنْ كنتَ لا تراه فإنه عز وجل يراك) وفي المحاسن للبرقي وغيره: (قال عليه السلام: خوف الله في السر كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

[3]. عوالي اللالي لابن ابي جمهور الاحسائي وبحار الأنوار للمجلسي.

فإنّ في العبوديّة أسرار[1] خفيّة لا يطلّع عليها إلاّ مَنْ أخلص لله العبادة، لأنّ العبوديّة كنهها الرّبوبيّة كما قال عليه السلام: ﴿الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوبِيَّةُ، فَمَا فُقِدَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَا خَفِيَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ، قال الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[2]، أي: مَوْجُودٌ فِي غَيْبَتِكَ وَحَضْرَتِكَ﴾[3]، انتهى.

وما نعني من الرّبوبيّة إلاّ الّتي ظهرت في العبودية بها، لا ما ادّعتهُ الصّوفيّةُ حيث قالوا: إنّ كنه العبد هو الرّبّ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فالعبد بالعبادة يفوز، وهي لا تتحقق إلاّ بالإخلاص.

وأدنى حدّ الإخلاص؛ بذل العبد طاقته، ثمّ لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافأة لعلمه[4] بأنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبودية لعجز.

وذلك لا يحصل إلاّ بالمعرفة ولذلك قال عليه السلام: ﴿أَوَّلُ عِبَادَةِ اللهِ مَعْرِفَتُهُ﴾.

(والمعرفة)؛ أصل الأصول، ومبدأ المبادي وعلّة ما خلق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ﴾[5].

---

[1]. (كذا في المخطوطة، والصحيح: أسراراً)

[2]. فصلت / ٥٤

[3]. مصباح الشريعة المنسوب للامام الصادق عليه السلام وتفسير الصافي والاصفى لمحسن الكاشاني وغيرها.

[4]. (كذا في المخطوطة ربما الصحيح : لعمله)

[5]. مشارق أنوار اليقين للبرسي ورسائل الكركي علي بن الحسين الكركي ت ٩٤٠ هـ والكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

فعلّلَ خلقه الخلقَ بالمعرفة، فلولا المعرفة لَمَا كان ما كان، وهي نور غيبيّ ينزل من سماء الإطلاق إلى غيب القلب المعبر عنه بـ: (الفؤاد):

◆كما قال الصادق عليه السلام: ﴿وَإِذَا تجلّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبَّةِ وَاسْتَأْنَسَ فِي ظِلالِ الْمَحْبُوبِ وَآثَرَ مَحْبُوبَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ﴾[1].

فمن المعرفة تنتج المحبة التي قال: ﴿لَيْسَ لِمَحَبَّتِي غَايَةٌ وَلا نِهَايَةٌ﴾[2].

◆وقَالَ: ﴿ما زَالَ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ﴾[3]، انتهى.

فالمعرفة أصل كلّ أصل، ويتفرع منها الخوف والرّجا، فإذا عرف الله وعظمته وجلاله وكبريائه خاف من سلطانه ومن مكره، لأنهُ لا يُأمَنُ مِنْ مكره.

فإذا خاف الرّبّ عمّا نهاه عنه، وأخذ طريق عبادته فبذلك نجى.

---

[1]. في مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام المطبوع الآن: (..وَإِذا تَجَلّى ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْفُؤَادِ هَاجَ رِيحُ الْمَحَبّةِ، وَإِذا هَاجَ رِيحُ الْمَحَبّةِ وَاسْتَأنَسَ فِي ظِلالِ الْمَحْبُوبِ وَآثَرَ الْمَحْبُوبَ عَلَى مَا سِوَاهُ..)

[2]. إرشاد القلوب للديلمي وفي الجواهر السّنيّة في الأحاديث القدسية للحر العاملي هكذا: (وليس لمحبتي غاية ولا نهاية..) وفي بحار الأنوار للمجلسي عن كتاب إرشاد الديلمي هكذا: (..وليس لمحبتي عَلَمٌ ولا غاية ولا نهاية..) وفي هامش البحار: (عَلَمٌ) بفتحتين كناية عن عدم المحدودية.

[3]. في الكافي للكليني: عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام قال: (...وَمَا يَتقَرّبُ إِلَيّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْئٍ أحبّ إِلَيّ مِمّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وإِنّهُ لَيَتَقَرّبُ إِلَيّ بِالنّافِلَةِ حَتّى أحِبّهُ، فَإِذَا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ إِذاً سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الّذِي يَنْطقُ بِهِ وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَاني أجَبْتُهُ وَإِنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ).

◆وفي علل الشرايع للصدوق: عن هشام عن أنس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: (..وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتهل إليّ حتّى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤئلاً، إنْ دعاني أجبته وأن سألني أعطيته) وروي بطرق وألفاظ في كتب عديدة.

ثمّ إنْ بدا له من رحمة الله وسعة فضله وقلّة عبادته وقلّة شكره إيّاه، ومع ذلك يتفضّل عليه من فضل سعته يحصل له الرّجا.

وإذا وجد حلاوة الرّجا طلب، وإذا طلب وجد.

ثُمّ إذا بدا له مِنْ سرّه بعد تحقّق الخوف والرّجا كان معه في كلّ لحظة وآن، فلا يشتهي طعاماً ولا شراباً.

◆قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَظَمَتَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الكَلامِ وَبَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَعَنَى نَفْسَهُ بِالصَّلاةِ وَالصِّيَامِ، قِيلَ: هَؤلاءِ أَوْلِيَاءُ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ عليه السلام: إنّ أَوْلِيَاءَ اللهِ إنْ نَطَقُوا كان نُطْقُهُمْ حِكْمَةً وإذَا سَكَتُوا كان سُكُوتُهُمْ فِكْرَةً، وإذَا نَظَرُوا كان نَظَرُهُم عِبْرَةً، لَوْلا الآجَالُ الّتي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرّ أَرْوَاحُهُمْ في أَبْدَانِهِمْ شَوْقاً إلى الثّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ﴾[1] انتهى.

فإذا داوم هذا يبدو له سرّ المحبة الّتي هي المعرفة الحقيقية، فيكون عارفاً للحقّ بالحقّ لا بغيره، كما قال عليه السلام: ﴿إعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ﴾[2].

فيشاهده بما ظهر له به، ولله درّ مَنْ قال:

---

[1]. الكافي للكليني وروضة الواعظين للفتال النيسابوري واعلام الدين للديلمي والتحصين لابن فهد الحلي وغيرها، في الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: (مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الكَلامِ، وَبَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَعَنَى نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، قَالُوا: بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَؤلاءِ أَوْلِيَاءُ اللهِ؟ قَالَ: إنّ أَوْلِيَاءِ اللهِ سَكَتُوا فَكَانَ سُكُوتُهُمْ ذِكْراً، وَنَظَرُوا فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً، وَنَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً، وَمَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً، لَوْلا الآجَال الّتي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقرّ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ خَوْفاً مِنَ الْعَذَابِ وَشَوْقاً إلى الثّوَابِ).

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق وروضة الواعظين للفتال النيسابوري وغيرها.

إذَا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً ... وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا

أعَارَتْهُ طَرْفاً رَآهَا بِهِ ... فَكَانَ الْبَصِيرُ بِهَا طَرْفُهَا

فيعرفه بما عَرّفَه نفسه به، فيكون مصداق قول مولانا الصادق عليه السلام: ﴿ألْعَارِفُ شَخْصُهُ مَعَ الخلْقِ وَقَلْبُهُ مَعَ الله، وَلَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ الله طَرْفَةَ عَيْنٍ لَمَاتَ شَوْقاً إلَيْه، وَالْعَارِفُ أمينُ وَدَائِعِ الله، وكَنْزُ أسْرَارِه، وَمَعْدنُ نُورِه، وَدَليلُ رَحْمَتِه عَلَى خَلْقِه، وَمَطِيَّةُ عُلُومِه، وَميزَانُ فَضْلِه وَعَدْلِه، قَدْ غَنَى عَنِ الخلْقِ وَالْمُرَادِ وَالدّنْيَا، فَلا مُؤْنِسَ لَهُ سوَى الله، وَلا نُطْقَ وَلا إشَارَةَ وَلا نَفَسَ إلاّ بِالله، وَلله وَمِنَ الله وَمَعَ الله، فَهُوَ في رِيَاضِ قُدْسِه مُتَرَدّدٌ، وَمِنْ لَطَائِفِ فَضْلِه مُتَزَوّدٌ، وَالمعْرِفَةُ أصْلٌ فَرْعُهُ الإيمانُ﴾[1].

[1]. مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام.

قَالَ عليه السلام : ﴿وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَوْحِيدُهُ﴾

(ألتّوحيد)؛ عبارة عن صفة الموحِّد -اسم مفعول- وقائم به قيام ركن، وهو ينقسم باعتبار الموحدين إلى قسمين: توحيد الحقّ وتوحيد الخلق.

(فتوحيد الحقّ نفسه)؛ عبارة عن نفسه بلا مغايرة، فالموحِّد والموحَّد والتوحيد شيئ واحد، لا تعدّد فيه لا حقيقة ولا اعتباراً، لأنهُ هو ذاته المقدسة.

(وأمّا توحيد الخلق)؛ فهو ينقسم إلى أربعة أقسام:

(توحيد الذّات وتوحيد الصّفات وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة)

(أمّا توحيد الذّات)؛ فهو عبارة عن الوصول إلى حقيقة النّفس، ويعبّر عنها بـ: (البيان)، فتعرفه بأنّه ليس كمثله شيئ وتوحّده، ولا يحصل ذلك إلاّ عند كشف سبحات الجلال بلا إشارة:

❖كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي حين سأله عن الحقيقة: ﴿فقَالَ عليه السلام: مَا لَكَ وَالحقِيقَةَ؟ قَالَ: أوَ لَسْتُ بصَاحِبَ سِرّكَ؟ قَالَ عليه السلام: بلى؛ ولَكِنْ يَرْشَحُ عليك -الذي في حفظي: ولكن يطفح عَلَيْكَ مَا يَرشَحُ مِنّي، وهو من المعنى المراد أقرب- قَالَ: أوَ مِثْلُكَ يُخَيّبُ سَائلاً؟ قَالَ عليه السلام: ألحقِيقَةُ؛ كَشْفُ سُبُحَاتِ الجلالِ مِنْ غَيْرِ إشَارَةٍ، قَالَ: زِدْنِي بَيَاناً؟ قَالَ عليه السلام: محوُ الْمَوْهُومِ وَصَحْوِ الْمَعْلُومِ، قَالَ: زِدْني بَيَاناً؟ قَالَ عليه السلام: هَتْكُ السّتْرِ لِغَلَبَةِ السرّ، قَالَ: زِدْنِي بَيَاناً؟ قَالَ عليه السلام: جَذْبُ الأحَدِيّةِ لِصِفَةِ التّوْحِيدِ، قَالَ: زِدْنِي بَيَاناً؟ قَالَ عليه السلام: نُورٌ أشْرَقَ مِنْ صُبْحِ الأزَلِ فَيَلُوحُ عَلَى هَيَاكِلِ

التّوْحِيدِ آثَارَهُ، قَالَ: زِدْنِي بَيَانَاً؟ قَالَ عليه السلام: أَطْفِئِ السِّرَاجَ فَقَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ﴾[1]، انتهى، وهي عبارة عن معرفة النّفس الّتي هي عين معرفة الرّبّ: كما قال عليه السلام: ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ﴾[2]، وقال عليه السلام: ﴿أَعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ﴾[3]، وهذا لا يحصل إلاّ للأقلّين الّذين قَالَ الصادق عليه السلام فيهم: ﴿ألمؤمن أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ، وَهَلْ وَجَدَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْكِبْرِيتَ الأَحْمَرَ﴾[4].

فيا شوقاه إلى رؤيتهم، وهنا أسرار عجيبة يضيق بإظهارها سطري، ولا يضيق بكتمانها صدري، فلنقبض العنان فللحيطان آذان، ولا قوّة إلاّ بالله.

(وأمّا توحيد الصّفات)؛ فهو أنْ توحّده سبحانه وتفرّده بصفاته ولا تشارك أحداً معه فيها.

والصّفات على ضربين: (ذاتيّة، وفعليّة).

---

[1]. جامع الاسرار لحيدر الآملي والكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني وفي منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي: نقله العارف المذكور في جامع الأسرار (يعني: حيدر الآملي) وشرحه في عدّة مواضع من ذلك الكتاب، والعلاّمة الشّيخ البهائي في الكشكول والقاضي نور الله الشهيد نوّر الله مرقده في مجالس المؤمنين والعارف الشّيخ عبد الرزاق اللاّهجي في شرح گلشن راز والخوانساري في روضات الجنّات والمحدّث القمّي في سفينة البحار وغيرهم...وشرحه العلاّمة قطب الدين الشيرازي في رسالة معمولة في ذلك فقط.

[2]. (يقول) العبد المسكين معين: ورد هذا الحديث في مصادرة كثيرة من الفريقين ومنها: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي والمناقب للخوارزمي وعيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي (قرن السادس) وعوالي اللآلي لابن ابي جمهور الاحسائي وتفسير الصافي لمحسن الكاشاني وبحار الأنوار للمجلسي وتفسير الكشف والبيان للثعلبي وتفسير البغوي وتفسير البيضاوي وتفسير الرازي وغيرها من المصادر الكثيرة.

[3]. الإقتصاد للطوسي ومتشابه القرآن لابن شهر آشوب وجامع الأخبار لمحمد بن محمد السبزواري وروضة الواعظين للفتّال النيسابوري وغيرها ومن كتب العامة: تفسير حقي.

[4]. في الكافي للكليني:المؤْمِنَةُ أعَزّ مِنَ المؤْمِنِ وَالمؤْمِنُ أعَزّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأحْمَرِ..الحديث.

(فالصّفات الذّاتيّة)؛ هي عين الذّات، بلا مغايرة ولو بالإعتبار، لا مفهوماً ولا مصداقاً ولا تحقّقاً ولا اعتباراً، فهي هو سبحانه.

(والصّفات الفعليّة)؛ هي غير الذّات، والمفارق لهما أنّ كلّ صفة يتصف الحقّ بصفة نقيضه فهو من صفات الأفعال كالخالق والرازق وكلّما[1] يتصف الحقّ بصفة نقيضه فهو صفة الذّات كالعالم والسّميع والبصير والقادر وما يضاهيها.

(وأمّا توحيد الأفعال فهو)؛ أنْ تفرّده في أفعاله الصادرة عنه بها، أي: بنفسها من غير مشاركة أحد في إيجادها لا تكويناً ولا تشريعاً.

(وأمّا توحيد العبادة فهو)؛ أنْ توحّده في عبادتك ولا تشارك معه أحداً في العبادة، كما يوجد في كثير من النّاس من عمل الرّيا وغيره: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[2].

ووجه آخر لبيان توحيد الصّفات والأفعال والعبادة وهو: ما قاله الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي في بيان التوحيد:

﴿مَعْرِفَةُ الْبَيَانِ أَوّلاً، وَمَعْرِفَةُ الْمَعَانِي ثَانِياً، وَمَعْرِفَةُ الأَبْوَابِ ثَالِثاً، وَمَعْرِفَةُ الإِمَامَةِ رَابِعاً﴾[3].

وفيه سرّ مجلّل بالسرّ، وهو يظهر من كلام الرّضا عليه السلام:

---

[1]. (كذا في المخطوطة والظاهر وجود سقط وهو: لا، أي: وكلما لا يتصف..الخ)

[2]. الكهف / ١١١

[3]. الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي.

﴿مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ بِشَرْطِهَا وَشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا﴾[1]، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2].

(ثمّ اعلم): إنّ توحيد الخلق بأقسامها حقّ في رتبة الخلق لا في رتبة الحق.

لأن الحقّ هو المجهول المطلق، والمعلوم الحقّ، فلا يقع عليه صفته ولا حدّ، والممكن لا يتجاوز عمّا وراء مبدئه، وكلّ يقرء حروف نفسه، فاحتفظ بهذا إنْ كنت من أهله، وكلّ ذلك في رتبة الأحديّة شِرْكٌ، ونِعْمَ ما قيل: (مَا وَحَّدَ الوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ)، ولكن في رتبة الخلق توحيد حقّ: ﴿وَرُبَمَا تَزْعُمُ النَمْلَةُ أَنَّ للهِ زَبَانِيَتَيْنِ﴾[3]، وذلك في صقعها توحيد، ولذلك قال بعض أهل المعرفة: (توحيد الحقّ للحقّ بالحقّ حقّ، وتوحيد الخلق للحقّ بالحقّ خلقٍ).

---

[1]. في عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: (عن إسحاق بن راهويه قال: لَمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله؛ ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فاطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلاّ الله حصني فَمَنْ دخل حصني أمن من عذابي، قال: فلمّا مرّت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها)

[2]. ق / ٢٣

[3]. الرواشح السماوية للداماد، وفي بحار الأنوار للمجلسي: (عن الإمام الباقر عليه السلام: كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعلّ النّمل الصّغار تتوهم أنّ لله تعالى زبانيتين، فإنّ ذلك كمالها ويتوهم أنّ عدمها نقصان لِمَنْ لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به)

قال عليه السلام: ﴿نِظَامُ تَوْحِيدِ اللهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ﴾

والتّوحيد -على ما أسلفناه لك- لا يتمّ ولا يتحقّق إلاّ بعد نفي الصّفات عنه، كما قال عليّ عليه السلام: ﴿كَمَالُ التَّوْحِيدِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، بِشَهَادَةِ كُلّ صِفَةٍ أنّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ﴾[1].

فإنّ الذّات منزّه عن الصّفات وعمّا يقع في الأوهام، ضلّت فيه الصّفات وتفسخت دونه، لأنّك إذا وصفته بشيئ واعتبرته فيه فلم تكن موحّداً، لأنّك أثبتّ معه غيره، وإذا أثبتّ معه غيره[2] فقد أشركت فيه تعالى عن ذلك ربّي علوّاً كبيراً.

---

[1]. التوحيد للصدوق.

[2]. (واذا أثبتّ معه غيره، غير موجودة في خ م)

قال عليه السلام: ﴿لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أنّ كُلّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٍ، وَشَهَادَةِ كُلّ مَوْصُوفٍ أنّ لَهُ خَالِقاً لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلا مَوْصُوفٍ وَشَهَادَةِ كُلّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالإقْتِرَانِ وَشَهَادَةِ الإقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ وَشَهَادَةِ الْحَدَثِ بِالإمْتِنَاعِ مِنَ الأزَلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدَثِ﴾.

(أقول): إنّ مولنا الرّضا عليه السلام جَمَعَ في هذه العبارة جميع مراتب التّنزيه، ولعمري؛ إنّها جوامع الحكم، لأنّ العقول السّليمة تشهد بأنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، لأنّ الّذي يدركه العقل وثبت له الصّفات هو غير الذّات لأنّ العقل مخلوق، والمخلوق لا يدرك إلاّ المخلوق، لعدم وجودِ المناسبة بين المدرِك والمدرَك بفتح الرّاء المهملة.

(بل أقول): لا يصحّ الإدراك لمدرِك إلاّ ويكون المدرك في رتبة المدرَك، وإلاّ لم يدركه، كما أنّ بصرك لا يبصر إلاّ الأجسام، لأنّهُ جسم والجسم لا يدرك إلاّ الجسم، وهكذا النّفس والرّوح، والعقل وكلّ ما لا يمكن في رتبة الإدراك لا يحيط به الإدراك أبداً.

فإذا صحّ ذلك فكلّ موصوف يشهد على أنّه غير الذات، وغير الذات لا يوجد إلاّ بإيجاد الذّات إيّاه، فصحّ أنّه ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالإقتران، فلولا الإقتران لم يكن الشّيئ موصوفاً بالصّفات، فيستلزم الإقتران وإلاّ لم يكن موصوفاً، فإذا صحّ الإقتران شهد بحدوثه كما قال عليه السلام: ﴿وَشَهَادَةِ الإقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ وَشَهَادَةِ الْحَدَثِ بِالإمْتِنَاعِ مِنَ الأزَلِ

الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدَثِ﴾، فإذاً لا يوصف الذّات بتوصيف، ولا يعرف بتعريف، نِعْمَ مَا قَالَ ابن أبي الحديد:

يا مبدع الأكوان لست لسرّك المكنون أجحد
تاه الأنام بسكرهم فلذلك صاح القوم وعربد
ونجى من الشرك الكثيف مهذّب العزمات مفرد
تالله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمّد
كلاّ ولا النّفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
عرفوا ولا جبريل وهو إلى محلّ القدس يصعد
من كنه ذاتك غير انك أوحديّ الذّات سرمد
وجدوا إضافاتاً وسلباً والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجوداً واجباً يفنى الزّمان وليس ينفد
الحكماء عن عرش له الأملاك سجّد
من أنت يا أرسطو ومن إفلاطون قبلك يا مبلّد
ومن ابن سينا حين قرّر ما بناه له وشيّد
ما أنتم إلاّ الفراش رأى الشهاب وقد توقد
فدنى فأحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعد

فالحادث لا يدرك إلاّ الحادث، ولا يدرك القديم بوجه من الوجوه، وأين الثريا من يد المتناول.

(ولا يقال): فإذا كانت كما قلت يلزم نفيه لأنّا لا ندرك إلاّ الممكن.

(لأنّي أقول): إنّما أنت تعرف الذّات وتعني بما توصف به الذّات لا غير، وأنت تعرفه بما عرف نفسه لك بك، وتصفه بما وصف نفسه لك بك، فنفسك هي الأنموذج الفهوانيّ الّذي ألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله:

قال عليه السلام: ﴿تجلّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا﴾[1].

وكلّ ذلك صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إِنْ قُلْتَ: هُوَ هُوَ، فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ كَلامُهُ وَخَلْقُهُ، وَإِنْ قُلْتَ: الْهَوَاءُ صِفَتُهُ، فَالْهَوَاءُ مِنْ صُنْعِه، صِفَةُ اسْتِدْلالٍ عَلَيْهِ لا صِفَةَ تَكْشِفُ له، رَجَعَ مِنَ الْوَصْفِ إِلى الْوَصْفِ، وَدَامَ الْمَلِكُ فِي الْمُلْكِ، فَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ مَسْدُودٌ وَالطَّلَبُ مَرْدُودٌ دَلِيلُهُ آيَاتُهُ وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ﴾[2].

وقال سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة: ﴿يا مَنِ اسْتَوى بِرَحْمانِيَّتِه عَلَى الْعَرْشِ فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِه، كَمَا أَنَّ الْعَوالِمَ صَارَتْ غَيْباً فِي عَرْشِه، مَحَقْتَ الآثارَ بِالآثارِ، وَمَحَوْتَ الأَغْيارَ بِمُحيطاتِ أَفْلاكِ الأَنْوارِ﴾[3].

فالأثر يدل على المؤثر بما أثر فيه بنفسه وكذلك الدليل والمدلول.

وإذا أردت كشف النقاب عن وجه الصواب فاستمع لِمَا يتلى عليك من الخطاب ولا قوّة إلاّ بالله:

---

[1]. نهج البلاغة وشرح النهج لابن ابي الحديد وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

[2]. ملحق نهج البلاغة لاحمد بن ناقة الكوفي خطبة الدرة اليتيمة ص ٣٨

[3]. في إقبال الأعمال لابن طاوس –المطبوع الآن– هكذا: (يا مَنِ اسْتَوى بِرَحْمانِيَّتِهِ، فَصارَ الْعَرْشُ غَيْباً في ذاتِهِ، مَحَقْتَ الآثارَ بِالآثارِ، وَمَحَوْتَ الأَغْيارَ بِمُحيطاتِ أَفْلاكِ الأَنْوارِ)، وفي البحار عنه مثله.

(إعلم)؛ إنّ الدّليل هو عين المدلول لأنّ المدلول لا يكون إلاّ في رتبة الدّليل، وكذلك الأثر والمؤثر، لا انّ ذات المدلول عين ذات الدّليل، ولا ذات المؤثر هو عين ذات الأثر، لأنّ ذات المؤثر من حيث ذاته لا يكون مؤثراً ومؤثريته لا يكون إلاّ في رتبة الأثر، وكونه مؤثراً لا يتحقق إلاّ بالتأثير.

فمبدء اشتقاق المؤثرية هو التأثير لا غير، والمشتق قائم بمبدئه قيام ركن وتحقّق، والمشتق مركب من المبدأ وأثره، كقولك: (زيد ضارب).

فإنّ الضّاربيّة لا تتحقّق إلاّ بالضرب، ومشتق من الضّرب، ومركب من الضرب، وما يترتب عليه من الضّرب، وشتّان بين الضّارب وذات زيد إلاّ انّه هو الضّارب في هذه الرّتبة، فكذلك المؤثر.

وقولي: (الذات هو المؤثر في رتبة الأثر).

أريد: نفي التّعطيل في الذّات لا غير، فافهم راشداً.

قَالَ عليه السلام: ﴿فَلَيْسَ اللهَ مَنْ عَرَفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ﴾[1]

يعني: انّ الّذي يعرف بالتشبيه فهو ليس القديم، إذ القديم منزّه عن التّشبيه بالحوادث، وإلاّ لكان حادثاً، لأنّ شبيه الحادث حادث.

والقديم -سبحانه- أجراه ببديع صنعه، ولا يجري عليه ما هو أجراه، وكلّما يجب في الخلق يمتنع في الله.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا إِيّاهُ وَحّدَهُ مَنِ اكْتَنَهَهُ﴾

(يعني): لا يكون موحداً له مَنْ يكتنهه، لأنّهُ مجهول النّعت وذات ساذج لا يعرف كنهه، والكنز المخفي، فلا يطلع عليه إلاّ هو، واطلاعه على نفسه هو نفسه بلا مغايرة، كما أنّ علمه بنفسه هو نفسه، يعني: ليس شيئ غيره في أزله.

(وقولنا): (في أزله)، لا يتوهم أنّ الأزل عبارة عن ظرف الذّات، فيكون مظروفاً كما زعمه الطوائف، حيث قالوا: إنّ الأزل ظرف الذّات وهو في الأزل، حتى وردت عليهم الشّبهات في التّوحيد، وتاهوا في تيه الضّلال، بل الأزل هو الذّات، كما سنبينه إنْ شاء الله تعالى.

---

[1]. في التوحيد: فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا حَقِيقَةً أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ﴾

أي: لا يصيب[1] حقيقة ذاته المقدسة مَنْ شبّهه، أو لا يصيب ذاته مَنْ عَرَفَهُ بالمثل، أو لا أصاب ذاته مَنْ ضرب له الأمثال، أو لم يصيب كنهه مَنْ ضربت له الأمثال في حقيقته، أو لم يصيب ذاته مَنْ مثّله بالأمثال، لأنّهُ تقدّس عن ضرب الأمثال له، أو يعرف له مثل، أو يعرف بالمثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ﴾[2].

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا بِهِ صَدَّقَ مَنْ نَهَّاهُ﴾

(يعني): لا يكون مصدقاً به مَنْ جعل له حدّاً ونهّاه، فحينئذ يكون محدوداً، فيلزم تركيبه، لأنّ التّصديق به لا يصحّ إلاّ بالتّصديق بما وصف نفسه، وهو سبحانه وصف نفسه بالتّنزيه عمّا يقع في الأوهام والعقول من التّحديد والتّشبيه والتّقييد والتّركيب وما يضاهيها، فليس له غاية ولا نهاية، وهو الأوّل بلا أوّل، والآخر بلا آخر، فآخريته عين أوليته وأوليته عين آخريته، سبحان مَنْ حارت الأوهام في أمواج تيار إدراكه، وظلّت الأحلام عن إحاطة ذكر أزليته، فهو كما قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

---

[1]. في المخطوطة: يصيب، وهو اشتباه من الناسخ والصحيح ما أثبتناه.

[2]. الشورى / ١٢

[3]. الصافات / ١٨١

قال عليه السلام: ﴿ولا صَمَدَ صَمَدَهُ مَنْ أشَارَ إلَيْهِ﴾

(يعني): ولا قصد نحوه مَنْ أشار إليه بالحواس الظّاهرية والباطنيّة، لأنّهُ غائب عن حواس المخلوقين، وأمّا قولك: (هو)؛ ألْهَاءُ إشارة إلى تثبيت الثابت، والواو إلى أنّهُ غائب عن الحواس، ويقال: الصّمد للسيّد الّذي ليس فوقه أحد، فيكون المعنى: ولا أقر بكونه فوق كلّ شيئ ولا شيئ فوقه مَنْ أشار إليه، ويقال: الصّمد، للسّيد المطاع في قومه، الّذي لا يقضون أمراً دونه، كما قال الشاعر:

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمّ قُلْتُ لَهُ: خُذْهَا حُذَيْفَةُ أنْتَ السّيّدُ الصّمَدُ

ويقال: الصّمد، للمصمود إليه في حوايج النّاس، كما يقال: صمدت صمد هذا الأمر، أي: قصدتُ قصده، وقال أبو طالب في قصيدة مدح النّبيّ (صلى الله عليه وآله):

وَبِالْجَمْرَةِ الْقُصْوَى إذَا صَمَدُوا لَهَا يؤمُونَ قَذْفَ رَأسَهَا بِالْجَنَادِلِ

وقال بعض شعراء الجاهلية:

مَا كُنْتُ أحْسبُ أنّ بَيْتَاً ظَاهِراً للهِ فِي أكْنَافِ مَكّةَ يَصْمِدُ

وهذا المعنى هو الّذي ذكرناه أوّلا، فالله هو السيّد الصّمد الّذي جميع الخلق من الجنّ والأنس وغيرهم يصمدون إليه في الحوائج وإليه يلجأون عند الشدائد، وعن جابر بن يزيد الجعفي: ﴿قال: سَئَلْتُ أبَا جَعْفَرَ عليه السلام عَنْ شَيْئٍ

منَ التّوْحيد؟ قَالَ عليه السلام: إنّ اللهَ تَبارَكَتْ أسْمَائُهُ الّتي يُدْعَى بِهَا، وَتَعَالَى في عُلُوّ كُنْهِه، وَاحدٌ تَوَحّدَ بالتّوْحيدِ في تَوَحّده، ثُمّ أجْرَاهُ عَلَى خَلْقه، فَهُوَ وَاحدٌ صَمَدٌ قُدّوسٌ، يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْئٍ، وَيَصْمُدُ إلَيْهِ كُلُّ شَيْئٍ، وَوَسعَ كُلَّ شَيْئٍ علْماً﴾[1].

❖وعن داود بن القسم الجعفري قال: ﴿قُلْتُ لأبي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا الصّمَدُ؟ قَالَ: السّيّدُ الْمَصْمودُ إلَيْهِ في الْقَليلِ وَالْكَثيرِ﴾[2].

❖وعن الباقر عليه السلام عن أبيه عن الحسين عليه السلام انّهُ قال: ﴿ألّصَمُد الّذي لا جَوْفَ لَهُ، وَالصّمَدُ الّذي قَد انْتَهى سؤدُدُهُ، وَالصّمَدُ الّذي لا يَأكُلُ وَلا يَشْرَبُ، وَالصّمَدُ الّذي لا يَنَامُ، وَالصّمَدُ الدّائمُ الّذي لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ﴾[3].

❖قال الباقر عليه السلام: ﴿كَانَ محمّدُ بْنُ الحَنَفيّة رحمه الله يَقُولُ: ألصّمَدُ الْقَائمُ بنَفْسه الْغَنيُّ عَنْ غَيْرِه، وَقَالَ غَيْرُهُ: ألصّمَدُ الْمُتَعَالي عَنِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ، وَالصّمَدُ الّذي لا يُوصَفُ بالتّغَايُرِ﴾[4].

❖قال الباقر عليه السلام: ﴿ألصّمَدُ السّيّدُ الْمُطَاعُ الّذي لَيْسَ فَوْقَهُ آمرٌ وَلا نَاهيٌ، قَالَ: وَسُئلَ عَليُّ بْنُ الحُسَيْنِ عليه السلام عَنِ الصّمَدِ؟ فَقَالَ: ألصّمَدُ الّذي لا شَريكَ لَهُ، وَلا يؤُودُهُ حفْظُ شَيْئٍ، وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْئٌ﴾[5].

---

[1]. التوحيد للصدوق.

[2]. الكافي للكليني ومعاني الأخبار والتوحيد للصدوق.

[3]. التوحيد للصدوق.

[4]. معاني الأخبار والتوحيد للصدوق.

[5]. معاني الأخبار والتوحيد للصدوق

❖وعن وهب بن وهب القرشي عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام انه قال: ﴿ألصَمَدُ الّذي إذَا أرَادَ شيئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون، وَالصَمَدُ الّذي أبْدَعَ الأشياء فَخلَقَهَا أضْدَاداً وَأشْكَالاً وَأزْوَاجاً وَتَفَرّدَ بِالْوَحْدَةِ بِلا ضِدّ وَلا شَكْلٍ وَلا مِثْلٍ وَلا نِدٍّ﴾[1].

❖قال وهب بن وهب: ﴿وحدّثني الصّادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: إنّ أهْلَ الْبَصْرَةِ كَتَبُوا إلى الحسينِ بْنِ عَلِيّ عليهما السلام يَسْأَلُونَهُ عَنِ الصَمَدِ؟ فَكَتَبَ إلَيْهِمْ: بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ أمّا بَعْدُ: فَلا تَخُوضُوا في الْقُرآنِ وَلا تُجَادِلُوا فيهِ وَلا تَتَكَلّمُوا فيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَقَدْ سَمِعْتُ جَدّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: مَنْ قَالَ في الْقُرآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ، وإنّ اللهَ سبحانه قَدْ فَسّرَ الصَمَدَ فَقَالَ: (اللهُ أحَدٌ اللهُ الصَمَدُ) ثُمّ فَسّرَهُ فَقَالَ: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ)، (لم يلد): لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْئٌ كَثِيفٌ كَالْوَلَدِ وَسَائِرِ الأشياء الكَثِيفَةِ الّتي تَخْرُجُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَلا شَيْئٌ لَطِيفٌ كَالنَفْسِ، وَلا يَتَشَعّبُ مِنَ الْبَدَوات كَالسِنَةِ وَالنَوْمِ وَالخطرَةِ وَالْهَمّ وَالحزْنِ وَالْبَهْجَةِ وَالضّحك وَالْبُكَاءِ وَالخوْفِ وَالرّجَاءِ وَالرّغْبَةِ وَالسّأمَةِ وَالجوعِ وَالشّبعِ، تَعَالَى أنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَأنْ يَتَوَلّدَ مِنْهُ شَيْئٌ كَثِيفٌ أوْ لَطِيفٌ﴾[2].

❖وعن الصادق عليه السلام أنه قَالَ: ﴿قَدِمَ وَفْدٌ مِنْ فِلسْطِينَ عَلَى الْبَاقِرِ عليه السلام فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأجَابَهُمْ، ثُمّ سَأَلُوهُ عَنِ الصَمَدِ؟ فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ فيه: الصَمَدِ

---

[1]. معاني الأخبار والتوحيد للصدوق.

[2]. التوحيد للصدوق.

خَمْسَةُ أحرُف: فَالألفُ: دَليلٌ عَلَى إنّيّته، وَهُوَ عزوجل: شَهد الله انه لا اله الا هو، وَذَلكَ تَنْبيهٌ وَإشَارَةٌ إلى الْغَايب عَنْ درْك الحوَاس، وَاللاّمُ: دَليلٌ عَلَى إلهيّته بأنهُ هُوَ اللهُ، وَالألفُ وَاللاّمُ مُدْغَمَان لا يَظْهَرَان عَلَى اللّسَان وَلا يَقَعَان في السّمْع وَيَظْهَرَان في الْكتَابَة، دَليلان عَلَى أنّ إلهيّتَهُ لَطيفَةٌ، خَافيَةٌ لا تُدرَكُ بالحوَاس، وَلا تَقَعُ في لسَان وَاصف وَلا أذن سَامع، لأنّ تَفْسيرَ الإله: هُوَ الّذي أَلهَ الخَلْقُ عَنْ دَرْك مائيته[1] وَكَيْفيّته بحس أوْ بوَهْم بَلْ[2] هُوَ مُبْدعُ الأوْهَام وَخَالقُ الحوَاس وَإنّمَا تَظْهَرُ ذَلكَ عنْدَ الْكتَابَة فَهُوَ دَليلٌ عَلَى أنّ اللهَ سبحانه أظْهَرَ رُبُوبيّتَهُ في إبْدَاع الخَلْق وَتَركيب أرْوَاحهمُ اللّطيفَة في أجْسَادهمُ الْكَثيفَة، فَإذَا نَظَرَ عَبْد إلى نَفْسه لَمْ يَرَ رُوحَهُ، كَمَا أنّ لامَ الصّمَد لا تتبين ولا تَدْخُلُ في حَاسّة منَ حوَاسّه الخَمْس، فَإذَا نَظَرَ إلى الْكتَابَة ظَهَرَ لَهُ مَا خَفيَ وَلَطفَ.

فَمَتَى تَفكّرَ الْعَبْدُ في مائية[3] الْبَاري وَكَيْفيّته أَلهَ فيه وَتَحيّرَ وَلَمْ تُحطْ فكْرَتُهُ بشَيْئٍ يَتَصوّرُ لَهُ لأنهُ عزّ وَجلّ خَالقُ الصّوَر، فَإذَا نَظَرَ إلى خَلْقه ثَبَتَ لَهُ أنهُ عزوجل خَالقُهُمْ وَمُركّبُ أرْوَاحهُمْ في أجْسَادهمْ، وَأمّا الصّادُ: فَدَليلٌ عَلَى أنهُ عزوجل صَادقٌ وَقَوْلُهُ صدْقٌ وَكَلامُهُ صدْقٌ وَدَعَا عبَادَهُ إلى اتّبَاع الصّدْق[4] وَوَعَدَ بالصّدْق دَارَ الصّدْق.

وَأمّا الميمُ: فَدَليلٌ عَلَى مُلْكه وَأنهُ الْمَلكُ الحقّ لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ وَلا يَزُولُ مُلْكُهُ.

---

[1]. كذا في خ م، وفي المصدر: ماهيته.

[2]. كذا في خ م وفي المصدر: لا بل.

[3]. كذا في: خ م، وفي المصدر: ماهية.

[4]. كذا في: خ م، وفي المصدر: الصدق بالصدق.

وَأمّا الدّال: فَدَليلٌ عَلَى دَوام مُلْكه وَأنهُ عزوجل دائمٌ تَعَالَى عَنِ الْكَوْنِ وَالْفَسَاد، بَلْ هُوَ اللهُ عزوجل مُكَوّنُ الْكَائنَات وَالّذي كان بتَكْوينه كُلّ كَائن.

ثمّ قَالَ: لَوْ وَجَدْتُ لعلْمي الّذي آتَاني اللهُ عزوجل حَمَلَةً لَنَشَرْتُ التّوْحيدَ وَالإسْلامَ وَالإيمانَ وَالدّينَ وَالشّرَايعَ منَ: الصّمَد، وَكَيْفَ لي بذَلكَ وَلَمْ يَجدْ جَدّي أميرُ المؤمنينَ عليه السلام حَمَلَةً لعلْمه حَتّى كان يَتَنَفّسُ الصّعَدَاءَ وَيَقُولَ عَلَى الْمنْبَر: سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقدُوني فَإنّ بَيْنَ الجوانحِ علْماً جمّاً، هَاه هَاه، ألا لا أجدُ مَنْ يَحْملُهُ، ألا وَإنّي عَلَيْكُمْ منَ الله الحجّةُ الْبَالغَةُ، فلا تَتَوَلّوْا قَوْماً غَضبَ اللهُ عَلَيْهمْ قَدْ يَئسُوا منَ الآخرَة كَمَا يَئسَ الْكُفّارُ منْ أصْحَاب الْقُبُور، ثُمّ قَالَ الْبَاقرُ عليه السلام: ألحمْدُ لله الّذي مَنّ عَلَيْنَا وَوَفّقَنَا لعبَادَته الأحَد الصّمَد لَمْ يَلدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ، وَجَنّبَنَا عبَادَةَ الأوْثَان حَمْداً سَرْمَداً وَشُكْراً واجباً[1]، وَقَوْلُهُ عزّ وجل: لَمْ يَلدْ وَلَمْ يُولَدْ، يَقُولُ: (لَمْ يَلدْ) عزّ وَجَلّ فَيَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يرثُهُ مُلْكَهُ، (ولم يولد): فَيَكُونَ لَهُ وَالدٌ يَشركُهُ في رُبُوبيّته وَمُلْكه، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ): فَيُعَارضُهُ في سُلْطَانه﴾[2].

❖وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: ﴿إنّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أحَدٌ صَمَدٌ، لَيْسَ لَهَ جَوْفٌ﴾[3].

---

[1]. في المصدر: واصباً.

[2]. التوحيد ومعاني الأخبار للصدوق.

[3]. التوحيد للصدوق وفي بصائر الدرجات للصفار: عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام: (...إنّ الله تبارك وتعالى أحد صمد، والصمد الشيئ الذي ليس له جوف..الحديث)

❖وعن داود بن القسم قال: ﴿سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرَ عليه السلام عَنِ الصَّمَدِ؟ فَقَالَ: ٱلَّذي لا سرَةَ لَهُ، قُلْتُ: فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنهُ الَّذِي لأجْوَف؟ فَقَالَ: كُلَّ ذِي جَوْفٍ لَهُ سرَة﴾[1].

(أقُولُ): الغرض: انّه -تعالى- ليس فيه صفات الخلق، وهو أحد أجزاء معنى الصّمد، وهو لا يستلزم كونه -تعالى- جسماً مصمتاً -كما توهمه بعض- بل أنْ ليس له مدخل ومخرج فهو مصمت بهذا المعنى، فإنّ ذاته الأحديّة تعالت عن أنْ يدخل فيها شيئ أو يخرج عنها شيئ أو يصل إليها شيئ أو ينفصل عنها شيئ، وهو سبحانه كما قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد﴾[2].

---

[1]. تحف العقول للحرّاني وبحار الأنوار للمجلسي.

[2]. الإخلاص / ٤-٥

قال عليه السلام: ﴿ولا ايّاه عَنَى مَنْ شَبّهَهُ﴾

لأنّهُ -سبحانه- لا يشبه شيئاً مِنْ مخلوقاته، ولا يشبهه شيئ.

إذ التشبيه في الحقيقة راجع إلى حدّ الإشتراك، وذلك يستلزم التّركيب، للزوم ما به الإمتياز.

فَمَنْ شَبّهَ اللهَ بشيئ من المخلوقين فقد أبطل قِدَمَهُ، وَجَعَلَهُ من الحوادث.

وهذا ردّ صريح على أنّ مَنْ أجمع بين التّشبيه والتّنزيه مميت الدّين بن عربي وَمَنْ يحذو حذوه حيث قال:

فإنْ قُلْتَ بِالتّشْبِيهِ كُنْتَ مجسّماً ... وإنْ قُلْتَ بِالتّنْزِيهِ كُنْتَ محدّداً

وإنْ قُلْتَ بِالأمْرَيْنِ كُنْتَ مُوَحّداً ... وَكُنْتَ إمَاماً بِالمعَادِ وَسَيّداً

فانظر كيف صرّح بالقول بالتّشبيه، وسيأتي لإبطال ما قال زيادة بيان.

ولا يتوهم من قوله: (فإنْ قُلْتَ بِالتّشْبِيهِ كُنْتَ مجسّماً)

أراد نفي التشبيه عنه.

لأنّهُ صرّح بأنّ القول بالتّشبيه وحده يلزم القول بالتجسيم.

وأمّا القول بالتّشبيه مع التّنزيه فذلك التوحيد.

ولذا قال بعضهم: (حقّ المنزّه هو الخلق الْمشبه)

تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً.

وَنِعْمَ ما قال الصدوق رحمه الله: (ولا يشبه بشيئ من خلقه من جهة من الجهات لأنّهُ لا جهة لشيئ من أفعاله إلاّ محدثة ولا جهة محدثة إلاّ وهي تدلّ على حدوث من هي له، فلو كان الله سبحانه يشبه شيئاً منها لدلّت على حدوثه من حيث دلّت على حدوث مَنْ هي له، إذ المتماثلين في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلا منها، وقد قام الدّليل انّ الله عزّ وجلّ قديم، ومحال أنْ يكونَ قديماً من جهة وحادثاً من أخرى)[1].

وتعالى الله عن المماثلة والمشاكلة والمشابهة:

(فمنهم): مَنْ شبّهه بالجسم.

(ومنهم): مَنْ شبّهه بالصّورة.

(ومنهم): بالتّخطيط.

(ومنهم): بالعقول والأرواح والنّفوس.

وكُلّ ذلك كفر وزندقة.

❖محمد بن الفرج الزنجي قال: ﴿كَتَبْتُ إلى أبي الحسَنِ عَليّ بْنِ محمّد عليه السلام: أسْأَلُهُ عَمّا قَالَ هُشَامُ بْنُ الحكَمِ في الجسْمِ وَهُشَامُ بْنُ سَالِمٍ في الصّورَةِ؟ فَكَتَبَ عليه السلام: دَعْ عَنْكَ حَيْرَةَ الحيْرَانِ، وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشّيْطَانِ، لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهُشَامَانِ﴾[2].

---

[1]. التوحيد للصدوق.

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

(أقُولُ): لا شَكّ في علو رتبة (الهشامان) وجلالة قدرهما، ولا ريب انهما بريئان عن هذا المذهب، فربّما انهما كانا على هذا المذهب قبل أنْ يتشرّفا بحضور الإمام عليه السلام[1].

---

[1]. هذا على بعض التوجيهات، أي: انهما كانا يقولان بذلك إلى أنْ تشرّفا بحضور الإمام عليه السلام فغيّرا رأيهما.

❖وفي بحار الأنوار للمجلسي: (بيان: لا ريب في جلالة قدر الهشامين وبراءتهما عن هذين القولين، وقد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه في براءة ساحتهما عمّا نسب إليهما في كتاب الشافي، مستدلاً عليها بدلائل شافية، ولعلّ المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة وغيره من أكابر المحدثين، أو لعدم فهم كلامهما، فقد قيل: إنهما قالا بجسم لا كالأجسام، وبصورة لا كالصور، فلعلّ مرادهما بالجسم الحقيقة القائمة بالذّات، وبالصّورة الماهية، وإن أخطئا في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى).

❖وفي في كنز الفوائد: (رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان و سميتها بالبيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان... وأنه شيئ لا كالأشياء...وأمّا الذي يدل على بطلان مقال الذين يدّعون: أن الله تعالى جسم لا كالأجسام، فهو أن حقيقة الجسم قد ذكرناها، فمتى قال القائل إنه جسم أوجب الحقيقة بعينها، فإن قال: لا كالأجسام، نفى ما أوجب فكان ناقض، فإن قالوا: هذا لازم لكم في قولكم: إنه شيئ لا كالأشياء، قيل لهم: ليس الأمر كما ذكرتم، لأنّ قولنا: شيئ، يستفاد منه الإثبات، والمثبتات مختلفات من أجسام وجواهر وأعراض، فإذا قلنا: شيئ لا كالأشياء، أثبتنا معلوماً مخبراً عنه ونفينا المماثلة بينه وبين سائر المثبتات ولم ننف حقيقة الشيئ التي هي الإثبات وقول الله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يدل على ما ذكرنا، وقولنا: جسم لا كالأجسام، أثبتنا جسما ثم نفيناه، وهذا هو التناقض الذي ذكرناه، واعلم أن التسمية إنما يحسن إجراؤها على المسمّى متى ثبت له معناها، فإن لم يثبت ذلك لم يصح إجراؤها إلاّ على جهة التغليب، وبطل أن يصح فيه معنى الجسم على التحقيق، وفسد قول من زعم: أنه جسم، ولم يصح أن يسميه بهذا الاسم، وليس لأحد أن يسمي الله عز و جل بما لم يسم به نفسه، ولم يثبت ذلك على جواز تسميته به، فأمّا من زعم: أنه جسم، لأنه قائم بنفسه، وأن هذا حدّ الجسم عنده وحقيقته، فغير مصيب في قوله، واللغة تشهد بخطئه، وذلك أنا وجدنا أهل اللسان يقولون: هذا أجسم من هذا، إذا زاد عليه في طوله وعرضه وعمقه، فلو لا أن حقيقة الجسم عندهم هي أن يكون طويلاً عريضاً عميقاً، لم يكن الأمر كما ذكرناه، فإن قال القائل: أليس قد اشتهر عن أحد متكلميكم وهو هشام بن الحكم أنه كان يقول: إن معبوده جسم على صفة الأجسام، فكيف خالفتموه في ذلك؟ بل كيف لم تتبرؤا منه وهو على هذا المقال؟

قلنا: أما هشام بن الحكم رحمة الله عليه فقد اشتهر عنه الخبر بأنه كان ينصر التجسيم ويقول: إن الله تعالى جسم لا كالأجسام، ولم يصح عنه ما قرفوه به من القول بأنه مماثل لها، ويدل على ذلك أنا رأينا خصومه يلزمونه على قوله: بأنّ فاعل الأجسام جسم أن يكون طويلاً عريضاً عميقاً، فلو كان يرى أنه مماثل للأجسام لم يكن معنى لهذا الإلزام، فأما مخالفتنا لهذا المقام فهو اتباع لما ثبت من الحقّ بواضح البرهان، و انصراف عنه، وأما موالاتنا هشاما رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض منه من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ورجوعه عنه وإقراره بخطئه وتوبته منه وذلك حين قصد الإمام أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إلى المدينة فحجبه، وقيل له: إنه آلى أن لا يوصلك إليه ما دمت قائلا بالجسم، فقال: والله ما قلتُ به إلاّ لأني ظننت أنه وفاق لقول إمامي، فأما إذا أنكره عليّ فإنني تائب إلى الله منه، فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير، وحفظ عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام: إنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيئ وكلّما وقع في الوهم فهو بخلافه، وروي عنه أيضا أنه قال: سبحان مَنْ لا يعلم أحد كيف هو إلا هو ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به شيئ، ولا هو جسم، ولا صورة، ولا بذي تخطيط ولا تحديد، أخبرني شيخي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الواسطي رحمه الله قال أخبرني أبو محمد التلعكبري عن أبي جعفر الكليني عن محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن حمزة بن محمد قال له: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن القول بالجسم والصورة؟ فكتب: سبحان مَنْ ليس كمثله شيئ، لا جسم ولا صورة...).

❖وفي التوحيد للصدوق: عن الحسين بن سعيد، قال: سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنه شيئ؟ فقال: نعم؛ يُخرجه من الجدّين حدّ التّعطيل وحدّ التّشبيه.

❖وفيه: عن محمد بن عيسى بن عبيد، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك: أخبرني عن الله عز وجل شيئ هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شيئا حيث يقول: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)، فأقول: إنه شيئ لا كالأشياء، إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال لي الرضا عليه السلام: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأنّ الله تبارك وتعالى لايشبهه شيئ، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه.

❖وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للحر العاملي: (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: بأيّ لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فألهمني أنْ قلتُ: خاطبتني يارَبّ أم عليٌّ؟ فقال: يا أحمد؛ أنا شيئ لا كالأشياء، لا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء..الحديث).

❖وفي سؤال الزنديق برواية هشام عن الصادق عليه السلام: ﴿لا جِسْم وَلا صُورَة، وَلا يُحَسُّ وَلا يُجَسُّ، وَلا يُدْرَكُ بِالحَوَاسّ الخَمْسِ، لا تُدْرِكُهُ الأوْهَامُ، وَلا تَنْقصُهُ الدّهُورُ، وَلا تُغَيّرُهُ الأزْمَانُ﴾[1].

❖وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: ﴿عَنِ النّبيّ صلى الله عليه وآله قَالَ: قَالَ اللهُ جَلّ جَلالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسّرَ بِرَأيِهِ كَلامِي، وَمَا عَرَفَنِي مَنْ شَبّهَنِي بِخَلْقِي، وَلا عَلَى دِينِي مَنِ اسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ فِي دِينِي﴾[2].

❖عن ياسر الخادم قال: ﴿سَمِعْتُ أبَا الحَسَنِ عَلِيّ بْنَ مُوسَى الرّضَا عليه السلام يَقُولُ: مَنْ شَبّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ نَسَبَ إلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ﴾[3].

❖وفي شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحسائي: وأما الواجب لذاته عز وجل وتقدس مما سواه، فلأنّه هو الشيئ لا سواه، وجميع ما يدخل في مطلق الإحتمال والفرض والإمكان والتجويز والتصور وغير ذلك فإنّه سواه، وكل ما سواه خلقه تعالى، أحدث بعضه لبعض، ولا يجري عليه ما هو أجراه، فلا يمكن تصوّر الممتنع ولا فرضه، إذ ليس شيئاً، ولا يتصور الواجب ولا فرضه لِمَا أشرنا إليه من انّ التصوّر والفرض والإحتمال وما أشبهها إنما يعقل في الممكن...فالشيئ -الذي هو الشيئ لا سواه- هو الواجب عز وجل، وهو خالق الإمكان والرجحان، فلا يجري عليه الإمكان ولا الرجحان الذي لا يمنع النقيض، واما الرجحان الذي يمنع النقيض فهو الواجب البحت...

❖وفي رسائل السيد كاظم الرشتي: واستدل هؤلاء في إثبات المدّعى بقول الصادق عليه السلام كما في الكافي: لما قيل له عليه السلام: إن هشام بن الحكم يقول: إنّ الله تعالى جسم، وان هشام بن سالم الجواليقي: انّ الله تعالى صورة؟ قال عليه السلام: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان فليس القول على ما قاله الهشامان، ولم يقل عليه السلام في حقهما: انهما كفرا بهذا القول، ولا ردّهما، وقيل: انّ صدور هذا القول عنهما قبل استبصارهما.

[1]. الكافي للكليني

[2]. التوحيد وعيون الأخبار للصدوق

[3]. عيون الأخبار للصدوق واعلام الدين للديلمي وغيرها.

❖عن داود بن القسم: ﴿عَنِ الرِّضَا عليه السلام أنهُ قَالَ: مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِه فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ، ثُمّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[1]﴾[2].

❖وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿مَنْ شبّه اللهَ بخلقه فهو مشرك ومن انكر قدرته فهو كافر﴾[3]، وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار.

(فأقول): كما قال مولانا الرّضا عليه السلام: ﴿بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إلهي ولم تبد هيئة، فجهلوك وبه قدّروك، والتقدير على غير ما به أنت وصفوك، وأنا بريئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طالبوك، وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أنْ يتناولوك، بل سووك بخلقك فمن ثمّ لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا ربّ عمّا به المشبهون نعتوك﴾[4].

---

[1]. النحل / ١٠٦

[2]. التوحيد للصدوق وروضة الواعظين للفتال النيسابوري.

[3]. التوحيد للصدوق.

[4]. التوحيد للصدوق وبشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام للطبري الامامي.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا لَهُ تَذَلّلَ مَنْ بَعّضَهُ﴾[1]

(أقُولُ): مِنْ شأن العبد التّذلّل لله سبحانه، وَمَنْ جعله ذات أبعاض فقد عزّ عليه واستكبر، فإنّ الحقّ هو البسيط المطلق من جميع الوجوه، لا يشوبه التركيب بنحو من الأنحاء، لا عقلاً ولا وهماً، فلو جعلته ذات أبعاض فقد نفيت بساطته الحقّة الحقيقية، وجعلته ممكناً، لأنّ الممكن مزدوج الحقيقة وزوج تركيبيّ، والمركب محتاج إلى الأجزاء لتقدّم الأجزاء على المركب، فيلزم أنْ يكونَ مسبوقاً بالغير، ومحتاجاً له.

وذات الحقّ هو الغنيّ المطلق كما قال عزّ من قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيّ﴾[2].

وبقوله: ﴿هُوَ الْغَنِيّ﴾ انحصر الغناء له عزّ وجل.

(ويحتمل)؛ أنْ يكونَ المراد بقوله عليه السلام: ﴿وَلا لَهُ تَذَلّلَ مَنْ بَعّضَهُ﴾ أيْ: جعل الواجب بعضاً مِنَ الكُلّ أو الكُلّيّ.

يعني: يندرج تحت مفهوم كلّي، كما زعمه بعض، وقال: إنّ الوجود معنى عام، ويطلق على الله وعلى الخلق، فوجود الحقّ بعض الوجود ومندرج تحت ذلك المفهوم العام، فالوجود إنْ أخذ لا بشرط فهو الوجود العام البديهيّ، وإنْ أخذ الوجود بشرط شيئ فهو الوجود المقيّد، وإنْ أخذ الوجود بشرط لا فهو الوجود الحقّ.

---

[1]. قال عليه السلام، سقطت من المخطوطة.

[2]. فاطر / ١٦

وقال آخر: إنْ أخذ الوجود بشرط شيئ فهو الوجود المقيّد، وإنْ أخذ الوجود بشرط لا شيئ فهو الوجود العام البديهيّ، وإنْ أخذ الوجود لا بشرط شيئ فهو الوجود المطلق وهو الذي يطلق على الله دون الأوّلين.

ويعنون بالوجود العام البديهي الوجود المطلق الّذي هو مع الحقّ حقّ ومع الخلق خلق -على زعمهم- ويسمّونه بالحقيقة المحمّدية والفيض الأول والنّفَس الرحماني، وغير ذلك من الأسامي.

فَبَيّنَ عليه السلام فساد كلّ ما ذهبوا إليه.

فلو كان الحقّ داخلاً في هذه القِسمة للزم تركيبه.

(أمّا أوّلاً)؛ لأنّهُ فرد من ذلك العام فيكون هذا العام مشتركاً بينه وبين الخلق، فيحتاج إلى ما به الإمتياز، فيكون مركّباً مما به الإشتراك وما به الإمتياز.

(وأمّا ثانياً)؛ فلأنّ الْمَقسم معتبر في الأقسام وإلاّ لا يصحّ القسمة، فإذن يكون مركّباً مِنْ نفسه ومن اعتبار المقسم فيه، وقد قام الدّليل على أنّ كُلّ مركّب ممكن، وسيجيئ لهذا مزيد بيان في محلّه إنْ شاء الله تعالى.

(وأمّا قولهم): إنّ الوجود المطلق هو الّذي يكون مع الحق حقّاً ومع الخلق خلقاً، فهو بديهي البطلان، لأنّك إذا نفيته عن كونه ممكناً فيكون واجباً، وهذا الواجب لا يخلو؛ إمّا أنْ يكونَ عين ذات الواجب أو لا؟

وعلى الثاني يلزم تعدد القدماء، وقد قام الدّليل على بطلانه.

وعلى الأوّل يلزم أنْ يكونَ الحقّ واجباً وممكناً، ويلزم أنْ ينتقل من الحدوث إلى القدم وبالعكس، فتطري عليه الحالات، والذي يجري عليه

الحالات هو الممكن، إذ الواجب تعالى لا تطري عليه الحالات ولا يسبقه حال حالاً، فيكون أوّلا قبل أنْ يكونَ آخراً وبالعكس.

وأمّا إذا نفيته عن كونه واجباً فقد جعلته ممكناً، إذ لا واسطة بين الحدوث والقدم والإمكان والوجوب:

❖قال مولانا الرّضا عليه السلام: ﴿حَقٌّ وَخَلْقٌ لا ثَالِثَ بَيْنَهُمَا وَلا ثَالِثَ غَيْرُهُمَا﴾[1]، والممكن لا يكون واجباً أبداً، وما للتّراب وربّ الأرباب.

(والحاصل): إنّكَ متى نفيته عن الإمكان كان واجباً ومتى ما نفيته عن الوجوب كان ممكناً ولا واسطة[2] والإثبات والحدوث والقدم كما عرفت.

---

[1]. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق.

[2]. (كذا في المخطوطة والظاهر وجود سقط وهو: بين النفي)

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا إيّاهُ أرَادَ مَنْ تَوَهّمَهُ﴾

(أقُولُ): لأنّهُ سبحانه لا يدخل في الإدراك، لا عقلاً ولا وهماً ولا خيالاً ولا فكراً ولا حسّاً، ولا يصحّ الإدراك لكلّ مِنْ هذه المدركات إلاّ بالإنتزاع من خارج بعد إحاطة له، وهو سبحانه لا يحاط بوجه من الوجوه حتى ينتزع منه شيئاً، كما انّ النّفس إذا أحاطت بشيئ انتزعت منه ظلاً وَشَبَحاً فدخل في الذّهن ظِلّ ذلك الشّيئ، يعني: شبحه، فإذا كان سبحانه فوق الفوق بلا فوق، لا يحيط به الإدراك؛ وَهْماً كان أو غير ذلك.

ولذلك لَمّا سئل عليّ عليه السلام عن التّوحيد والعدل: ﴿ألتّوْحِيدُ أنْ لاتَتَوَهّمَهُ، وَالْعَدْلُ أنْ لا تَتّهِمَهُ﴾[1].

فأراد عليه السلام بقوله: ﴿لا تتوهمه﴾؛ انّه لا يدخل في الوهم ولا يحيط به الوهم، فكلّ ما تتوهمه فهو غيره، فإذا سمّيت ما توهمت واجباً فلم تكن موحّداً، لأنّك أثبتّ معه غيره فتكون مشركاً.

وقال عليّ عليه السلام: ﴿لا تُحِيطُ بِهِ الأوْهَامُ بَلْ تَجلّى لَهَا بِهَا﴾.

❖وقال عليه السلام: ﴿إنّ اللهَ احْتَجَبَ عَنِ الأوْهَامِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ، بَلْ تَجلّى لَهَا بِهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَإلَيْهَا حَاكَمَهَا﴾[2].

---

[1]. نهج البلاغة جمع السيد الرضي.

[2]. في نهج البلاغة وبحار الأنوار وشرح النهج لابن ابي الحديد وغيرها: (لم تحط به الاوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها).

❖وقال الباقر عليه السلام: ﴿كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقِّ مَعَانِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ﴾[1].

(والوهم)؛ هو القوّة المدركة للمعاني الجزئية، ومحلّها بطن المؤخر من تجويف الثّاني من الدّماغ، وفلكه المريخ.

فإذا تحقّق ذلك فلا بأس بذكر نبذة من الحواس الظّاهرية والباطنيّة:

(فالظّاهرية) منها خمسة؛ اللاّمسة والذّائقة والشّامة والسّامعة والباصرة:

(أمّا اللاّمسة): فلما ثبت للحيوان الأرضيّ انّه حامل كيفيّة اعتداليّة يحتاج إلى قوّة حافظة إياها مدركة للجسم المحيط به لدفع المضرّة ليكون البدن سالماً عن المؤذيات وهي أقدم الحواس، ويجب أنْ يكونَ كلّ البدن موصوفاً بالقوّة اللاّمسة لأنّ البدن من جنس مادة الكيفيات الملموسة، والمدرك إنما يكون من جنس المدر،ك فالّذي يسري في البدن من قوّة الادراك لا يمكن أنْ يكونَ غير مبدأ الإدراك، فهي سارية في جميع البدن ليميز بها الخشن من الناعم والغليظ من اللطيف والرّقيق والبرد من الحّر وما يضاهيها.

(وأمّا الذائقة)؛ فهي أعمّ الحواس بعد اللّمس للحيوان، وأشبه القوى بها لأنّها شاعرة بما يلائم البدن، ولِهَذَا إذا اشتدت الحاجة إلى الغذاء كان الإدراك أقوى، وإنما احتاج الحيوان إلى هذه القوّة ليميز بين الطّعومات من

---

[1]. الكشكول ومشرق الشمسين للبهائي والرواشح السماوية للداماد وبحار الأنوار للمجلسي: ((عن الإمام الباقر عليه السلام: كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق، مصنوع، مثلكم، مردود إليكم، ولعلّ النّمل الصّغار تتوهم أنّ لله تعالى زبانيتين، فإنّ ذلك كمالها، ويتوهم أنّ عدمها نقصان لِمَنْ لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به)).

الضّارّ والنّافع من المرارة والحلاوة والملوحة والتّفه وما يضاهيها، ليسلم البدن عن المضارّ.

(وأمّا الشّامّة): فهي الصف[1] من الذوق كما أنّ الذّوقَ ألْطَفُ من اللّمس، وهذه الثلثة أكثف المشاعر وأغلظها، ومدركات هذه القوة هي الروائح بملاقاة الهواء المتكيف بها للخيشوم، فهي أيضاً تحصل بالمماسة فكأنها ضرب من اللّمس وإنما احتيج إليها لتفرق بين المشمومات من ضارّها ونافعها لتقوية الدّماغ المقوّي للبدن وساير الإدراكات.

(وأمّا السّامعة)؛ فهي عبارة عن إدراك الصّوت وذلك لا يحصل إلاّ عند تأدّي الهوائية المنضغط بين القارع والمقروع إلى تجويف الصّماخ عند العصبة المفروشة فيه، ولذلك انّ ذلك التّجويف إذا سدّ أو انسدّ بطل السمع، وقد دلّ على ظهور التأدّي أدلّة وبراهين يطول ذكرها ولا حاجة إلى ذكرها.

فهذا الإدراك إنما يحصل بقرع الهواء المتموّج لتجويف الصّماخ ولذلك يصل من الأبعد في زمان أطول، ولكن بمجرد إدراك الصوت القائم بالهواء القارع الصّماخ لا يحصل الشّعور بالجهة والقرب والبعد بل إنّما يحصل ذلك بتتبع الأثر الوارد من حيث ورد، وما بقى منه في الهواء الذي هو في المسافة التي ورد فيها، كذا أفاد صاحب المعتبر، وهو المعتبر.

---

[1]. كذا في المخطوطة والظاهر الصحيح: ألطف.

(وأمّا الباصرة)؛ فقد قالوا علماء التشريح[1]: انّه ينبت من الدّماغ أزواج سبعة من العصب، وانّ الزّوج الأوّل مبدءه من غور البطنين المقدمين من الدّماغ الشبيهين بحلمتي الثدي، وهو صغير مجوف يتيامن الثابت منهما يساراً، ويتياسر النّابت منهما يميناً، ثمّ يلتقيان على تقاطع صليبي، ثمّ ينفذ النابت منهما يميناً إلى الحدقة اليمنى، والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى، وقوة الإبصار مودعة في الروح المصبوب في تجويف هذا العصب.

واختلفوا في كيفيّة الأبصار:

(فالطبيعيون)؛ على انّه بانطباع شبح المرئي في جزء من رطوبة الجلدية، كالمرآة فإنّها تنطبع فيها صورة المرئي، أعني: شبحه المنفصل.

(والرياضيون)؛ على أنّ الإبصار بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند المرئي.

(وقيل): لا على هيئة المخروط، بل على استواء، لكن يثبت طرفه الذي يلي العين ويضطرب طرفه الآخر على المرئي.

(وقيل): الشعاع الذي في العين يصّير الهواء مكيّفاً بكيفيته، ويصير الكلّ آلة للإبصار.

(وقيل): انّه لا شعاع ولا انطباع، وإنما الإبصار بمقابلة المستنير للعضو الّذي فيه رطوبة صقيلة.

---

[1]. كذا والصحيح: قال علماء التشريح.

(وذهب صاحب الأسفار)؛ إلى أنّ الإبصار يتحقّق بإنشاء صورة له بقدرة الله من عالم الملكوت النّفسانيّ مجرّدة عن المادّة الخارجيّة حاضرة عند النّفس المدركة قائمة بها قيام الفعل بفاعله.

حجّة أهل الأنطباع أمور:

أحدها: انّ العين جسم صيقلي نورانيّ وكلّ جسم كذلك إذا قابله جسم كثيف اللّون انطبع فيه شبحه كالمرآة.

وثانيها: انّ ساير الحواس إنّما تدرك المحسوس بأنْ يأتي صورته إليها لا بأنْ يخرج شيئ منها إلى المحسوس، فكذا الإبصار.

وثالثها: انّ الشّيئ بعينه إذا قرب من الرّائي يرى أكبر ممّا إذا بعد، وليس ذلك إلا بالإنطباع، لأنّ الإنطباع على هيئة مخروط من الهواء المشفّ، رأسه متصل بالحدقة وقاعدته سطح المرئيّ، حتّى انّه وتر لزاوية المخروط، ومعلوم انّ الوتر بعينه كلّما قرب من الزّاوية كان السّاق أقصر والزّاوية أعظم وكلّما بعد فبالعكس والشّبح الّذي في الزّاوية الكبرى أعظم من الّذي في الصّغرى.

ورابعها: انّ مَنْ نظر إلى الشمس، ثمّ أعرض عنها، بقي صورتها في العين طويلاً.

وخامسها: انّ المحرورين قد يبصرون صور مخصوصة متمايزة وهي غير موجودة في الخارج، ولابدّ لها من وجود لإمتيازها وتعينها، فهي لا محالة موجودة في البصر أو في جزء من أجزاءه، وإذا ثبت كيفية الإبصار في بعض المواضع انها بالإنطباع ثبت في غيره أيضاً لعدم الفرق.

(وأجيب عن الأول)؛ بأنّه تمثيل بلا جامع، فإنّ الهواء جسم لطيف شفاف ولا تنطبع فيه.

(أقُولُ): إنّ الهواء لَمّا لم يكن ورائه جسم كثيف لم يحفظ الصورة فلا ترى كالزجاجة لما لم تظهر الصورة المنطبعة فيها احتاجت إلى جسم كثيف ليكون حافظاً لَهَا ومظهراً لَهَا، والبصر ليس كالهواء، ولأنّ وراءه جسم كثيف.

(وعن الثاني)؛ إنّ هذا بعد تمامه، إنما يدلّ على انطباع الشّبح فيه، لا كون الإبصار به.

(وعن الثالث)؛ بأنّا لا نسلّم انّه لا سبب سوى ذلك، كيف ذلك وأصحاب الشّعاع يثبتون سببه على انّ استلزام عظم الزاوية عظم المرئي، وصغرها صغره، وفيه تأمل.

(وعن الرابع)؛ بأنّ تلك الصّورة في خياله لا في عينه.

(وعن الخامس)؛ بأنّ ذلك يدلّ على انّ الإبصار في هذا النوع كذلك ولا يدلّ على أنّ كلّ أنحاء الإبصار هكذا.

(أقُولُ): إنّ إنكارهم على أنّ كلّ أنحاء الإبصار ليس هكذا.

(مكابرة)؛ لأنّهم إذا أثبتوا هذا المقدار من الإبصار بالإنطباع ثبت في الكلّ، إذ لا فرق بين الكلّ وغيره في الإبصار، وهذا ردّ قوي على أهل الشّعاع وعلى القائلين بأنّه لا شعاع ولا انطباع وانّما الإبصار بمقابلة المستنير للعضو الذي فيه رطوبة صقيلة.

(واعترض على القائلين بالإنطباع): بأنّ العقل الصريح يمنع العظيم كنصف كرة العالم أو الجبال الشامخة في المحلّ الصغير وهي الرطوبة الجليدية،

لأنّ نصف كرة العالم إذا حلّت في هذه الرطوبة فإمّا أنْ يبقى على العظم الأوّل أوْ لا؟ فإنْ بقيت لزم مساواة العظيم للصغير وهو محال، وإنْ لم يبق لزم أنْ لا يرى عظيماً، وهو مكابرة للعقل.

(أقُولُ): إنّ هذا يلزم مَنْ يقول بخروج الشّعاع، إذْ يقال: كيف يخرج من الرّطوبة الجليديّة شعاع يتصلّ بنصف كرة العالم دفعة واحدة فتدركه؟

(وأمّا الجواب عن ذلك): فإنّا لا نقول بدخول نصف كرة العالم أو الجبال الشّامخة في الرّطوبة الجليدية، بل إنّ صورة تنفصل منهما فتدخل فيها، فالدّاخل إنّما هي الصّورة لا الجرم، كالمرآة فإنّك إذا قابلتها بالجبل أو غير ذلك تنطبع صورته فيه، فكذلك الجليديّة.

(ثمّ نقول) بعون الله: إنّ الإبصار لو لم يكن لكان إذا قابلت زيداً رأيت يمينه عن يسارك ويساره عن يمينك وهكذا مما يلي اليمنة واليسرة، والأمر بالعكس، بعكس الصورة في المرآة فإنّ شبحه مدبرٌ عنه ومقبل إليك، ولذا ترى عيناه في يسارك وبالعكس.

❖وقد نصّ مولانا الصّادق عليه السلام على أنّ الإبصار بالإنطباع كما في رواية هشام بن الحكم: ﴿لَمّا سأله عبد الله الديصاني، فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى، قال: أقادر هو؟ قال: نعم قادر قاهر، قال: يقدر أنْ يدخل الدّنيا كلّها في البيضة ولا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ قال هشام: النّظرة، فقال: قد أنظرتك حَوْلاً، ثمّ خرج عنه فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فأستأذن عليه، فأذن له، فقال له: يا بن رسول الله؛ أتاني عبد الله الدّيصاني بمسألة ليس المعوّل

فيها إلاّ على الله وعليك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام عمّاذا سألك، فقال: قال لي: كيت وكيت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياهشام؛ كم حواسك؟ قال: خمس، قال: أيّها أصغر؟ قال: الناظر، قال: وكم قدر النّاظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلّ منها، فقال له: يا هشام؛ فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى؟ فقال: سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وأنهاراً، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الّذي قدر أنْ يدخل الّذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر على أنْ يدخل الدّنيا كلّها البيضة لا تصغر الدّنيا ولا تكبر البيضة﴾[1].

فانظر كيف صرّح الإمام عليه السلام بأنّ الإبصار بالإنطباع، إذْ من البين عدم دخول الجرم المرئي في الجليدية لاستحالته كما عرفت، فانحصر الدخول بالشّبح والظّلّ، وهذا ما كنّا نبغي.

❖وروى المفيد في الإختصاص في حديث طويل بإسناده إلى موسى بن محمد الجواد: ﴿انّهُ سئل أخاه أبا الحسن عليّ الهادي عليه السلام عن مسائل سألَهَا عنه يحيى بن أكثم، فكان من جوابه -إلى أنْ قال-: وأمّا قول عليّ عليه السلام في الخنثى: أنّه يورث مِنَ المبال، فهو كما قال، وينظر إليه قومٌ عدولٌ، فيأخذ كلّ واحد منهم المرآة، فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً، وينظرون في المرآة، فيرون الشبح، ويحكمون عليه حينئذ﴾[2].

---

[1]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[2]. الكافي للكليني والتهذيب للطوسي والاختصاص للمفيد.

فَبَيّنَ عليه السلام بقوله: ﴿فيرون الشّبح﴾، كون الشّبح منطبعاً في المرآة، فينطبع شبح الشبح في العين، لأنّ الّذين قالوا بخروج الشعاع لا يقولون برؤية الشبح بل يقولون: إنّ الشّعاع بخروجٍ من البصر فيقع على المرآة ثمّ ينعكس على الشّاخص المقابل فيرى الشاخِص.

(ولذلك يقولون العامّة): لو قال رجل لإمرأته: لو نظرت إلى فلان فأنتِ طالق، فإذا نظرت في المرآة المنعكس فيه صورة فلان، فعند الذين يقولون بخروج الشعاع فتكون طالقة، لأنها نظرت إليه لا إلى شبحه، وأمّا الذين يقولون بالإنطباع يحكمون بعدم تحقّق الطّلاق لأنّها نظرت إلى شبحه لا إليه، فتبصر.

وإذا رأيتَ ما بيّنّاه، دريتَ بطلان القول بخروج الشّعاع، وبطلان القول بأنّه لا شعاع ولا انطباع، وإنّما الإبصار بمقابلة المستنير للعضو الّذي فيه رطوبة صقيلة.

وأمّا ما ذهب إليه صاحب الأسفار؛ فإنّهُ مخالفٌ للأدلّة العقليّة والنّقليّة، وما قال به أحد من العقلاء.

(ويلزم منه)؛ أنّ البصر لا يرى شيئاً من الأمور المحسوسة.

مع أنّ العقلاء أجمعوا على أنّ الحواس الظّاهريّة المدركة للأشياء المحسوسة في الخارج خمس، والبصر من جملة الحواس.

(ويلزم منه)؛ أنّ رجلاً لو نذر أنْ ينظر شيئاً من الأشياء الخارجية، فلو نظر إليه لم يلزمه النّذر، على القول بأنّ هذا الإدراك من الإدراكات النّفسيّة،

وتدرك النّفس شبحاً ملكوتيّاً مِنْ سنخ عالمها، للزوم المناسبة بين المدرِك والمدرَك، وهذا مخالف لإجماع المسلمين، والعقل لا يخالف إجماع المسلمين.

(وأمّا الحواس الباطنيّة): فهي أيضاً خمس، لتطابق الظّاهر والباطن:

(الحسّ المشترك)؛ وهو القوّة المرتبة في مقدم التّجويف الأوّل من الدّماغ، وهو المنبت الذي تنبت منه أعصاب الحواس الظّاهرة، يجتمع عندها مثل جميع المحسوسات الظّاهرة، فتدركها على سبيل المشاهدة، فتكون الصورة المأخوذة من الخارج منطبعة فيها ما دامت النسبة بينها وبينها محفوظة.

والحجّة على إثباتها: انا نشاهد القطرة النازلة من العلوّ خيطاً، والنقطة الدائرة بسرعة خطّاً مستديراً كالشعلة الجوالة، فامّا أنْ يكونَ الأمر كذلك في الخارج، وذلك محال، لأنّهُ ليس في الخارج إلاّ قطرة ونقطة، وامّا انّه ليس بالبصر فلأنّ البصر انما يدرك ما يقابله في ذلك الوقت، فاذا عرض المقابل اعرضت تلك الصورة، وهذا الادراك ليس كذلك، وامّا انّه ليس من ادراك النفس، فلأنّ النفس انما تدرك البسائط التي هي بلا مادة، وهنا ليس كذلك، فثبت انّ هذا هو الحس المشترك، وامّا جعلها من الحواس الباطنية مع انها تشاهد المحسوسات، فلأنها برزخ بين الغيب والشهادة، تأخذ من الظاهر وتؤدي إلى الباطن، ولذلك عدّت من الحواس الباطنية.

(والخيال)؛ ويسمّى بالقوة المصوّرة، ومحلّها مؤخر التّجويف الأوّل من الدّماغ يجتمع عندها مثل جميع المحسوسات بعد انْ تغيب عن الحواس الظّاهريّة والحسّ المشترك فتدركها.

قالوا: وهي خزانة للحسّ المشترك يؤدّي إليه على سبيل الإستخزان، وقد يخزن ما ليس مأخوذاً عن الحسّ المشترك بل عن المفكّرة، كما إذا تصرفت في الصّورة التي فيها بالتّحليل والتّركيب فركبت صورة منها أو فصلتها استحفظتها في هذه الخزانة.

(وفيه نظر)؛ لأنّ الخيال سبيله الحسّ المشترك إذا أراد التّخيّل عن المحسوسات ولا يتصرف في الصّورة بالتّحليل والتّركيب إلاّ بالمفكّرة.

(والدّليل على إثباته)؛ بأنّا إذا رأينا زيداً مثلاً ثمّ ذهلنا عنه زماناً، فإنّ صورته تجيئ في الخيال، لأنّا إذا شاهدناه بعد ذلك مرّة أخرى حكمنا عليه بأنّه هو المشاهَد قبل ذلك، وأمّا كونه غير الحسّ المشترك لأنّهُ حافظ للصّورة.

والحسّ المشترك له قوّة القبول دون الحفظ، والقوّة القابلة غير الحافظة، كالماء فإنّ له قوّة القبول دون الحفظ.

(والمفكرة)؛ وتسمّى بالمتخيّلة، ومحلّها مقدّم التّجويف الثّاني من الدّماغ، وهي قوّة من شأنها التّركيب والتّفصيل، فتركّب الصّور مع المعاني الّتي في الخيال والحافظة بعضها مع بعض، فتجمع بين المختلفات وتفرّق بين المجتمعات، فهي برزخٌ بين الخيال والوهم، ومتصرفة فيهما، فتجمع بين الصّور الجزئيّة والمعاني الجزئيّة، وتؤلّف منهما شيئاً واحداً.

(وليعلم)؛ أنّي ما وَقَفْتُ على نصّ من أهل العلم -عليهم سلام الله أجمعين- يبين هذا التّرتيب، ولكنّ الحكماء اتفقوا على ذلك، واتفاقهم يبنى على ما هو الحق، ولَمّا تدبرنا في أنفسنا وجدنا الأمر على هذا الترتيب، وهذا

الترتيب مخالف لترتيب الآفاق، ولابدّ من عدم التّخالف بين الآفاق والأنفس، لأنّهما متطابقان، وترتيب الآفاق على هذا النّمط الّذي نذكره:

(الأوّل): الفكر، وفلكه عطارد.

(الثّاني): الخيال، وفلكه الزهرة.

(والثّالث): الوهم، وفلكه المرّيخ.

(والرّابع): العلم، وفلكه المشتري.

(والخامس): التّعقل، وفلكه زحل.

فهذا الترتيب ينافي ذلك الترتيب، لأنّ الدماغ له ثلثة تجاويف:

فمقدّم التجويف الاوّل محل للحس المشترك ومؤخره محل الخيال.

ومقدّم التّجويف الثاني محل الفكر، ومؤخره محل الوهم.

والتجويف الثّالث محل الحافظة.

فيلزم من هذا الترتيب عدم التّطبيق والله العالم بحقائق الأمور.

(والوهم)؛ وهي قوّة تدرك المعاني الجزئية ومحلّها من الدماغ مؤخر التّجويف الثاني، واحتجوا على انها مغايرة لسائر الحواس بأنّا نحكم على المحسوسات بأمور لا يحسّ بها ولا صورة لها في المواد وهي إمّا من أمور يمكن أنْ يحسّ بها، كما إذا رأينا أصفر حكمنا بأنّه عسل وحلو، فإنّ ذلك لا يؤدّي إليه الحسّ في هذا الوقت، فالقوّة الّتي تدرك هذه الامور هي الوهم، لكن يدرك القسم الأوّل أعني: المعاني المتعلقة بالجزئيات بذاته، والقسم الثاني أعني: الصور الغير الموجودة باستخدام المصوّرة، ولا يجوز أنْ يكونَ شيئاً من

القوى المذكورة إذ ادراكاتها مقصورة على الصّور المحسوسة، وهذا يدرك المعاني كالمحبّة والعداوة وما يضاهيهما من المعاني.

(والحافظة)؛ وتسمى الذاكرة وهي قوة مرتبة في التّجويف الثالث من الدماغ، من شأنها أنْ تحفظ أحكام الوهم، كما انّ الخيال يحفظ أحكام الحس المشترك، وهذه القوّة الحافظة سريعة الطاعة للقوة الناطقة في التذكير، وتتأتى للرؤية بسببها أنْ تستخرج عن أمور معهودة أموراً منسية كانت مصاحبة لها.

(ثمّ اعلم): انّ كلّ قوة تكون خزانة لما فوقها إنْ كان القوس نزولياً وتكون خزانة لما تحتها إنْ كان صعودياً، فالكلّ خزانة للكلّ بالإعتبارين.

(ثُمّ اعْلَمْ): انّا إذا جعلنا القوّة العاقلة التي هي التعقل من الحواس الخمس الباطنة يكون الحسّ المشترك المسمّى بـ: (بنطاسيا) برزخاً بين الحواس الظّاهرة والباطنة ولا يكون من الحواس، ومحلّ تلك القوّة من الدّماغ مؤخر تجويف الثالث.

قَالَ عليه السلام: ﴿كُلّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ﴾

(يعني): كلّ مَنْ كَانَ مِنْ شَأْنِه أنْ يُعْرَفَ فهو غير القديم، إذِ القديم لا يُعْرَفُ مِنْ سِنْخِ ذَاته، بل يُعْرَفُ بصفاته وآثاره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إنْ قُلْتَ: هُوَ هُوَ، فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ كَلامُهُ وَخَلْقُهُ، وإنْ قُلْتَ: الْهَوَاءُ صِفَتُهُ، فَالْهَوَاءُ مِنْ صُنْعِه صِفَةُ اسْتِدْلالٍ عَلَيْه لا صِفَةُ تَكْشِفُ عَنْهُ، رَجَعَ مِنَ الْوَصْفِ إلى الْوَصْفِ وَدَامَ الْمَلِكُ فِي الْمُلْكِ، فَالطَّرِيقُ إلَيْهِ مَسْدُودٌ، وَالطَّلَبُ مَرْدُودٌ، دَلِيلُهُ آيَاتُهُ، وَوُجُودُهُ إثْبَاتُهُ﴾[1]، والمعرفة تقع على أقسام:

معرفة العالي بالسّافل.

ومعرفة السّافل بالعالي.

ومعرفة المتوسط بالمتوسط.

وتسمّى الأخير بالسّلسلة العرضيّة، والاوّلان بالسلسلة الطولية.

أمّا معرفة العالي بالسافل فهي نفس السّافل لا غير.

وأما معرفة السافل بالعالي فهي حقيقة السّافل لا غير، لأنّها صفته وآيته وعينه التي تعرف للسافل بالسافل، فهو يعرفه بما ظهر له به، لأنّ العالي إنما أوجد السّافل ليتعرف له.

والتّعريف إما حالي أو مقالي، ولما كان التعريف الحالي أجلى وأكمل في المعرفة من البيان المقالي، كما انك إذا رأيت زيداً فهو أجلى لك من أن تسمعه

---

[1]. ملحق نهج البلاغة لاحمد بن ناقة الكوفي خطبة الدرة اليتيمة ص ٣٨

بتعريفه وتوصيفه، ولما كان فعل القادر القاهر عز وجل على أحسن وجه وأكمل وصف في النّظام جرى فعله لبيان الوصفين ليكون أبلغ في النظام.

فَعَرّفَ نَفْسَهُ لخلقه بالوصفين؛ الحالي والمقالي، إذ المقصود من خلقه الخلق معرفته كما قال عزّ وجل مِنْ قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[1]، ﴿أيْ: لِيَعْرِفُونَ﴾[2]، ومعرفته ظهور توحيده فظهر في وصف المقال قوله: (لا إله إلاّ الله)، وَظَهَرَ في وصف الحالي للعبد بكنه حقيقة العبد، لأنّ حقيقةَ العبد أقرب لنفسه من غيره، فَعَرَفَ نَفْسَهُ بِنَفْسِه.

❖قالَ عَلِيّ عليه السلام لَمّا سُئِلَ عَنِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيّ: ﴿صُوَرٌ عَارِيَةٌ عَنِ الْمَوَادِ، خَالِيَةٌ عَنِ الْقُوّةِ وَالإِسْتِعْدَادِ، تَجَلّى لَهَا خَالِقُهَا فَأَشْرَقَتْ، وَطَالَعَهَا فَتَلألأتْ، وَأَلْقَى فِي هَوِيّتِهَا مِثَالَهُ، فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ﴾[3].

---

[1]. الذاريات / ٥٧

[2]. الرواشح السماوية للداماد وشرح أصول الكافي للمازندراني وفرائد الأصول للأنصاري وفي تفسير الآلوسي وغيره: (فسّر ابن عباس قوله تعالى: وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُون، بقوله: إلاّ ليعرفون)، وفي الكشف والبيان للثعلبي : (قال مجاهد: إلاّ ليعرفون)، وفي تفسير ابن كثير: (قال ابن جُرَيْج: إلاّ ليعرفون)، وتفسير أبي السعود وتفسير البحر المحيط وتفسير السراج المنير وتفسير اللباب لابن عادل وغيرها.

[3]. في مناقب آل ابي طالب لابن شهراشوب (ت٥٨٨): وسئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: (صور عارية عن المواد عالية عن القوة والإستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله..) وفي عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي(قرن السادس):(وسئل عليه السلام عن العالم العلوي؟ فقال: صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها بنوره فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله..) ومثله في:الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني وبحار المجلسي وغيرها.

❖وَقَالَ الصّادقُ عليه السلام: ﴿الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرَّبُوبِيَّةُ[1]، وَمَا خَفِيَ فِي الرَّبُوبِيَّةِ أصيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ، قال الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[2] أيْ: مَوْجُودٌ فِي غَيْبَتِكَ وحَضْرَتِكَ﴾[3].

وقوله عليه السلام: ﴿الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرَّبُوبِيَّةُ﴾، يريد من الرّبوبية: المثال الملقى في حقيقته، لا ذات الرّبّ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

❖ومن ذلك قال الصّادق عليه السلام: ﴿إعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ﴾[4].

❖وقال عليه السلام: ﴿إنّ الله أجلّ أنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ بَلِ الخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِهِ﴾[5].

❖وَقَالَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عليه السلام فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ: ﴿إِلَهِي تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ الْمَزَارِ، فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ، كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ، أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً﴾[6].

---

[1]. (فَمَا فُقِدَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرَّبُوبِيَّةِ، غير موجودة في خ م)

[2]. فصلت / ٥٤

[3]. مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام.

[4]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق وروضة الواعظين للفتال النيسابوري وغيرها.

[5]. في الكافي للكليني: (عن منصور بن حازم قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله أجلّ وأكرم مِنْ أنْ يُعرفَ بخلقه، بل الخلق يُعرفون بالله، قالَ: صَدَقْتَ)

[6]. إقبال الأعمال لابن طاوس.

وقوله: ﴿مَتَى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الّتي تُوصِلُ إلَيْكَ﴾.

(يريد به)؛ انك متى ما نظرت إلى الآثار والتفت إليها وأثبتّ الرّبّ سبحانه بالآثار الظّاهرة لك مع ملاحظة الآثار، ما عرفته حقّ المعرفة، إذْ حقّ المعرفة انك لا ترى معه شيئاً، وذلك لا يكون إلاّ مع قطع النظر عن مشاهدة الآثار، وإنْ لم يحصل ذلك إلاّ بمشاهدة الآثار.

◆قال سيد الشهداء عليه السلام بعد هذه الفقرة في الدعاء: ﴿إلَهي أمَرْتَ بالرُّجُوعِ إلى الآثَارِ فَارْجِعْني إلَيْكَ بِكِسْوَةِ الأنْوَارِ، وَهِدَايَةِ الإسْتِبْصَارِ، حَتّى أرْجِعَ إلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إلَيْكَ مِنْها، مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إلَيْها، وَمَرْفُوعَ الْهِمَّةِ عَنِ الإعْتِمَادِ عَلَيْهَا، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْئٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فإنك إنما تراه بالآثار مع عدم ملاحظة الآثار.

(والآثار)؛ آفاقية وأنفسية، ولما كانت الأنفسية أجلى للنفوس من غيرها إذ هي حقيقتها، يمكنك أنْ تراه بنفسك، مع قطع النظر عن وجود نفسك، بل وتوحيد الحقيقي لا يظهر إلاّ بعد قطع النظر عن قطع النظر عن ملاحظة نفسك، فحينئذ تكون عارفاً لله بالله، لأنّ حقيقتك تكون صفته الظاهرة لك بك، فَظَهَرَ لَكَ بِهَا، وَعَرَفْتَهُ بِهَا.

---

[1]. إقبال الاعمال لابن طاوس.

فهذه هي المعرفة الحقيقية الّتي لا تحصل إلاّ للأقلّين، ولأجل ذلك قال عليه السلام: ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ﴾[1].

(والحاصل): إنّ حقيقة العبد صفته وآيته عز وجلّ التي إذا أراد العبد أنْ يعرف الله بحقيقة المعرفة عرفه بصفته التي هي عين ذات العبد، وهو حادث مخلوق، وهذا أحد معاني ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصّباح قال عليه السلام: ﴿يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ﴾[2]، أي: بذاته الحادثة على ذاته القديمة.

---

[1] (يقول) العبد المسكين معين: ورد هذا الحديث في مصادرة كثيرة من الفريقين ومنها: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، المناقب للخوارزمي، عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي (قرن السادس)، عوالي اللآلي لابن ابي جمهور الاحسائي، تفسير الصافي للفيض الكاشاني، بحار الأنوار للمجلسي، تفسير الكشف والبيان للثعلبي، تفسير البغوي، تفسير البيضاوي، تفسير الرازي، وغيرها من المصادر الكثيرة.

[2]. بحار الأنوار للمجلسي، قال رحمه الله تعالى: (بيان: هذا الدعاء من الأدعية المشهورة، ولم أجده في الكتب المعتبرة إلاّ في مصباح السيد ابن الباقي رحمة الله عليه، ووجدتُ منه نسخة قراءة المولى الفاضل مولانا درويش محمّد الاصبهاني جدّ والدي من قبل أمّهِ رحمة الله عليهما، على العلامة مروج المذهب نور الدين علي بن عبد العالي الكركي قدس الله روحه، فأجازه وهذه صورته: الحمد لله قرء هذا الدعاء والذي قبله عمدة الفضلاء الأخيار الصلحاء الأبرار مولانا كمال الدين درويش محمد الأصبهاني بلغه الله ذروة الأماني قراءة تصحيح كتبه الفقير علي بن عبد العالي في سنة تسع وثلاثين وتسع مائة حامداً مصليّاً، ووجدت في بعض الكتب سنداً آخر له هكذا: قال الشريف يحيى بن القاسم العلوي: ظفرت بسفينة طويلة مكتوب فيها بخط سيدي وجدّي أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، ليث بني غالب، علي بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا دعاء علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يدعو به في كلّ صباح وهو: اللهم يامن دلع لسان الصباح، إلى آخره، وكتب في آخره كتبه علي بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الهجرة، وقال الشريف: نقلته من خطه المبارك بالقلم الكوفي على الرّقّ في السابع و العشرين من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وسبع مائة).

وإنما قال: ﴿بِذَاتِهِ﴾، نسب الذّات إلى نفسه لشرافته، كما قال: ﴿الكعبة بيتي﴾[1]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[2]، وأمثال ذلك.

وأمّا إذا قلنا: ﴿دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ﴾ ، يعني: دَلّ على ذاته الحادثة بذاته الحادثة، فهو أعلى وأشرف، لأنّ كلّ ما يعرف الخلق فهو مخلوق، ولا يمكنه معرفة القديم إذِ القديم واجب وهذا ممكن، ولا يطيق الممكن يرتقي إلى صقع الوجوب، ولا ينزل الواجب عن مرتبة الوجوب إلى صقع الإمكان، فكيف يمكنه أنْ يعرف بذاته، فانحصر معرفة الخلق بالخلق، فيعرفه الخلق بما ظهر للخلق، وظهوره للخلق هو عين وجود الخلق، إذْ لا واسطة بينه وبين خلقه، فيعرفه بما ظهر له به قال الشاعر:

رأت قمر السماء فذكرتني ... ليالي وصلنا بالرقمتينِ

كلانا ناظراً قمراً ولكن ... رأيتُ بعينها ورأت بعيني

فاحتفظ بهذا إنْ كنتَ من أهله واشرب صافياً، وأمّا معرفة المتوسط بالمتوسط فذلك يختلف تارة يكون بالذّات وتارة يكون بالشبح.

---

[1]. كذا والظاهر: كما قال عن الكعبة: بيتي، أي: من قوله تعالى: (طَهِّرَا بَيْتِيَ) البقرة / ١٢٦

[2]. الحجر / ٣٠

قَالَ عليه السلام: ﴿وَكُلّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ﴾

لأنّهُ لا يقوم إلاّ بالغير، فيكون محتاجا له، والقديم لا يقوم بشيئ، ولا في شيئ، لغنائه عن كلّ ما سواه.

(واعلم): إنّ القيام على أربعة أقسام:

(قيام صدور): وهو قيام الأشياء بفعل الله، قال عليه السلام: ﴿كُلّ شَيْئٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ﴾[1]، فالأشياء متقوّم بفعل الله قيام صدور، لأنّها صَدَرَتْ عنه، وقال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[2].

(وقيام ركن): وهو قيام الفاعل بالفعل.

يعني: صفته الفاعلية، لأنّ مبدأ الفاعلية الّذي هو المشتق هو الفعل، لأنّ الفاعل لا يكون فاعلاً إلاّ بالفعل، كالكاتب والصائغ، لا يكونان كاتبان وصائغان إلاّ بعد تحقّق فعل الكتابة والصياغة، وإنْ كان الفعل لا يتحقّق إلاّ بالفاعل، لأنهما متساوقان في الوجود والظّهور.

أو قيام الركن هو: قيام الماهية بالوجود، لأنّ الماهيّة لا توجد إلاّ بالوجود، فوجود الوجود شرط لتحقّق الماهية، فالماهية توجد بوجود الوجود وتعدم بعدمه.

---

[1]. مصباح المتهجد للطوسي والبلد الأمين للكفعمي.

[2]. الروم / ٢٦

(وقيام ظهور): وهو قيام الوجود بالماهيّة، يعني: لا يظهر الوجود إلاّ بالماهيّة، والماهية شرط لظهور الوجود، فالوجود قائم بالماهية قيام[1]، قَالَ عليه السلام: ﴿أقَامَ الأشياء بِأظلّتِهَا﴾[2].

(وقيام عروض): وهو قيام الأعراض بالجواهر، لأنّ العرض هو الذي يقوم بالشيئ، والجوهر الذي يقوم به الغير، فعلى هذا التّعريف كلّ شيئ جوهر وعرض، جوهر بالنّسبة إلى مَنْ هو أسفل منه، وعرض بالنسبة إلى مَنْ هو أعلى منه، ومن ذلك قيل مدح عليّ عليه السلام:

يَـــا جَـــوْهَرَاً قَـــامَ الْوُجُـــودُ بِـــهِ وَالنّـــاسُ بَعْـــدَكَ كُلّهُـــمْ عَـــرَضُ

فالأشياء بالنّسبة إليهم أعراض.

(ويصّح قولنا): إنّ الأشياء قائمة بهم عليهم السلام بالقيام الأربعة التي ذكرناها:

أمّا (قيام الصدور)؛ فإنّ حقائقَ الخلق مخلوقةٌ من فاضل طينتهم وأشعتهم، فهم شموس الوجود، والخلق أشعتهم.

وأمّا (قيام الركن والظهور والعروض)؛ ففي مقام قطبيتهم لأنهم عليهم السلام قطب رحى الأكوار والأدوار والأطوار والأوطار، فلا يقوم قائم إلاّ بهم عليهم السلام.

ونِعْمَ مَا قال شيخنا واستنادنا وَمَنْ إليه في كلّ حقّ استنادنا الشيخ الأوحد والكهف المعتمد حجة الله على المسلمين ومنتهى سلوك السالكين

---

[1]. كذا في المخطوطة والظاهر ان هناك سقط وهي كلمة: ظهور.

[2]. في الكافي للكليني: عن حماد بن عمرو عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألتُ أبا عبد الله عن: قل هو الله أحد؟ فقال: نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزليّاً صمديّاً لاظلّ له يمسكه وهو يُمسكُ الأشياء بأظلّتها..الحديث.

العارفين الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ زين الدين الهجري الأحسائي في مدح القائم (عجّل الله فرجه ورزقنا توفيق طاعته):

يَـا نُقْطَـةَ الأكْـوَارِ وَالأدْوَارِ وَالـ أطْـوَارِ وَالأوْطَـارِ أنْـتَ الْمُؤَمَّـلُ

(فالأكوار) عالم الغيب، (والأدوار) عالم الشهادة، كما قال عليّ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ كُوِّرْتُمْ كوْرَاتٍ وَدُوِّرْتُمْ دَوْرَاتٍ﴾[1]، (والأوطار) رابطة الغيب والشّهادة، (والأطوار) أطوارهما.

فهم عليهم السلام علّة الوجود وآية الموجود وسرّ المعبود بهم فتح الله وبهم يختم.

فأمّا كون الأشياء قائمة بهم قيام صدور؛ فذلك في رتبة بيانهم، ولذلك قال الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: ﴿وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إلاّ بإذنه﴾[2].

(وبالْجُمْلَة): كلّت الألسن عن بلوغ مدحهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كان الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَداً﴾[3]، وها هنا أسرار عجيبة في كون قيام الخلق بهم، لكن لا أستطيع إظهارها، فلنقبض العنان فللجدران آذان، ولا قوّة إلاّ بالله.

(والحاصل): إنّكَ قد عرفتَ أنّ القائم في غيره معلول فليس الله سبحانه قائماً بالغير وإلاّ لكان معلولاً لأنّ القائم بغيره محتاج له وكلّ محتاج ممكن.

---

[1]. في مشارق انوار اليقين للبرسي: لقد كررتم كرات وكم بين كرة وكرة من آية وآيات.

[2]. من لا يحضره الفقيه والعيون للصدوق وتهذيب الاحكام للطوسي وغيرها.

[3]. الكهف / ١١٠

قَالَ عليه السلام: ﴿بِصُنْعِ اللهِ يُسْتَدَلّ عَلَيْهِ﴾

(أقُولُ): لَمّا بيّن في مطاوي كلماته السّابقة امتناع معرفة ذاته بذاته بيّن بهذا الكلام طريق العلم بالله وسلوك معرفته بقدم العرفان، فقال عليه السلام: ﴿بصنع الله يستدل عليه﴾ لأنّ الأثر يدلّ على المؤثر، ولأجل ذلك لما جاء الأعرابي إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله واستدلّ على وجود الصانع بقوله: ﴿البعرة تدلّ على البعير وأثر الأقدام تنبئ عن المسير، قال صلى الله عليه وآله: عليكم بدين الأعرابي﴾[1].

---

[1]. في روضة الواعظين للفتال النيسابوري: (وقيل لبعض الاعراب: ما الدليل على ان للعالم صانعا؟ فقال: ويحك؛ إنّ البعرة تدلّ على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على الصانع الخبير؟).

◆وفي بحار الأنوار للمجلسي: (كدليل الاعرابي حيث قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الاقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير؟).

قَالَ عليه السلام: ﴿وَبِالْعُقُولِ نَعْتَقِدُ مَعْرِفَتَهُ﴾

(أقُولُ): لَمّا بيّن عليه السلام أنّ معرفة الذّات بطريق الكشف ممتنع أراد أن يبيّن طريقة معرفة الخلق بالإستدلال عليه فقال: ﴿بالعقول نعتقد معرفته﴾، لأنّ العقل هو الحجّة وهو النّبيّ الباطن، وهو جوهر بسيط درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيئ قبل كونه، فهو علّة الموجودات ونهاية المطالب، كما بيّن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي[1].

فلمّا كان أشرف الخلق وأعلى رتبة عمّا في الكون صار طريق المعرفة إلى الله، وهو أوّل الوجودات المقيدة وطريق معرفته طريق الإستدلال كما انه ينظر إلى العالم ويرى تقلّب أحواله يحكم بأنّ له صانعاً مدبراً لأحواله ولا يعلم كيف هو وما هو وأين هو وأيّ شيئ هو فهذا هو المعرفة بالإستدلال.

وحيث خلق الله الخلق أرسل اليهم حججا ظاهريّة وباطنيّة لئلا يتيهون الخلق في تيه المهالك ويرشدونهم إلى طريق الرشاد والصواب، فالحجج الظاهرة هم الأنبياء والرّسل، والحجّة الباطنة هي العقل، وهي آلة أعطيناها لِمَعرفة العبودية لا لدرك الرّبوبيّة بحقيقته، وإذا أردت أصل المسألة:

(فاعلم): إنّ الله لَمّا كلف الخلق بمقتضى صفتي الحكمة واللطف لصدق اسمي الحكيم اللطيف، وأخرجهم من طيّ اسمي الباطن العليم إلى فضاء سعة اسمي الظاهر الحكيم، أعطاهم القوى والمشاعر مما يدرك به المحسوس

---

[1]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني: (...فَقَالَ السّائِلُ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا الْعَقْلُ؟ قَالَ عليه السلام: جَوْهَرٌ بَسِيطٌ، دَرّاكٌ مُحِيطٌ بِالأشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، عَارِفٌ بِالشّيْئِ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَهُوَ عِلّةُ الْمَوْجُودَاتِ، وَنِهَايَةُ الْمَطَالِبِ).

وصورها وهي حدودها الظاهرة ومعانيها وهي حدودها الباطنة وأعطاهم العقل وهو الحجة الباطنة المفطورة على الحكم بالحاجة إلى معلم ربّانيّ وتصديقه بعد تصحيح دعواه وتبين مدّعاه به يعرف الصادق على الله فيصدقه والكاذب فيكذبه، ولذلك ورد في الرواية: ﴿إنّ اللهَ يُعَاقِبُ النّاسَ عَلَى قَدَرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدّنْيَا﴾[1].

وَوَرَدَ أَيْضاً: ﴿إنّ الله لما خلق العقل قال له: أقبل، فأقبل ثمّ قال له: أدبر، فأدبر ثمّ قال وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أحبّ إليّ منك، بك أثيب وبك أعاقب...الحديث﴾[2].

(وَبِالْجُمْلَةِ): هو حجّة الحقّ على الخلق، وكلّ ما يدرك فهو الحقّ، إذ العقل لا زال مقبلاً على الله ومستنيراً بنوره فإذا استنار بنوره انصبغ بصبغة فلا يرى إلاّ النّور، ولا يحكم إلاّ بالنور والصّواب، وكلّ ما حكم به العقل لا يجد أحد فيه مقالاً، فإذا دريتَ ما ذكرنا.

(فاعلم): إنّ الّذي لم يبلغ مرتبة العصمة من الخلق فجهات إدراكه مختلفة؛ تارة يدرك الشيئ بعقله، وتارة يدرك بنفسه الأمارة بالشّيطنة والنكرى، كما أنّ الإمام عليه السلام لما سئل عن العقل؟ قال: ﴿العقلُ ما عُبِدَ بِهِ الرّحمن

---

[1]. في الكافي للكليني والمحاسن للبرقي وغيرهما: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا)، ويداق: يحاسب.

[2]. في الكافي للكليني: (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر، فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب.)

واكتسب به الجنان، قيل: فما الذي كان في معاوية لعنه الله؟ قال: تلك الشيطنة تلك النكرى﴾[1].

(والحاصل): انا احتجنا إلى ميزان نزن به إدراكاتنا فنميّز بين ما أدركه العقل وبين ما أدركته النفس، فلم نجد الميزان إلاّ سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين لم يخطئوا أبداً، لأنّهم لا ينظرون إلى أنفسهم طرفة عين أبداً، بل ينظرون إلى نور الله دائماً، ولذلك استناروا بنور الله حتى صاروا نور الله، فأخذ الله سبحانه عن هواهم إلى رضاه، فلا يقولون إلاّ ما قال الله، ولا يأمرون الا ما أمر الله به، ولا ينهون إلاّ ما نهى الله عنه، فهم القسطاس المستقيم، فزن ادراكك بسنتهم وكلامهم، فما وافق قولهم حقّ لا ريب فيه، وما خالفهم فهو باطل لا شبهة يعتريه، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2].

(ولعلّك تقول): إذا كان الأمر كذلك، فيلزم الدّور، لأنّ طريق إثبات عصمتهم وحقيّتهم من العقل، فلو كان حجيّة العقل متوقف على موافقتهم هذا هو الدّور، فأقول ولا قوّة إلا بالله:

إنّ العقل عقلان:

---

[1]. في الكافي للكليني وغيره: (عن محمد بن عبدالجبار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عُبِدَ به الرّحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل).

[2]. النساء / ٦٦

(الأول): العقل الطّبعاني، وهو اتفاق العقول بأجمعهم على شيئ واحد لا اختلاف فيه، كاتفاقهم على وجود الصانع، فإنّ العقول لَمّا نظرت في العالم ورأت تقلّب أحوالها وأوضاعها وأكوارها وأدوارها وأطوارها وأسبابها ومسبباتها حكمت بوجود صانعها، وبعثت الأنبياء لتبليغ أحكام الصّانع، لأنّهُ لم يصنعها عبثاً.

(والثاني) العقل المكتسب، وهو الذي تراه مختلفاً، ولذلك ترى أنّ زيداً يحكم على شيئ ببرهان العقليّ، ويحكم آخر على ذلك بخلافه، وثالث يجمع آرائهما ببرهان العقل، ورابع يحكم على عدم اجتماعهما بوجه من الوجوه، فلو كان هذا الإدراك من العقل لما كان فيه اختلاف أبداً، إذِ الحقّ واحد لا تعدّد فيه، فإذن احتجنا إلى ميزان لنعلم أيّ الحزبين أحقّ بما قالوا، وقول أيهما حقّ يطابق الحقّ الصريح، فهذا النّمط من الإدراك الذي سمّيته إدراك العقل لا يعتمد عليه إلاّ إذا وزن بالقسطاس المستقيم، وهو سنة النّبيّ وأحاديث أهل العصمة سلام الله عليهم أجمعين.

والعقل الذي يدرك حجيّة النّبيّ والوصيّ ويثبتهما هو القسم الأول، فلا يلزم الدور، فثبت انّ هذا الدّليل العقليّ الّذي تثبته حجيته موقوف على العرض على الكتاب والسّنة، فإذا طابق الكتاب والسّنة خذه واعتقد به واعتمد عليه، وإذا خالف الكتاب والسّنة فاضربه على الجدار، لأنّهُ ليس بشيئ من الحقّ، وإلاّ لما كان مخالفاً للكتاب والسنة، فخذ ما ذكرناه قاعدة كليّة فإنك تحتاج إليه في أكثر الأمور، ولا قوّة إلاّ بالله.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ﴾

(أقُولُ): لَمّا ذكر عليه السلام أنّ التّصديق الإقراريّ بمعرفته سبحانه إنما هو بالعقول، أرَادَ أنْ يُبَيّنَ أنّ ذلك ليس بصنع من العقول، بل هو فطرة الله التي فطر النّاس عليها.

ولولا تلك الفطرة لَمَا عَرَفَ أحَدٌ رَبّهُ، فالتوحيد مجبولٌ في فطرة النّاس، لأنّهم هياكل التّوحيد، ومحلّ آثار الوحدة.

❖ولذلك وَرَدَ: ﴿إنّ النّاسَ مَفْطُورُونَ بِالإقْرَارِ بِالصّانِعِ﴾[1].

❖وعن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنِ الرّجُلَ عِنْدَ اللهِ مُؤْمِناً قَدْ ثَبَتَ لَهُ الإيمانُ عِنْدَهُ ثُمّ يَنْقُلُهُ اللهُ بَعْدَ الْكُفْرِ إلى الإيمانِ - إلى أنْ قَالَ - إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ خَلَقَ كُلّهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ الّتِي فَطَرَهَا عَلَيْهَا، لا يَعْرِفُونَ إيمَاناً بِشَرِيعَةٍ وَلا كُفْراً بِجُحُودٍ، ثُمّ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ يَدْعُو الْعِبَادَ إلى الإيمانِ بِهِ، مِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللهُ﴾[2].

❖وعن أحدهم عليه السلام: ﴿كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَأبَوَاهُ يُهَوّدَانِهِ وَيُمَجّسَانِهِ وَيُنَصّرَانِهِ﴾[3].

---

[1]. في بحار الأنوار للمجلسي: بيان: ..وقيل: كلهم مفطورون على معرفة الله والاقرار به فلا تجد أحدا إلا وهو يقر بأن الله تعالى صانع له، وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره.

[2]. الكافي للكليني وعلل الشرائع للصدوق وغيرها.

[3]. علل الشرايع للصدوق وتفسير مجمع البيان للطبرسي وغيرها.

ولعلّك سمعت ما روي عنهم عليهم السلام: ﴿إنّ الشّقيَّ شَقِيٌّ في بَطْنِ أمّه، والسّعيدُ سَعيدٌ في بَطْنِ أمّه﴾[1].

(فتقول): إنّ هذه الرّوايات تعارض بعضها بعضاً؟

(فنقول ولا قوّة إلاّ بالله):لا تعارض بين هذا الخبر وبين الأخبار المتقدمة:

(أمّا أوّلا): فلأنّ المراد من قوله عليه السلام: ﴿الشقي شقي في بطن امه والسعيد سعيد في بطن امه﴾، صلوحية المولود للشّقاوة والسّعادة، فلما تولّد والداه الظاهري الجسماني يهودانه ويمجسانه وينصرانه، فلوجود صلوحية السعادة والشقاوة قال شقي وسعيد في بطن أمّه.

(ويحتمل): أنْ يراد من بطن الأمّ الدّنيا، لكون العناصر امهات للمواليد الثلثة اعني: الجمادات والنباتات والحيوانات، والانسان نوع من الحيوان، فيكون المعنى: ﴿الشّقيُّ شَقِيٌّ في بَطْنِ أمّه والسّعيدُ سَعيدٌ في بَطْنِ أمّه﴾ أعني: الدّنيا، لأنهُ يحشر يوم القيامة على ما كان في هذه الدّنيا، ويبقى على تلك

---

[1]. في تفسير علي بن ابراهيم الكوفي: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الشّقيّ مَنْ شقي في بطن أمّهِ والسّعيد مَنْ سعد في بطن أمّه)، وفي التوحيد للصدوق: (عن محمد بن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (الشقيّ مَنْ شقي في بطن أمّهِ والسّعيدُ مَنْ سعد في بطن أمّه) فقال: الشقيّ مَنْ علم الله وهو في بطن أمّه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسّعيدُ مَنْ علم الله وهو في بطن أمّهِ أنه سيعمل أعمال السعداء–الحديث)).

الحالة أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولن يغيّر أحواله بعد ما مات وخرج من الدّنيا، قال عليه السلام: ﴿عَلَى مَا تَعِيشُونَ تَموتُونَ وَعَلَى مَا تَموتُونَ تُبْعَثُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كان فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[2].

فاذا كان بطن الأمّ عبارة عن هذه الحياة الدّنيا فالجمع بينهما ظاهر جداً.

(ويحتمل): أنْ يكونَ المراد ببطن الأمّ الصّورة، لأنّ الصّورة هي الأمّ والمادّة هي الأب على خلاف قول الحكماء حيث ذهبوا إلى أصالة الصورة وتبعية المادة، فإنّ الصّادق عليه السلام نصّ على أصالة المادة وتبعية الصّورة في قوله: ﴿إنّ اللهَ خَلَقَ المؤمنينَ مِنْ نُورِهِ وَصَبَغَهُمْ في رَحْمَتِهِ، فَالمؤمِنُ أخُو المؤمِنِ لأبيهِ وَأمّهِ أبُوهُ النّورُ وأمُّهُ الرّحْمَةُ﴾[3].

---

[1]. في عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الأحسائي: (قال صلى الله عليه وآله: كما تعيشون تَموتون وكما تَموتون تبعثون، وكما تبعثون تحشرون).

[2]. الاسراء / ٧٣

[3]. في بصائر الدرجات للصفار: ((عن سليمان الجعفري قال: كنتُ عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان؛ إتّقِ فراسةَ المؤمن فإنّهُ ينظر بنور الله، فسكت حتى أصبتُ خلوة فقلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ سمعتُكَ تقول: اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال: نعم يا سليمان؛ إنّ الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النّور وأمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خلق منه)).

❖وفيه: ((عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك؛ هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال: وما هو؟ قال: ان المؤمن ينظر بنور الله؟ فقال: يامعاوية؛ إنّ الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن مِنْ أبيه وأمّه، أبوه النّور وأمّه الرّحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خلق منه)) وذكر مثله في المحاسن للبرقي وتفسير الصافي للكاشاني وفضائل الشيعة للصدوق ومختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي وغيرها.

ومدخول: (مِنْ) المادة لا غير.

فالمادّة أبٌ للشيئ والصّورة أمٌ له، وبالصورة يمتاز الشيئ عن غيره لا في المادّة، لأنّ في المادة -التي هي الأصل- صلوح قبول الصّورة، وشقاوتها وسعادتها إنّما هي بالصّورة لا غير، كالخشبة فإنّها إنْ لم تتصور بصورة الصّنم أو الضّريح أو الباب أو غير ذلك لم يحكم عليها بالسّعادة والشّقاوة والحسن والقبح، فإذا صيّرتها -مَثَلاً- ضَريحاً للحسين عليه السلام يجب لك[1] احترامها وتقبيلها، وإذا جعلتها صنماً يجب تقبيحها وإحراقها.

(وَبِالْجُمْلَةِ): إنّ المادّة على فطرة التّوحيد، وتعيّنها بالشّقاوة والسّعادة إنما يكون بالصّورة التي هي الأمّ، وتسمية الأمّ بـ: (أبواه) يكون مجازاً لكونه أحد الأبوين، فأوّل ما خلق الله المادّة، وخلق من المادة الصّورة، لأنّ الفصل مخلوقٌ من الجنس ومتقوم بالجنس خلافاً للحكماء حيث قالوا: إنّ الأجناس متقومة بالفصول فإنّ أرادوا بذلك التقوم بالتمايز فمرحباً بالوفاق، وإلاّ فهو غلط محضٌ، ولكنهم لا يقولون متقومة بالتمايز لقولهم بأصالة الصورة، والمادة من حيث هي ليس لها حكم إلاّ الوحدة التي نريد بها (الفطرة) فإذا تشخصت تلك المادة بالصورة أي: لبست صور الشقاوة والسعادة حكم عليها بمقتضاء الصورة، فالصّورة التي هي الأمّ جعلتها شقية وسعيدة، فإذا عرفت هذا عرفت[2] الجمع بينهما.

---

[1]. كذا في المخطوطة والظاهر الأصح: عليك.

[2]. كذا في المخطوطة والظاهر وجود سقط كلمة: طريق.

(ويحتمل): أن يراد بالأبوين أبوي الشّرور، الذين هما الأوّل والثّاني، فإنّ للإنسان آباء وأمهات:

أبوان للخير والنّور، وأبوان الشر والظلمة، وأبوان للجسد.

أمّا الأوّلان: فهما محمّد وعليّ صلوات الله عليهما.

وأبوان الشّرور: (فلان وفلان).

وأبوان الجسد: معروفان.

وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾[1] ويعني: أبوي الشرور.

وقال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[2] يعني: أبوي الجسد.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

(والحاصل): إنّ الله لَمّا خَلَقَ الخَلْقَ في عالم الذّرّ، أعني: عالم النفوس حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[4]، جعل لكل شيئ ميلين متعاكسين متخالفين؛ أحدهما يميل إلى

---

[1]. العنكبوت / ٩

[2]. لقمان / ١٦

[3]. لقمان / ١٦

[4]. الاعراف / ١٧٣

النور والآخر إلى الظلمة، حتّى يتحقّق الإختيار ويرتفع عن فعله سبحانه توهّم الجبر والظلم.

والميلان ذاتيان للشيئ، لأنّ أصل ذاته: قبضة من العلّيين وقبضة من السّجين.

(وبعبارة اخرى): من النور والظلمة.

(وبعبارة اخرى): من الوجود والماهية.

(وبعبارة اخرى): من المادة والصورة.

فقبض من كل واحد منهما وعركهما عركا شديداً، ثم خلق منه الشيئ يعني: إنّ الشيئ متوقف وجوده على شيئين: الإيجاد والإنوجاد، فالإيجاد بلا انوجاد لا يتحقق أبَداً، ونعني بالايجاد: المادة، وبالإنوجاد الصورة، فالشّيئ بهما يكون شيئاً، وهذان الميلان ميل وجوده إلى النور وميل ماهيته إلى الظلمة.

فلما كمل الشيئ وفيه هذين الميلين اللذين هما قابليتان لتصوّره بالصورة الحسنة والخبيثة كلّفه الله سبحانه وتعالى فلمّا اجاب داعي الله بقوله: ﴿بلى﴾ صوره بفعله أي: قبوله بصورة حسنة وكان مطيعاً لابويه اللذين هما محمّد وعليّ عليهما السلام، ولما لم يجب داعي الله بقوله: (نعم)، صَوَّرَهُ اللهُ بِفِعْلِهِ بِصُورَةٍ خَبِيثَةٍ رَدِيَّةٍ، وكان طائعاً لأبويه اللذين هما: فلان وفلان.

ثُمّ إنّ الله تعالى لَمّا أراد أنْ ينزلهم من ذلك العالم العلوي إلى هذا العالم السفلي كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ

رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين﴾[1]، وكان تنزله أيضاً بفعله وقبوله، لأنّ الله لا يظلم أحداً: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد﴾[2]، نزل إلى هذا العالم حتى يستجلب كمالات النّفسية التي لا تحصل إلاّ بالمسافرة عن وطنك قال عليّ عليه السلام:

تغرّبْ عن الأوْطَانِ في طَلَبِ العُلَى ... وَسَافِرْ فَفِي الأسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرّجُ هَمّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

فَإنْ قُلْتَ: في الأسْفَارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ ... وَقَطْعُ الْفَيَافِي وَارْتِكَابُ الشّدَائِدِ

فَمَوْتُ الْفَتَى خَيرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ ... بِدَارِ هَوَانٍ بَينَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

(والحاصل): نَزَلَ إلى هذا العالم، وانتقل من عالم إلى عالم، ولبس من كل عالم ثوباً، حتّى إذا وصل إلى عالم النّطفة ثمّ إلى عالم العلقة ثمّ إلى المضغة ثمّ إلى العظام ثمّ إلى إكساء اللحم ثمّ إلى إنشاء خلق آخر في بطن الأمّ، فكلّ ما حصل من الكمالات الصّورية والباطنيّة كانت كامنة فيه بطريق استجنان الشّجرة في النّوى، فكلّ صورة قبلت من صورة السّعادة والشّقاوة كانت معه وهو كان متصوراً بها فكان شقيّاً في بطن أمّه وسعيداً في بطن أمّه.

وتولّد في أوّل الخلقة على الفطرة -كما بيّنا أوّلاً- ثمّ اختار الشّقاوة والسّعادة، فلا يكون تعارض بين الرّوايتين.

(أو إنّا نقول): لَمّا كانت هذه الدّنيا دار بلاء واختبار، وأوّل ما يتولد الإنسان من بطن الأمّ إلى قبل البلوغ وإلى حدّ البلوغ حكمه حكم العالم الأوّل

---

[1]. التين / ٥ - ٦

[2]. فصلت / ٤٧

الّذي نسمّيه بالذّر الأوّل، أعني: عالم العقول وعالم الإجمال، كان حكم المولود على حد حكم ذلك العالم، ولم يحكم عليه بالسّعادة والشّقاوة الظّاهريّة، وإن كانت السّعادة والشّقاوة فيه موجودتان بالوجود الباطني، وما برز إلى عالم الظّاهر فهو يدور على ما يديرونه أبواه فيكون شقيّاً وسعيداً بالظّاهر فيحكم عليه.

(وَبِالْجُمْلَةِ): إنّ الخلق كلّهم مفطورون على توحيده سبحانه، لأنهم هياكل التوحيد، ولما كانوا مفطورين على التوحيد ثبت حجّة الحقّ عليهم لأجل تلك الفطرة، فلا حجّة لهم عليه، بل له عليهم الحجّة.

قَالَ عليه السلام : ﴿خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ حِجَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ﴾

يعني: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بالخلق عن الخلق، لأنّ الشيئ له اعتباران؛ مِنْ ربّه، ومِنْ نفسه، ولا يجوز أنْ يكونَ شيئ في العالم ليس فيه هذان الإعتباران، فَمِنْ جهة نَفْسه مَحْجُوبٌ عَنِ الحقّ، لأنّهُ إذَا نَظَرَ إلى نَفْسه مِنْ حَيْث نَفْسه بَعُدَ عَنِ الحقّ، ولم يكن ناظراً إليه، فلذلكَ كان محجوباً عنه، قال عليه السلام: ﴿وإنّكَ لا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقكَ إلاّ أنْ تَحْجُبَهُمُ الآمَالُ دُونَكَ﴾[1]، وهذا الحجاب هو المعصية التي ورد في الشّريعة، لأنك متى ما كنت ناظراً إلى الحقّ ومستنيراً بنوره كنتَ مُقبلاً عليه، فإقبالك هي الطّاعة، وإذا نَظَرْتَ إلى نفسك لم تكنْ مُقبلاً على الحقّ، لأنّ نَظَرَكَ إلى نفسك هو الذّنب، نعْمَ مَا قِيلَ:

لَقَدْ قُلْتُ: مَا أذْنَبْتُ؟ قَالَتْ مُجِيبَةً ... وُجُودُكَ ذَنْبٌ لا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

والممكن الفقير لا يمكنه الإستخلاص من هذا إلاّ إذا قطع النظر عن مشاهدة نفسه، فإذا قَطَعَ النّظَرَ كان مقبلاً عليه وواقفاً في مقام المعرفة التي هي عين المحبّة الّتي أشار اليه في الحديث القدسي: ﴿لا زَالَ الْعَبْدُ يَتَقَرّبُ إلَيّ بِالنّوَافِلِ حَتّى أحِبّهُ، فَإذَا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الّتي يُبْصِرُ

---

[1]. في إقبال الاعمال لابن طاوس: وإنك لا تحجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال (الآمال) دونك.

بِهِ وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا﴾[1]، فاذا وقف في مقام المحبة يكون مثاله الملقى في هويته كالحديدة المحماة بالنار فإنّها تعمل عمل النار ولذلك قال في الحديث القدسي:

﴿يَا بْنَ آدَمَ؛ أطعْني أجْعَلْكَ مَثَلِي، أنَا أقُولُ لِلشَّيْئِ: كُنْ، فَيَكُون، وَأنْتَ تَقُولُ لِلشَّيْئِ: كُنْ، فَيَكُون﴾[2]، وهذا المثال هو الذي عبر عنه (بأنا) كما في الحديث القدسي: ﴿يابن آدم؛ ظَاهِرُكَ لِلْفَنَاءِ وَبَاطِنُكَ أنَا﴾[3].

وقوله: ﴿أنا﴾، يريد به الذّات الظاهرة بالكلام، لا عين ذات الحقّ كما زعمه الطوائف حيث قالوا: إنّ حقيقة العبد هو الرّبّ، كما ذكر ابن أبي جمهور الأحسائي في كتاب المجلي قال: (الثالث: رؤية الحق في الخلق والخلق

---

[1]. في الكافي للكليني: عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام قال: (..وَمَا يَتقرّبُ إليّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بشَيئ أحبّ إليّ مِمّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وإنّهُ لَيَتَقَرّبُ إليّ بِالنّافِلَةِ حَتّى أحِبّهُ، فَإذَا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ إذاً سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الّذِي يَنْطقُ بِهِ وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا، إنْ دَعَاني أجَبْتُهُ وَإنْ سَألَني أعْطَيْتُهُ)، وفي علل الشرايع للصدوق: عن أنس عنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: (..وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتهل إليّ حتّى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤئلاً، إنْ دعاني أجبته وأن سألني أعطيتهن وروي بطرق وألفاظ مختلفة في كتب عديدة.

[2]. في مشارق انوار اليقين للبرسي: ورد في الحديث القدسيّ عن الرّبّ العليّ أنه يقول: عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا حيّ لا أموت، أجعلك حيا لا تموت، أنا غني لا أفتقر، أجعلك غنيا لا تفتقر، أنا مهما أشأ يكن، أجعلك مهما تشأ يكن، وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للحر العاملي: ورد في الحديث القدسي: يابن آدم؛ أنا غنيّ لا أفتقر أطعني فيما أمرتك أجعلك غنيّا لا تفتقر، يا بن آدم؛ أنا حيّ لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حيّا لا تموت، أنا أقول للشيئ: كن، فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيئ: كن، فيكون.

[3]. في مشارق أنوار اليقين للبرسي: يقول الرّبّ الجليل في الإنجيل: اعرف نفسك أيها الإنسان تعرف ربك، ظاهرك للفناء وباطنك أنا، وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للحر العاملي: وقال الحافظ رجب البرسي: يقول الرّبّ الجليل في الإنجيل: اعرف نفسك ايها الانسان تعرف ربك، ظاهرك للفناء وباطنك للبقاء.

في الحق بحيث لا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود الواحد بعينه حقّاً من وجه وخلقاً من وجه ولا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الأحدي ولا تزاحم في شهود كثرة المظاهر احديّة الذّات الّتي يتجلّى فيها كثرتها ومشاهدة هذه المرتبة يسمّى ذو العقل والعين معاً والى المراتب الثلاثة انشأ ابن الأعرابي بقوله:

ففي الخلق عين الحق إن كنت ذا عين
وفي الحق عين الخلق ان كنت ذا عقل وعين

فما ترى سوى عين شيئ واحد فيه بالشكل وهذا هو التّوحيد الجمعي الحقيقي، ومن هذا قيل: العالم غيب لم يظهر قطّ والحقّ تعالى هو الظاهر ما غاب قط ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1]، فإنّ الذّات والوجود بمعنى واحد وكذلك الاسم والصفة والكلّ عين واحدة من غير مغايرة بينهما:

العين واحدة والحكم مختلف وذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾[2]، وليس الهلاك موقوفاً على زمان أو مكان بل هو واقع أزلاً وأبداً كالأمواج بالنسبة إلى البحر فإنّها هالكة بالذّات فانية بالحقيقة وإنْ كانت لها صور وتعين في النّظر للبحر:

بحر على ما كان في القدم إنّ الحوادث أمواج وأنهار
لا يحجبنك أشكال يشاكلها عمّن تشكل فيها وهي أستار

---

[1]. البقرة / ١١٦

[2]. القصص / ٨٨

الباقي باقي لم يزل والفاني فاني لم يزل

توهمت قدما أنّ ليلى تبرقعتْ وأنّ حجابا دونها يمنع اللّثما

فلاحت فلا والله ما كان حجبها ولكن طرفي كان من حسنها أعمى

انتهى)

وقال صاحب جامع الأسرار السيد حيدر علي الآملي:

وما الخلق في التمثال الا كثلجة ❖ وانت لها الماء الذي هو نابع

ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ❖ ويوضع حكم الماء والامر واقع

وقال مميت الدين ابن عربي في ديباجة بعض مصنفاته:

(الحمد لله الذي أظهر الأشياء وهو عينها)

وقال أيضاً:

ما لِمجنون عامر بهواه ❖ غير شكوى البعاد والاغتراب

وانا ضده فان حبيبي ❖ في فؤادي لم أزل في اقتراب

فحبيبي مني وفي عندي ❖ فلماذا أقول ما بي وما بي

وقال اخر:

لقد كنت قبل اليوم منكر صاحبي ❖ اذا لم يكن ديني إلى دينه دان

فقد صار قلبي قابلا كل صورة ❖ فمرعى لغزلان وديرا لرهبان

وبيتاً لأوثان وكعبة طائف ❖ وألواح توراة وأوراق قرآن

أدين بدين الحبّ انى توجهت ❖ ركائبه ارسلت ديني وإيماني

ونقل عن ابي يزيد البسطامي انه قال: (سبحاني سبحاني مااعظم شاني)

وقيل له: ما في جبتك؟ قال: ليس في جبتي سوى الله.

ونقل عن بعضهم انه قال: انا الحق.

وكان يقول:

ما في الديار سواي لابس مغفر ❖ وانا الحما والحي والفلوات

وأمثال ذلك، فإنهم يقولون: إنّ الحقّ هو الّذي يتشكل بالأشكال فيظهر بالصّور ما شاء، ولذلك قال ابن عربي: أراد الحق أنْ يعبد في كل صورة.

ويزعمون: إنّ هذه الصور كلّها براقع جماله فإذا ارتفع النقاب وزال الحجاب لم يبق إلاّ الحقّ.

فالصّور هي الإمكان فإذا ارتفع الإمكان بقى الواجب وحده تعالى ربّنا عمّا يقولون علواً كبيراً.

لست أدري ما يزعمون؟! لو كان الحق هو الذي يظهر في أيّ صورة شاء أو أنّ الممكنات تعيناته وحدوده لزم أنْ يكونَ القديم حادثاً لاقترانه بالحوادث بالإجتماع والإفتراق والحركة والسكون، فلا محيص لهم إلاّ أنْ يختاروا أحد الأمرين؛ إمّا أنْ يقولون بأنّ الأشياء كلّها قديمة وليس في الوجود شيئ حادث.

أو يقولون: انّ الأشياء كلها حادثة وليس في الوجود قديم أبداً.

وكلاهما كفر وزندقة.

(أمّا القول الأوّل): فبطلانه ظاهر، للزوم تعدّد القدماء، وبطلان تعدّد القدماء ظاهر، لبراهين التوحيد.

(وأمّا القول الثاني): ففساده بَيّنٌ، لاحتياج الحوادث إلى مَنْ يسدّ فقرها، ولأنها معلولة، واحتياج المعلول إلى العلّة واضح، إذ لا وجود للمعلول بدون

العلّة، والّذي يسدّ فقرها وجب أنْ يكونَ واجباً غنيّاً عمّنْ سواه وإلاّ لزم الدّور والتّسلسل، وبطلانهما في سلسلة الوجود موجود.

فَصَحّ بطلان القولين وَظَهَرَ فساد ما ذهبوا إليه من انّ الممكنات تعينات الواجب وهي حجاب ذاته.

فإذا ارتفع الحجاب من البين لم يبق الاّ الحقّ في البين، والمذهب الحق الذي لا يعتريه ريب ولا يطري عليه عيب هو:

إنّ الحقّ سبحانه لا يعرف مِنْ سِنْخِ ذاته، وليس للخلق سبيلٌ إلى معرفته، وليس بينه وبين خلقه حجاباً غير خلقه -كما بَيّنّا- وحقائق الخلق كلّها هي آثار فعله وآيات توحيده ومقامات وحدانيته، فإذا ارتفع الحجاب من البين لا يرى إلاّ تلك المقامات التي هي آثار فعله، والمقامات هي الأنموذج الفهواني، الذي لا يعرف الله بالله إلاّ به، قال القائم (عجل الله فرجه) في دعاء الرجبية:

﴿وَبِمَقَامَاتِكَ الّتي لا تَعْطِيلَ لَهَا في كُلّ مَكَانٍ يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إلاّ أنّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ﴾[1]، فهذه الرتبة هي حقيقة النفس مع قطع النظر عن ملاحظة وجودها، وذلك لا يحصل إلاّ إذا جرّدتها عن السّبحات التي هي الحجب المانعة عن مشاهدتها، وتلك الحجب هي تعيّناتها بالإضافات إلى الأغيار[2] تورث الأكدار، فاكشف النقاب، واخرق الحجاب، حتى تشاهد ربّ

---

[1]. مصباح المتهجد للطوسي وإقبال الأعمال لابن طاوس والبلد الأمين للكفعمي وغيرها.

[2]. (لأنّ إضافتها إلى الأغيار، غير موجودة في خ م)

الأرباب، بعين مشاهدته لك بك في كلّ باب وفز بالنصيب من المعلى والرقيب وتلك الحجب التي تجب إزالتها ثمانية لو كشفتها تحط في رحيب فناء الحبيب:

(الأوّل): حجاب العقل.

(والثّاني): حجاب الرقائق، أعني: الرّوح.

(والثّالث): حجاب النفس.

(والرّابع): حجاب الطّبيعة.

(والخامس) حجاب المادّة

(والسّادس): حجاب المثال.

(والسابع): حجاب الجسم.

(والثامن): حجاب الأعراض والألوان.

فأخسّ الحجب الثامن.

وإزالة تلك الحجب مشكل جداً، إذْ لا يوفّق لِهَذَا أحَدٌ إلاّ بتوفيق من الله مع المجاهدات النّفسانية والرّياضات الشّرعيّة الواردة بألْسِنَة حفظة الشريعة والأخذ عنهم في كلّ باب والإعراض عن غيرهم في المبدء والمآب:

قال عليه السلام: ﴿ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إلى غَيْرِنَا إلى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يَفْرُغُ بَعْضُهَا في بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إلَيْنَا إلى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأمْرِ اللهِ وَلا نَفَادَ لَهَا﴾[1].

---

[1]. في الكافي للكليني وتفسير فرات الكوفي وبصائر الدرجات للصّفّار وغيرها بألفاظ متقاربة واللفظ للكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: (..ذَهَبَ النّاس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها، لا نفاد لها ولا انقطاع).

ونعم ما قيل:

فَإنْ شِئْتَ أنْ تَخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَذْهَباً ... يُنَجّيكَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِنْ لَهَبِ النَارِ

فَدَعْ عَنْكَ قَوْلَ الشّافِعِيّ وَمَالِكٍ ... وَحَنْبَلَ وَالْمَرْوِي عَنْ كَعْبِ أحْبَارِ[1]

وَوَالِ أنَاسَاً دِينُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ ... رَوَى جَدّنَا عَنْ جَبْرَئِيلَ عَنِ الْبَارِي

ولكن:

وَكُلاّ يَدّعِي وَصْلاً بِلَيْلَى ... وَلَيْلَى لا تُقِرّ لَهُمْ بِذَاكَا

فيا أخي:

إذَا انْبَجَسَتْ دُمُوعٌ مِنْ عُيُونٍ ... تَبَيّنَ مَنْ بَكَى مِمّنْ تَبَاكَا

فأوّل الحجب حجاب الأعراض والألوان، فنزلها عن قلبك، وكذلك البواقي، فإنّها تمنعك عن المشاهدة إلى جماله.

والعجب كلّ العجب من الصّوفيّة حيث يأمرون السّالكين في أوّل سلوكهم في الطريقة بمحبة الفسّاق والصّبيان الّذين لَهُمْ نَصيبٌ من الأعراض والألوان، فحسنت وجوهم بحسن مأكلهم ومشربهم في عالم الظاهر المحسوس، وإذا نظرت إلى باطنهم فلا تجد إلاّ دَمَاً وَقَيْحَاً.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِمّنْ أثِقُ به: أنّ رجلا عارفاً كان في بعض الطريق ومعه تلامذته فعارضتهم إمرأةٌ جميلة حسناء، فافتتن بها بعض تلامذته، فلمّا رأى ذلك العارف تلميذه وعرف ما أصابه، قال: يا فلان؛ إقلبها وانظر إليها فما ترى

---

[1]. كذا ولا يستقيم الوزن من بحر الطويل والصحيح: وحنبل والمنقول عن كعب أحبار.

إلاّ دَمَاً وقيحاً لا تستطيع النّظر إليها من شدّة كراهتها، فلما سمع التلميذ كلامه تفطّن، فخرج محبتها من قلبه، نعم هكذا يفعل الأولياء.

والعجب! انهم لو افتتنوا بهذه الأعراض والألوان الّتي لا يقدر على كشفها كلّ أحد وهي من أخسّ الحجُب وأدناها وبقوا في ذلك كيف يمكنهم كشف سائر الحجب الّتي مِنْ دونها حتُوفٌ وَمَهَالك، نِعْمَ مَا قِيلَ:

كَيْفَ الْوُصُولُ إلى سُعَادَ وَدُونَهَا ... قُلَلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنّ حُتُوفُ

فيا أخي إذَا أرَدْتَ نَيْلَ المرام فدع عنك قول الأقوام ولا يغرنك قولهم: إنْ أحْبَبْتَ غُلاماً حَسَناً أو إمرأة حسناء تجمع مشتّات قلبك وحواسك فيكون دليلك إلى محبّة الحقّ لأنّهُ مظهر جماله فإنّ المجاز قنطرة الحقيقة.

وقد ذكر صاحب الأسفار في كتابه ما يُبيّن حسن المحبّة والعشق للفتيان والصّبيان فإنّها مُقدّمة لمحبّة الحقّ ومجازها، يعجبني ذكرها:

قَالَ: (فَصْلٌ: في ذكر عشق الظّرفاء والفتيان للأوجه الحسان: إعلم أنّهُ اختلف آراء الحكماء في هذا العشق وماهيّته، وأنّهُ حَسَنٌ أو قبيحٌ؟ مَحْمُودٌ أو مَذْمُومٌ؟

فمنهم: ذَمّهُ، وَذَكَرَ أنّهُ رذيلةٌ، وَذَكَرَ مَسَاويه، وقال: إنّهُ مِنْ فِعْلِ البطّالينَ والمعطّلين.

ومنهم: مَنْ قال: إنّهُ فضيلةٌ نفسانيةٌ، وَمَدَحَهُ وَذَكَرَ مَحَاسِنَ أهْلِهِ وشرف غايته.

ومنهم: مَنْ على ماهيته وعلّله وأسبابَ معانيه وغايته.

ومنهم: مَنْ زعم: أنّهُ مرض نفسانيّ.

ومنهم مَنْ قال: إنّهُ جُنُونٌ إلهيّ.

وَالّذي يدلّ عليه النّظر الدّقيق والمنهج الأنيق وملاحظة الأمور عن أسبابها الكليّة ومبادئها العالية وغاياتها الحكمية: هذا العشق -أعني: الإلتذاذ الشّديد بحسن الصورة الجميلة والمحبة المفرطة لِمَنْ وُجِدَ فيه الشمائل اللّطيفة وتناسب الأعضاء وجَوْدة التركيب- لَمّا كان موجوداً على نحو وجود الأمور الطّبيعة في نفوس أكثر الأمم من غير تكلّف وتصنّع، فهو لا محالة من جملة الأوضاع الإلهيّة الّتي يترتب عليها المصالح والحكم، فلابُدّ أنْ يكونَ مُستحسناً محموداً سيّما وقد وقع من مبادٍ فاضلةٍ لأجل غايات شريفة، أمّا المبادئ فلأنّا نجد أكثر نفوس الأمم الّتي لَهَا تعليم العلوم والصنايع والآداب والرياضات مثل أهل الفارس وأهل العراق وأهل الشام والرّوم وكلّ قوم فيهم العلوم الدّقيقة والصنايع اللّطيفة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق اللطيف الذي منشأه استحسان شمائل المحبوب، ونحن لم نجد أحداً مِمّنْ له قَلْبٌ لَطِيفٌ وَطَبْعٌ رَفِيقٌ وَذِهْنٌ صَافٍ وَنَفْسٌ رَحِيمَةٌ خَالِيَةً عن هذه المحبة في أوقات عمره، ولكن وجدنا سائر النّفوس الغليظة والقلوب القاسية والطّباع الجافية من الأكراد والأعراب والتّرك والزّنج خاليةً عن هذا النوع من المحبة.

(إلى أنْ قال): وأمّا الغاية في هذا العشق الموجود في الظرفا وذوي لطافة الطّبع فلمّا ترتب عليه تأديب الغلمان وتربية الصبيان وتهذيبهم وتعليمهم العلوم الجزئية كالنّحو واللّغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة

والآداب الحميدة والأشعار اللّطيفة الموزونة والنّغمات الطّيّبة وتعليم القصص والأخبار والحكايات الغريبة والأحاديث المرويّة إلى غير ذلك من الكمالات النفسانية، فإنّ الأطفال والصبيان إذا استغنوا عن تربية الآباء والأمّهات فهم بعد محتاجون إلى تعليم الأستادين والمعلمين وحسن توجههم والتفاتهم إليهم بنظر الإشفاق والتّعطف، فمن أجل ذلك أوجدت العناية الرّبانيّة في نفس الرّجال البالغين رغبة في الصبيان وتعشّقاً ومحبّة للغلمان الحسان الوجوه ليكون ذلك داعياً لهم إلى تأديبهم وتهذيبهم وتكميل نفوسهم النّاقصة وتبليغهم إلى الغايات المقصودة في إيجاد نفوسهم، وإلاّ لَمَا خلق الله هذه الرّغبة والمحبة في أكثر الظرفاء والعلماء عبثاً وهباءً، فلابُدّ في ارتكاز هذا العشق النّفساني في النّفوس اللّطيفة والقلوب الرّقيقة الغير القاسية ولا الجافية من فائدة حكمية وغاية صحيحة، ونحن نشاهد ترتب هذه الغايات التي ذكرنا، فلا محالة يكون وجود هذا العشق في الإنسان معدوداً من جملة الفضائل والمحسنات لا مِنْ جملة الرّذائل والسّيئات، ولعمري إنّ هذا العشق ترك النّفس فارغة عن جميع الهموم الدّنياويّة إلى هَمّ واحد، فمن حيث يجعل الهموم همّاً واحداً هو الإشتياق إلى رؤية جمال إنساني فيه كثير من آثار جمال الله وجلاله حيث أشار إليه بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، (إلى أن قال): ولأجل ذلك أمر المشايخ مريديهم في الإبتداء بالعشق)[2]، انتهى.

---

[1]. التين / ٥

[2]. الاسفار للشيرازي ج٣ ص ١٧١

(والحاصل): أيّها النّاظر بالله! تأمّل وتفطّن فيما ذهبوا إليه هؤلاء القوم؛ من الوساوس الشّيطانية، والأهواء النّفسانيّة، فلو كان ما ذكروا حقّاً، فلماذا لم يأمرونا أئمتُنا عليهم السلام بذلك؟ مع أنّهم علماء لا يجهلون، مع أنّهم عالمون بجميع الكمالات، وسبب الإرتقاء على الدّرجات.

ولم ينقل منهم عليهم السلام انّهم عشقوا في بداية الأمر إلى الأوجه الحسان والغلمان، الذين لهم نصيب من الأعراض والألوان.

وليس ذلك إلاّ من وساوس الشيطان، لئلا يتّبعوا سبيل الرّحمن.

وَلَعَمْرِي؛ إنّ مَنْ دَانَ بدينهم، واقتدى بهم، فهو معهم من الصّراط لناكبون، ومِنْ رَحْمَةِ الله آيسون، مطرودون، لأنّهم اتّبعوا أئمة الكفر والضّلال، حيث أمروا النّاس بهذه الأباطيل، حتّى يُعرضوا عن الأئمة عليهم السلام و﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ثُمّ إنّ الله سبحانه يقول: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[2].

فإذا اشتغل بهذه الملاهي كيف يمكنه مشاهدة الحقائق كما هي؟ إذْ ليس هو بالّذي لا يشغله شأن عن شأن[3].

---

[1]. الصف / ٩

[2]. الاحزاب / ٥

[3]. للمزيد والتفصيل عن هذا إرجع إلى كتابنا: الحبّ لا العشق.

(فَإنْ قُلتَ): إنّهُ يشاهد الأوجه الحسان ويحب الغلمان لا لانّهم حسان، بل لأجل أنّهم عباد الرحمن، فينظر الأثر فيشاهد الحقّ في الآثار، فالمحبّة ترجع إلى الله، لا إلى الفتيان والصبيان.

(قُلْتُ): لو كان الأمر كذلك، فليشاهد الأحجار والأشجار وسائر الأشياء من الحيوانات، والإنسان من البيض والسّود، فإنّها كلّها آثار الحقّ، وتدلّ على الحقّ، ولا يتفاوت مشاهدة الحقّ بالآثار بالنّظر إلى جميع الآثار.

فَالسّببُ الّذي تَحصّلَ به العشق للغلمان والصبيان ليس من مشاهدة الحقّ بالآثار وإلاّ لَمَا تفاوت عنده الزّين من الشّين، وإذا حصل ذلك:

(فاعلم): إنّهُ ليس مِنْ ذاك، بل إنّمَا هو مِنَ الشّيطان.

ثمّ (اعلم): إنّ الّذي ورد في الحديث في تعيين عدد الحجب مختلف بحسب الظّاهر، ففي بعض: ﴿إنّ لله سَبْعينَ حجَاباً مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ لَوْ خَرَقَ وَاحِدٌ مِنْهَا لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ جَمِيعَ مَا انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ﴾.

وفي بعض: ﴿إنّ لله سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ..إلخ﴾[1].

---

[1]. في عوالي اللآلي لابن ابي جمهور الاحسائي: ١٥٨– وروي عنه ﷺ: أنه قال: إنّ لله سبعين حجاباً، وفي رواية أخرى: سبعمائة حجاب، وفي أخرى: سبعين ألف حجابا من نور وظلمة لو كشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.

◆وفي بحار الأنوار للمجلسي: ٣ – تفسير علي بن ابراهيم: ..عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبرئيل في ليلة المعراج: إن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب: حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من الغمام وحجاب من ماء..الخبر، ٤–المجالس للصدوق: ...عن ابن عباس في ذكر خبر المعراج قال: فعبر رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام..الخبر، ٥–

التوحيد: ..عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ..الخبر...، ٩- وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال جبرئيل: إن بيني وبين الرب لسبعين حجابا من نار أو نور، لو رأيت أدناها لاحترقت، ١٠- وعن أبي هريرة: أن رجلا من اليهود أتي النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هل احتجب الله من خلقه بشيئ غير السموات؟ قال: نعم، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور، وسبعون حجابا من ظلمة، وسبعون حجابا من رفارف الاستبرق، وسبعون حجابا من رفارف السندس، وسبعون حجابا من در أبيض، وسبعون حجابا من در أحمر، وسبعون حجابا من در أصفر، وسبعون حجابا من در أخضر، وسبعون حجابا من ضياء، وسبعون حجابا من ثلج، وسبعون حجابا من ماء، وسبعون حجابا من برد، وسبعون حجابا من عظمته التي لا توصف...، ١٢ - وعن سهل بن سعد، وعبد الله بن عمرو قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع من نفس [من حس] تلك الحجب إلا زهقت نفسه، ١٣ - شرح النهج للكيدري: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله في حديث المعراج قال: فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة، ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجابا وأنا على البراق، وبين كل حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة - إلى أن قال - ورأيت في عليين بحارا وأنوارا وحجبا وغيرها لولا تلك لاحترق كل ما تحت العرش من نور العرش، قال: وفي الحديث أن جبرئيل عليه السلام قال: لله دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لاحرقتنا سبحات وجه ربنا، فذلكة: اعلم أنه قد تظافرت الأخبار العامية والخاصية في وجود الحجب والسرادقات وكثرتها، وفي القاموس: السرادق الذي يمد فوق صحن البيت، و الجمع سرادقات، والبيت من الكرسف، وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كله، وفي النهاية: السرادق كل ما أحاط بشيئ من حائط أو مضرب أو خباء،انتهى.

وظاهر أكثر الأخبار أنها تحت العرش ويلوح من بعضها أنها فوقه، ولا تنافي بينها.

وروي من طرق المخالفين عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إن لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما دونه، وقال الجزري: فيه أن جبرئيل قال: لله دون العرش سبعون حجابا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه، وفي حديث آخر: حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيئ أدركه بصره، سبحات الله: جلاله وعظمته، وهي في الاصل جمع (سبحة)، وقيل: أضواء وجهه، وقيل: سبحات الوجه محاسنه، لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلتَ: سبحان الله، وقيل: معناه: تنزيه له، أي: سبحانه وجهه، وقيل: إن سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول، أي: لو كشفها لأحرقت كلّ

(والمعنى): إنّ الشيئ مركّب من النّور والظلمة، فلو ارتفع واحد منها لعدم ذلك الشيئ، لانتفاء المركب بانتفاء أحد الجزئيين.

وأمّا تعيينها بالسبعين؛ فَلِمَا بَيّنّا سَابِقَاً: أنّ الحجب سبعة من دون حجاب الأعراض والألوان لأنها ليست بشيئ تعدّ من الجواهر.

فالحجب السبعة إذا لاحظت غيبها[1] وشهادتها تكون أربعة عشر، وإذا لاحظت المراتب الخمس الّتي هي مرتبة:

(النقطة، والألف، والحروف، والكلمة التامة، والدلالة).

في كلّ واحد من مراتب الغيب والشهادة، لأنّ كلّ مرتبة منها لابُدّ لَهَا في تحقّقها من هذه المراتب الخمس فتكون سبعين.

هذه كليّات الأشياء ومراتبها.

وأما ملاحظة الجزئيات فهي تبلغ إلى سبعين ألفاً، لأنّ لكلّ منهما حالات وأطوار وشؤونات، وملاحظة الحالات والشؤونات والأطوار الجزئية بحسب

شيئ بصره، كما تقول: لو دخل الملك البلد لقتل – العياذ بالله – كلّ مَنْ فيه، وأقرب مِنْ هذا كلّه أنّ المعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيئ لأهلك كلّ مَنْ وَقَعَ عليه ذلك النّور كما خرّ موسى صعقا، وتقطع الجبال دكّاً لما تجلى الله سبحانه وتعالى.

❖وفيه: قوله عليه السلام: (احتجب الله بسبع)، أقول: هذه العبارة تحتمل وجوها شتى نذكر بعضها: الاول ما ذكره بعض العارفين: أنه قد ورد في الحديث: إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره..الخ.

[1]. (في خ م: عينها)، والصحيح ما أثبتناه.

الكلّي يبلغ إلى ألف، وإلاّ انّ الجزئيات لا تعدّ ولا تحصى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[١].

ولقد ذكر صاحب المجلي ابن ابي جمهور الاحسائي والقاضي ابو سعيد القمي في شرح توحيد الصدوق أقوالاً في تحديد السبعين والسبعين ألف يطول بذكرها الكلام ولا حاجة لنا بذكرها، وأجود ما ذكروا من الأقوال:

قول الغزّالي: مِنْ أنّ التّحديد بالسّبعين أو السّبعين ألف إنما هو للتغليب والكثرة لا المراد بها خصوصيات العدد فالمنجرّ عن التّحديد وملاحظة الخصوصيات بالأسباب أولى.

ولكنني لما تدبرت في ذلك وجدت الذي ذكرته أقرب إلى الصواب من سائر الأقوال وإلى الله المرجع والمآل في جميع الأحوال.

---

[١]. المدثر / ٣٢

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمُبَايَنَتُهُ إِيَّاهُمْ وَمُفَارَقَتُهُ[1] إِنِّيَّتَهُمْ﴾

(أقُولُ): إنّ الحقّ مباينٌ للخلق، والبينونة صفتية لا عزلتية، لأنّهُ لو كان بينه وبين خلقه بينونة عزلة لما صحّ صدور الخلق عن فعله، لكون المتباينان بالعزلة ضدّين، وصدور الضدّ عن الضدّ محال، قَالَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: ﴿تَوْحِيدُهُ تَمييزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَحُكْمُ التَمييزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لا بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ﴾[2].

(وبينونة الصّفة) معناها: أنْ يكونَ الخلق صفته وآيته ودليله.

(لا ما ذَهَبَ إليه القوم)؛ حتى قالوا: إنّ بينونة الصّفة ما يكون الشيئان متحدين في الوجود والحقيقة، ومتغايرين في الصفة والصورة، كزيد وعمرو وبكر وخالد، بالنسبة إلى الإنسانية.

وقالوا: بينونة العزلة معناها: أنْ لا يكون الشيئان متحدين في الوجود والمصداق، كالحجر والشجر والانسان مثلاً.

فإنّ هذا المعنى الذي ذكروه في بينونة الصّفة مستلزم للقول بالوحدة، وكون الوجود بين الحق والخلق مشتركاً معنوياً.

وهذا باطل، لما عرفتَ سابقاً وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله.

والمعنى الذي ذكروه في بينونة العزلة مخالفٌ للّغة والعرف.

---

[1]. (في خ م: ومفارقتهم)

[2]. في الإحتجاج: قال عليه السلام في خطبة أخرى: (دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التميز بينونة صفة لا بينونة عزلة..).

لأنّ العرف واللغة لا يطلقون العزلة إلاّ على إن كان داخلا فيما انعزل عنه، فيستلزم الوحدة في الحقيقة والإختلاف بالصورة، كما تقول: اعزل هذا عن هذا، فلو لم يكن داخلا فيه فلا معنى للعزلة، وتقول: إنّ الحاكم انعزل عن الأمر، بعدما كان داخلا في الأمر، فالمعنى الّذي ذكروا في بينونة الصفة هو حقيقة معنى بينونة العزلة.

(ومعنى بينونة الصفة)؛ أنْ يكونَ أحدهما صفة للآخر كالصورة في المرآة بالنسبة إلى القابل الخارجي، فإنّ الصّورة في المرآة أثر المقابل وصفته ودليله ومقامه الّذي لا فرق بينه وبينه في التّعريف والتّعرف، لا في الحقيقة والذات.

فهذا النمط خارج عن الاشتراك اللفظي والمعنوي والحقيقة والمجاز بل هو نمط غير هذا النّمط المعروف ونسمّيه في اصطلاحنا: (بالحقيقة بعد الحقيقة) كما سيجيئ لهذا زيادة بيان إنْ شاء الله.

(وَبِالْجُمْلَة)؛إنّ البينونة والمفارقة للخلق لا يحصل إلاّ بإنّيتهم ونعم ماقال:

بَـــيْنِي وَبَيْنَـــكَ إنّـــيٌ يُنَـــازعُنِي فَـــارْفَعْ بِفَضْـــلِكَ إنّـــيتِي مِـــنَ الْبَـــيْنِ

وفي الدّعاء عن سيد الساجدين عليه السلام: ﴿إلَهِي كَيْفَ أدْعُوكَ وَأنَا أنَا، وَكَيْفَ لا أدْعُوكَ وَأنْتَ أنْتَ﴾[1].

---

[1]. في مصباح الكفعمي: ومن ذلك دعاء عظيم الشأن مروي عن علي بن الحسين عليه السلام: (..إلهي كيف أدعوك وأنا أنا، وكيف أقطع رجائي منك وأنت أنت..) وفي البلد الأمين للكفعمي: مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام: (إلهي كيف أدعوك وأنا أنا، أم كيف أيأس منك وأنت أنت).

فإنك إنْ لم تكن ناظراً إلى نفسك تكون ناظراً للحق فلا يكون بينك وبينه حجاب، وإذا نظرت إلى نفسك تكون محجوباً عن ربّك، والنظر إلى النفس هي البينونة والمباينة، وهي المعصية التي تبعد الخلق عن الحقّ، فطبيعة الإنّية بطبعها معرضة عن الحقّ، قال في الحديث القدسي: ﴿يَا آدم؛ بِرُوحِي نَطَقْتَ وَبِضعْفِ كَيْنُونَتِكَ تَكَلَّفْتَ﴾[1]، ﴿رُوحُكَ مِنْ رُوحِي، وَطَبِيعَتُكَ عَلَى خِلافِ كَيْنُونَتِي﴾[2].

(والحاصل): إنّ هذه الإنّية مبعدة عن الحقّ ومدبرة عنه.

وإذا عَرَفْتَ ذلك عرفتَ سرّ ما ورد عن سيّد الساجدين عليه السلام في دعاء السّجدة في صلاة الليل: ﴿إلَهِي وَعِزّتِكَ وَجَلالِكَ؛ لَوْ أَنّي مُنْذُ بَدَعْتَ فِطْرَتِي، مِنْ أَوّلِ الدّهْرِ، عَبَدْتُكَ دَوامَ خُلُودِ رُبُوبِيّتِكَ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ، فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، سَرْمَدَ الأَبَدِ، بِحَمْدِ الخَلائِقِ وَشُكْرِهِمْ أَجْمَعِينَ، لَكُنْتُ مُقَصِّراً فِي بُلُوغِ أَدَاءِ شُكْرِ خَفِيِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِكَ عَلَيَّ، وَلَوْ أَنّي يَا إلَهِي؛ كَرَبْتُ مَعَادِنَ حَدِيدِ الدّنْيَا بِأَنْيَابِي وَحَرَثْتُ أَرْضَهَا بِأَشْفَارِ عَيْنَيَّ وَبَكَيْتُ مِنْ خَشْيَتِكَ مِثْلَ بُحُورِ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ دَماً وَصَدِيداً لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرِ مَا وَجَبَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيَّ، وَلَوْ أَنَّكَ يَا إلَهِي عَذَّبْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ بِعَذَابِ الخَلائِقِ أَجْمَعِينَ وَعَظَّمْتَ لِلنّارِ خَلْقِي وَجِسْمِي وَمَلأْتَ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ مِنّي بِحَيْثُ لا يَكُونُ فِي النّارِ مُعَذَّبٌ

---

[1]. في الكافي للكليني وغيره: (قال الله عز وجل: يا آدم؛ بروحي نطقت، وبضعف طبيعتك (قوتك) تكلفت ما لا علم لك، به وأنا الخالق العالم).

[2]. في الكافي للكليني وعلل الشرائع للصدوق: (..قال آدم عليه السلام: يا ربّ؛ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم؟ قال الله عزّ وجل: تكلّم؛ فإنّ روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي..).

غَيْرِي، وَلا لِجَهَنَّمَ حَطَبٌ سِوَايَ، لَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرِ مَا أَسْتَوْجِبُ مِنْ عُقُوبَتِكَ..الدّعاء﴾[1]، مع أنّهُ عليه السلام معصومٌ مسدّدٌ، ولا يفعل خلاف مراد الله طرفة عين، فكيف يدعو بهذا الدّعاء؟

(وإذا دريتَ ما أسلفنا من الكلام مِنْ): أنّ ملاحظة النفس والإنّية وكونك أنت كنت محجوباً عن ربّك، عَدّ عليه السلام هذا الحجاب أعظم من كلّ شيئ، لأنّهُ لا يحجب شيئ عن الله غير الإنّية، فبهذه الملاحظة كان يتضرّع إلى الله بهذه الكلمات، وحاشاه ثمّ حاشاه أنْ يكونَ عاصياً أو يعصي الله في شيئ أبداً، ولكن لما نظر إلى نفسه، كونه هو، كان محجوباً عنه، ونعم ما قيل:

لَقَدْ قُلْتُ: مَا أَذْنَبْتُ؟ قَالَتْ مُجِيبَةً ... وُجُودُكَ ذَنْبٌ لا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ

إلهي، إلهي، خلصنا من الإشتغال بالملاهي، وأرِنَا حقائق الأشياء كما هي، وخلّصنا عن قيود النّفس، وأذقنا حلاوة محبّتك.

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ

---

[1]. في الأمالي للصدوق: عن طاووس قال: كان علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام يدعو بهذا الدعاء: إلهي وعزتك وجلالك وعظمتك، لو أني منذ بدعت فطرتي من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة في كل طرفة عين سرمد الابد بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين لكنت مقصرا في بلوغ اداء شكر أخفى نعمة من نعمتك علي، ولو أني كربت معادن حديد الدنيا بأنيابي، وحرمت أرضيها بأشفار عيني وبكيت من خشيتك مثل بحور السماوات والارضين دما وصديدا، لكان ذلك قليلا في كثير ما يجب من حقك علي، ولو أنك إلهي عذبتني بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين، وعظمت للنار خلقي وجسمي، وملات جهنم وأطباقها مني، حتى لا تكون في النار معذب غيري، ولا يكون لجهنم حطب سواي، لكان ذلك بعد لك علي قليلا في كثير ما استوجبته من عقوبتك.

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدّ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَكُلّ الَّذِي فَوْقَ التّرَابِ تُرَابُ

فما دامت الإنّية موجودة، لا زال العبد محجوباً عن مشاهدة الحقّ، وبعيداً عن ذوق حلاوة المحبّة، فيكون ملازماً للأغيار التي تورث الأكدار، فَزِلِ الأغيارَ عن قلبك حتّى تورث زوالها المحبة، وقل:

﴿إلَهِي أنتَ الّذي أشرقتَ الأنوارَ في قلوب أولياءك حتّى عرفوك ووحّدوك، وأنتَ الّذي أزلتَ الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّى لم يُحبّوا سواك، ولم يلجؤا إلى غيرك، أنتَ الْمُونس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم الْمعالم﴾[1].

فإذا أزلتَ الإنّية تصل إلى مقام: (لا عَيْنٌ رأتْ ولا أذُنٌ سَمعَتْ).

وَالإنّية هي الحجُبُ الّتي ذكرنا:

(فالأوّل) حجاب السّواد، أعني: الأعراض والألوان.

(والثّاني) حجاب الجسميّة الّتي بلغت في السّواد كالليل الدّامس.

(والثّالث) حجاب المثال البرزخ.

(والرّابع) حجاب المادّة.

(والخامس) حجاب الياقوتة الحمراء.

---

[1]. في إقبال الأعمال لابن طاووس: (أنتَ الّذى أشْرَقْتَ الأنوار فى قُلُوبِ أوْلِيآئِكَ حَتّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدوكَ [ووجدوك]، وَأنتَ الّذى أزَلْتَ الأغْيارَ عَنْ قُلُوبِ أحِبّائِكَ حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ، وَلَمْ يَلْجَأوا إلى غَيْرِكَ، أنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أوْحَشَتْهُمُ الْعَوالِمُ)

(والسّادس) حجاب الزّبرجدة الخضراء.

(والسّابع) حجاب العقيق الأصفر.

(والثّامن) حجاب اللّؤلؤة البيضاء.

وإزالتها لا يمكن إلاّ باستيلاء سلطان المحبة، واستيلاءها يتحقق شيئاً فشيئاً، لعدم وجود القابل دفعة واحدة:

(فأوّلاً): تظهر المحبة بالولع وهو المحبة الكابة، وتأتي وتذهب، وبعد استدامة الولع تظهر بالهوى، فتزداد تذكار المحبة، ثمّ تظهر بالغرام، وهو إدمان ذكر الحبيب وملازمته كملازمة الغريم غريمه.

فبعد ذلك تظهر بالصبابة، وهي انصباب المحب للمحبوب، أي: انصبابه جانب المحبوب.

ثمّ بعد ذلك تظهر بـ: (الوله)، وهو: تألهّ المحبّ، أي: تحيّره في هواه.

ثمّ بعد ذلك تظهر بـ: (الخلّة)، وهي: تخلّل أجزائه لسريان الحبّ في جميع قوى المحب، ولذلك قيل:

قَدْ تَخَلّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنّي ... وَبِذَا سُمّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلا

فَإذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِي ... وَإذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الْغَلِيلا

ثمّ بعد ذلك تظهر بـ: (الشّغف)، وهو: قشر فوق القلب، فإذا بَلَغَ نار المحبة إلى ذلك القشر احترق المحبّ بذكر ما سوى المحبوب، فلا يذكر غيره أبداً.

وَقَدْ سَمِعْتَ: أنّ زليخا شَغَفَتْ بيوسف حبّاً فكانت لا تذكر إلاّ يوسف، ولا ترى إلاّ يوسف، ولا تنادي إلاّ يوسف.

ثمّ بعد ذلك يظهر سلطان المحبة على سرير مملكته فيفنى الكلّ باستيلائه فلا يبقى إلاّ المحبة.

ثمّ بعد استدامة ذلك تفنى المحبة وترتفع من البين، قال الصّادق عليه السلام: ﴿المحبّة حجاب بين المحب والمحبوب﴾.

فلا يبقى محبّ ولا محبوب ولا محبّة، فيفنى المحبّ في بقاء المحبوب، ويبقى بإبقائه، فهذا مقام الفناء في البقاء، والبقاء في الفناء، فيتحد المحب والمحبوب، والطالب والمطلوب، فلا حسّ ولا محسوس:

وَلِكُلٍّ رَأَيْتُ مِنْهُمْ مَقَامَاً ... شَرْحُهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ

ولا يتوهم من قولنا: (فيتحد المحبّ والمحبوب والطالب والمطلوب).

أنّ الْعَبْدَ إِذَا بَلَغَ إلى هَذَا الحدّ يَتّحِدُ مَعَ الله، تعالى الله عن ذلك، وأين الثّريا من يد المتناول، فالمحبوب الّذي يتناوله المحبّ هو ظهور الرّبّ للعبد بالعبد[1]، لا عين ذات الرّبّ، ونعم ما قيل:

إِذَا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً ... وَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا

أَعَارَتْهُ طَرْفَاً رَآهَا بِهِ ... فَكَانَ الْبَصِيرُ بِهَا طَرْفُهَا

فالمحبوب حقيقة ظهور الحقّ، لا ذات الحقّ، وظهور الحق للخلق لا يكون إلاّ بالخلق، وأمّا الذّات البات فلا تنال:

---

[1]. (في خ م زيادة: لا عين ذات العبد) والظاهر انها زائدة سهوا من النساخ.

نَارُنَا هَذِهِ تُضِيئُ لِمَنْ يَسْـ ـرِي بِلَيْلٍ لَكِنَّهَا لا تُنِيلُ
مُنْتَهَى الْحَظُّ مَا تَزَوَّدَ مِنْهُ الْـ ـلَحْظُ وَالْمُدْرِكُونَ ذَاكَ قَلِيلُ
جَاءَهَا مَنْ عَرَفْتَ يَبْغِي اقْتِبَاساً وَلَهُ الْبَسْطُ وَالْمُنَى وَالسُّؤُلُ
فَتَعَالَتْ عَنِ الْمَنَالِ وَعَزَّتْ عَنْ دُنُوٍّ إِلَيْهِ وَهْوَ رَسُولُ

سُبْحَانَ مَنْ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، وَلا تَحُومُ حَوْلَهُ خَوَاطِرُ الأَفْكَارِ.

فَهَذَا المقام الّذي ذكرناه مقام العبد، ورتبة العبد، وذات العبد.

فحقيقته هو المحبّ، والمحبوب، والطّالب، والمطلوب:

فَإِذَا قِيلَ لِمَنْ تَهْوَى؟ فَقُلْ: أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

.....

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحِنُّ إِلَيْهِمُ وَأَسْئَلُ شَوْقاً عَنْهُمُ وَهُمُ مَعِي
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَتَشْتَاقُهُمْ نَفْسِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

ولا يذهب عليك بأنّ الصوفية -قبّحهم الله- ذكروا أمثال هذه العبارات، ولكن أرادوا من المحبوب ذات الرّبّ، فإنّ عندهم حقيقة ذات العبد هي ذات الرّبّ، ولذلك ضلّوا وأضلّوا، كيف يكون حقيقة العبد ذات الرّبّ وهو عين الإحتياج والإفتقار، والرّبّ عين الغنى، والعبد حادث، والرّبّ قديم، وهذا عين الفنا، وذلك عين البقاء، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَابْتِدَاؤُهُ إِيّاهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أَنْ لا ابْتِدَاءَ لَهُ، لِعَجْزِ كُلّ مُبْتَدَءٍ عَنِ ابْتِدَاءِ غَيْرِهِ﴾

(أقُولُ): إنّ الإبتداء هو أوّل الشيئ، فإذا فرض للشيئ أوّليّة يلزم أنْ يكونَ له آخريّة، وإذا تحقّقت الأوليّة والآخريّة يكون محدوداً، فإذا كان محدوداً لزم تركيبه من نفسه وَمِنْ حَدِّه، وكلّ مركّب حادث، فهو -سبحانه- لا أوّل له، ولا آخر له، وأوّليته عين آخريّته، وآخريّته عين أوّليته، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره.

فابتداء الخلق يكون دليلاً على أنْ لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره، فإذا كان له أوّل يلزم أنْ يكونَ مسبوقاً بالغير، والغير لو كان هكذا لكان هكذا، وهلّم جرّا، يتسلسل إلى ما لا نهاية له، فإذا صحّ بطلان التّسلسل لزم أنْ لا يكون له ابتداء ولا انتهاء.

(ويحتمل بعيداً)؛ أنْ يكونَ المراد بها: أنّهُ سبحانه لما ابتدئهم لا من شيئ، فكانوا مبتدأ، والمبتدأ لا يحدّ إلاّ نفسه، لأنّ الشّيئ لا يتجاوز ما وراء مبدئه، فيعجز عن إدراك ابتداء مبدئه.

وابتداؤه للخلق لا يصحّ أنْ يكونَ في زمان.

(بمعنى)؛ أنْ يسبقه زمان في الإمكان لا يكون له مخلوق فيتحقّق له سبق الحالات، وهو سبحانه لا يسبقه حال حالاً، قال عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنْ خِلْواً مِنَ الْمُلْكِ قَبْلَ إِنْشَاءِ الْمُلْكِ﴾[1]، بحكم جفاف القلم بما هو كائن.

وكونه -سبحانه- كلّ يوم هو في شأن، ولا يشغله شأن عن شأن، فهو بحكم البداء لا بحكم الإبتداء، وإنما هو شؤون يبديها الحقّ ولا يبتديها، وإنْ لم يكن ذلك كذلك لزمه الإنتقال من حال إلى حال، وهو تعالى عن الإنتقال.

والبداء هو ظهور ما كان كامنا في الإمكان المخلوق، الّذي هو بحر لا ساحل له، فيخرجه من بحر الإمكان إلى ساحل الأكوان.

وأمّا الذين أنكروا البداء من العامة العمياء فهم ما عرفوا معنى البداء.

وظنّوا أنّ البداء بمعنى الإبتداء فانكروه، وشتّان بين الإبتداء والبداء[2].

نعم مَا قِيلَ:

غَيَّبَني إذَا بَدَا ... إذَا بَدَا غَيَّبَني

فَمَنْ أنكَرَ البداء فقد أخرج الله من سلطانه، ولذلك ورد في الروايات المتظافرة المتكاثرة: أنّه ما عبد الله بمثل ما عبد في البداء، فمنها:

◆ما في الكافي عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: ﴿مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ الْبَدَاءِ﴾[3].

---

[1]. في الكافي للكليني: (..ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه..)

[2]. (والإبداء، خ م)

[3]. الكافي للكليني.

❖وعن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام: ﴿مَا عُظِّمَ اللهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ﴾[١].

❖وعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير آية: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِت﴾[٢]، قال عليه السلام: ﴿ وَهَلْ يُمحا إلاّ مَا كَانَ، وَهَلْ يُثْبتُ إلاّ مَا لَمْ يَكُنْ﴾[٣].

❖وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً حَتّى يَأْخُذَ عَلَيْه بِثَلث خِصَال؛ ألإقرَار لَهُ بِالْعُبُودِيّةِ وَخَلْعِ الأنْدَادَ وَأنّ اللهَ يُقَدّمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخّرُ مَا يَشَاءُ﴾[٤]، وأمثال هذه الرّوايات كثيرة لا تحصى.

(وَبِالْجُمْلَةِ): إنّ البداء ثابت، وإنكاره كفر وزندقة.

والبداء لا يتحقق إلاّ قبل الإمضاء بالقضاء.

فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، كما نطق به صريح الأخبار:

❖عن أحدهم عليه السلام قال: ﴿إنّ اللهَ عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدّرَ وَقَضَى وَأَمْضَى، فَأَمْضَى مَا قَضَى، وَقَضَى مَا قَدّرَ، وَقَدّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمه كَانَت الْمَشِيّةُ، وَبِمَشِيّته كَانَت الإرَادَةُ، وَبِإرَادَتِه كان التّقْدِيرُ، وَبِالتّقْدِيرِ كان الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِه كان الإمْضَاءُ﴾[٥].

والعلم مقدّم على[٦] المشية.

والمراد بالعلم هنا هو العلم الإمكان، كما سنبينه في محلّه إنْ شاء الله.

---

[١]. الكافي للكليني.

[٢]. الرعد / ٤٠

[٣]. الكافي للكليني وغيره.

[٤]. الكافي للكليني والمحاسن للبرقي وغيرها.

[٥]. الكافي للكليني ومختصر بصائر الدرجات للحسن الحلي.

[٦]. (على، غير موجودة في خ م)

والمشيّة ثانية.

والإرادة ثالثة.

والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء.

فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء.

(وَبِالْجُمْلَةِ): إنّ بين البداء والإبتداء فرق بَيّنٌ، فإذا قلنا بالإبتداء، وأنّهُ يبتدئ بخلق الأشياء شيئاً فشيئاً، يلزم أنْ يكونَ الحقّ حادثاً، لانتقاله، والقول به كفر وزندقة.

وإذا قلنا بالبداء، يعني: انها شؤون يبديها ولا يبتديها، فهو التوحيد المحض، والذي ينكر البداء هو الذي دان بدين اليهود حيث قالوا يد الله مغلولة، فقال الله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[1].

---

[1]. المائدة / ٦٥

قَالَ عليه السلام: ﴿وَأَدَاتُهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أَنْ لا أَدَاةَ لَهُ لِشَهَادَةِ الأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ المتأدِّينَ﴾

﴿وأدْوَته﴾ بفتح الهمزة وسكون الدّال وفتح الواو، اسم للإيداء على مصدر الأفعال، وهو جعل الشيئ ذا أداة.

﴿المتأدين﴾ من باب التفاعل، يعني: ذا أداة، وإنْ كان بفاقة المأدين فاسم مفعول، ولا يتفاوت المعنى.

والمعنى: إنّ الله جعل الخلق ذات أداة بحيث لا يستطيعون أنْ يفعلوا شيئاً إلاّ بالأداة، فهم محتاجون إلى الأداة في كلّ شيئ، وكونهم ذات أداة يثبت احتياجهم، ويكون دليلهم على أنْ لا أداة فيه، حتى لا يكون محتاجاً إلى شيئ في كلّ شيئ.

(ويحتمل): أنْ يكونَ المراد بها: أنّ الخلق ذوات أدوات، يعني: ذوات أجزاء، ومعلوم أنّ المركب من الأجزاء محتاج إلى الأجزاء لأنّ المركب ينتفي بانتفاء الأجزاء، فإذا ثبت كون المركب محتاجاً إلى الأجزاء وجب أنْ لا يكون الحقّ البسيط مركباً لعدم احتياجه لأنّهُ لو كان محتاجاً لزم حدوثه.

(وعلى المعنى الأوّل) أعني: كون الخلق ذوات أداة بمعنى: أنْ لا يقدر عن شيئ شيئاً إلاّ بالأداة، كما أنّا نرى أنّ الصايغ والكاتب -مثلاً- يصيغ ويكتب بالآلات، فلو عدمت الآلات لا يستطيع فعل الصياغة والكتابة.

والحقّ -سبحانه- يخلق الأشياء لا بالآلات، وأنّ الخلق يصدر عنهم الشيئ عن الشيئ، والحقّ يصدر عنه الخلق لا عن شيئ، فيصدر عنه بلا مادة

كانت قبل ذلك ولأجل ذلك قال عليه السلام: ﴿خَلَقَ اللهُ الأشْيَاءَ بِالْمَشِيَّةِ لا مِنْ شَيْئٍ﴾[1].

وما قال (مِنْ شَيْئٍ) حتى يكون الشيئ مسبوقاً له، ويكون مادة له، فيلزم قدمه، وهو باطل لما عرفت.

وما قال (مِنْ لا شَيْئٍ) حتى يكون مخلوقا من العدم، فيكون العدم مادة للوجود، لأنهما نقيضان ولا يكون احدهما مادة للآخر.

فقال: (خَلَقَهُمْ لا مِنْ شَيْئٍ).

يعني: انه اخترعهم اختراعاً، وأبدعهم إبداعاً، وآية ذلك في الإنسان إصدار النية، فإنّ صدور النية عن الإنسان لا يكون من نيّة قبلها، ولا يكون من العدم، لأنّ العدم لا يكون مادة للوجود، فَصَحّ وجودها عن الإنسان بالإختراع (لا من شيئ) فتفطن.

فقد أسمعتك تغريد الورقاء على الأفنان بفنون الألحان ولا قوّة إلاّ بالله.

---

[1]. في الكافي للكليني: (والله خالق الأشياء لا من شيئ كان).

❖وفي علل الشرايع للصدوق: (إبتدء الأشياء لا من شيئ).

❖وفيه: (خلق الأشياء لا من شيئ).

قَالَ عليه السلام: ﴿فَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ﴾.

(أقُولُ): لَمّا بيّن أنّ الذّات لا تدرك بوجه من الوجوه، أراد أنْ يُبيّنَ أنّ الأسماء الّتي يُدْعَى بِهَا تُعَبّرُ عَنْهُ، لا أنّهُ موضوعة بإزائه، فقال عليه السلام: ﴿فَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ﴾.

والإسم -عند بعضٍ- هو المسمّى، وكونه هو المسمّى على معان ثلثة:

(الأول): إنما وضعت الأسماء لتتصور بها المسمّيات في نفوس السامعين، أو تقوم عند الغَيْبَةِ مقامها لو لم يشاهدوها، فلمّا ناب الإسم مِنْ هذا مناب المسمّى في التّصوير جاز أنْ يقال: إنّ الإسم هو المسمّى.

(الثّاني): إنّ اكثر ما يبين في الأسماء التي تشتق للمسمّى مِنْ مَعَانٍ موجودة فيه قايم به، كقولنا لِمَنْ وجدت فيه الحيوة: (حيّ).

فالإسم في هذا النوع لازم للمسمّى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده، ألا ترى أنّ الحيوة إذا بطل وجودها من الجسم بطل أنْ يقال: (حيّ)، وإذا بطل أنْ يقال له: (حيّ) بَطَلَ أنْ يكونَ به حيوة، فيجوز مِنْ هذا أنْ يقال: إنّ الإسم هو المسمّى، يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه.

(الثالث): إنّ العرب قد تذهب إلى المعنى الواقعيّ تحت التّسمية، فيقال: (هذا مسمّى زيد)، أي: هذا المسمّى بهذه اللفظة التي هي (الزّاء والياء والدّال) ويقولون في هذا المعنى: (هذا اسم زيد) وهو بابٌ ظريف من كلام العرب يحتاج إلى فصل نظر ويجيئ في كلامهم على ضربين:

(الأوّل): ما صرّح فيه بلفظ الإسم حتّى بَانَ لِمُتأمّلِه، مثل قول ذي الرّمة يصف خشفاً حيث قال:

لا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إلاّ مَا تَخَوَّفُهُ دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْغُومُ

(يعني): إنّ هذا الخشف لا يتنبّه مِنَ النّعاس إلاّ إذا تفقدته أمّه للرضاع فصاحت به: ماما.

وكان أبو عبيدة يذهب في تأويل هذا اللفظ إلى أنّ الإسم زايد، والتقدير: (تناديه بالماء)، وأبو عليّ الفارسي يحمله على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فالتقدير: (يناديه باسم مسمّى الماء).

(والثّاني): ما لم يصرّح فيه بذكر الإسم إلاّ انّه موجود من طريق المعنى مثل قولهم: (كتبت اسم زيد)، فليس المراد انّه كتب هذه الأحرف، وإنما يريد انّه كتب اسم المسمّى الواقع تحتها.

وقال قوم: يكون الشّيئ الواحد مسمّى من جهة وتسمية من جهة أخرى، فإن قولنا: (اسم) لفظة تجري مجرى الجنس والنوع، لأنّها يوقع تحتها الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني كجوهر وعرض ورجل وفرس وزيد وعمرو.

فكلّ[1] واحد من هذه الألفاظ يقال له: اسم اسم[2]، وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون بإضافته إلى الاسم الذي فوقه مسمّى ويكون بإضافته إلى المعنى الّذي تحته اسما مثل ذلك قولنا: (زيد وإنسان وحيّ)، فإنك تجد الإنسان الذي

---

[1]. في المخطوطة: فكذلك، والصحيح ما أثبتناه.

[2]. (كذا مكررة في المخطوطة والظاهر الزيادة).

هو واسطة بين: (زيد) والـ: (حيّ) مسمّى إذ كان يقال على الحيّ واسما[1]، إذ كان يقال على كلّ واحد منهما، وتجد الحيّ الذي هو اسم للإنسان والإنسان الّذي هو مسمّى قد تساويا في انّهما اسمان لزيد، انتهى ما ذكروا.

(والجواب عن الأوّل): إنّ الفائدة في وضع الأسماء هي التفهيم والتفاهم، وقولهم: لتتصور بها المسميات في نفوس السامعين.

تصوّر المسمّى غير المسمّى، لأنّ المسمّى هو الشيئ الخارجي لا المفهوم الذّهني كما ذهب إليه بعضٌ للتبادر الوضعي وعلامته عدم صحّة السّلب ولقوله عليه السلام: ﴿يَا هِشَامُ؛ الماءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ، وَالثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ، وَالخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ﴾[2].

والشيئ الخارجي لا يدخل بحقيقته في الذهن -كما زعمه القوم- حتّى يدخل المسمّى في التّصوّر، والّذي يدخل في الذّهن إنما هو الشبح المنفصل عن الشيئ الخارجيّ، وانتزاع الشبح مستحيل إلاّ من ذي الشّبح، فلا يدرك النّفس إلاّ ما كان موجوداً متأصّلاً في الخارج، فإذا قابلته النّفس انتزعت منه شبحاً، فلا يدخل في الأذهان إلاّ الأظلال والأشباح:

(أمّا أوّلاً): فلأنّ الشّيئ الخارجيّ مِنْ شأنه أنْ يكونَ في الخارج، فإذا دخل بحقيقته في الذّهن انقلبت حقيقته، فلم يكن خارجيّاً.

---

[1]. (كذا والصحيح: اسما)

[2]. الكافي للكليني.

(وأمّا ثانياً): فلأنّ الشّيئ الخارجيّ إذا كان واحداً في الخارج وتصورته الأذهان تكثرت حقيقة ذلك الواحد، إذ الدّاخل في الذّهن هو الشّيئ بحقيقته، ومن المعلوم تعدد الأذهان وتعدد أفعالها، فلم يكن الواحد واحداً (وهذا خلف)، لأنّهُ واحد، فثبت أنّ الشّيئ لا يدخل في الذّهن بحقيقته، بل إنما يدخل في الذّهن شبحه وظلّه، وهو المطلوب.

(ولعلك سمعت منا فيما مضى)؛ إنّ النّفس لا تتصور شيئاً إلاّ بعد وجوده في الخارج.

(فتقول): إنّا نفرض بالبداهة وجود شريك الباري، فلو كان موجوداً في الخارج لزم وجود شريك له سبحانه، وهو لا شريك له.

(أقُولُ): إنّ فرض الشريك له سبحانه محال، وفرض المحال محال، لأنك لا تدرك إلاّ شيئاً[1] موجوداً، وتسميه شريك الباري فإنما: ﴿هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[2].

ولذلك لما قالوا المشركين[3] بوجود شريك الباري، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ سَمُّوهُم﴾[4]، إشارة إلى أنّه أخَشَبٌ وَذَهَبٌ وَحَجَرٌ وَحَدِيدٌ؟ وما أشبه ذلك؟.

ولو أنّك فَرَضْتَ له شريكاً في ذهنك فلابُدّ مِنْ إحاطتك بكونه، وعلمك به، فإذن أنت تعلم ما لا يعلمه الله؟ حيث قال سبحانه: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا

---

[1]. في المخطوطة: الاشياء، والصحيح ما أثبتناه.

[2]. النجم / ٢٤

[3]. (كذا في المخطوطة والصحيح: قال المشركون)

[4]. الرعد / ٣٤

يَعْلَمُ﴾[1]، لأنّهُ لا يعلم له شريكاً في الخلق، ثُمّ إنّ الّذي فَرَضْتَهُ هل هو شيئ أعمّ مِنْ أنْ يكونَ في الذّهن أو في الخارج أو لا؟

فإنْ لم يكن شيئاً فما فرضتَ شَيئاً، فيكذبك فرضك بفرض شريك.

وإنْ كان شيئاً، فهو قديم أو حادث؟ فإن كان قديماً إمّا هو عين الواجب أو غيره: فأمّا إنْ كان عينه فهو عينه، فلا يكون شريكاً له، وأمّا إنْ كان غيره يلزم منه تعدّد القدماء، وهو باطلٌ، لأدلّة التّوحيد.

وإنْ كان حادثاً، فهو مخلوق، والله خلقه، فلا يكون ممتنعاً لأنّهُ شيئ.

وَقَدْ نَصّ الأئمّة (عليهم السلام) على أنّ كُلّ شيئ وقع عليه اسم شيئ فهو مخلوق غير الله.

وأمّا قولنا: (لا إله إلاّ الله).

فهذه كلمة توحيد جاءت **مَكْنَسَةً لِغبَارِ الأوْهَامِ**، حيث توهّمت الأوهام وتَخَيّلَت الرّبوبية في الأصنام فجائت لدفع هذا التّخيّل بهذه الصّورة.

فهذه التّصورات إنّما هي من صور الأصنام، وكلّها موجودة، وليست شريكاً للباري، والدّليل على أنّ الذّهنَ لا يتصوّر شيئاً إلاّ بعد وجوده في الخارج قوله سبحانه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْئٍ إلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[2]، فالشّيئ الواحد له خزائن متعددة، والذّهن خزينة واحدة لذلك الذهني، فلابُدّ أنْ يتنزّل الشّيئ الذّهني من الخزائن المتعدّدة إلى الذّهن،

---

[1]. الرعد / ٣٤ وفي يونس / ١٩: (أَتُنَبّئُونَ الله بِمَا لا يَعْلَم) (في المخطوطة: حيث: أتنبؤنه بما لا يعلم)

[2]. الحجر / ٢٢

والخزائن ليست إلاّ خارجة عن الذّهن، فَثَبَتَ أنّ الّذي في الذّهن نزل من الخزائن الخارجة.

ثمّ إنّ الذّهن لَمّا يريد أنْ يتصوّر شيئاً فهو يلتفت إلى جهة ذلك الشيئ الموجود في الخارج، كما أنّك إذا أردتَ أنْ تتصوّر بلدة الفلانية تلتفت إلى جهة تلك البلدة في الخارج، فلو التفت إلى غير تلك الجهة وغير تلك البلدة لا يمكنك تصور تلك البلدة، فالتفاتك إلى تلك الجهة ينبئ انتزاعك منها، وهو دليل الوجود المنتزع منه في الخارج، وقال مولنا الرّضا عليه السلام: ﴿لا يَقَعُ شَيْئٌ عَلَى وَهْمِ أحَدٍ إلاّ وَهُوَ مَوْجُودٌ في خَلْقِ اللهِ لِئَلاّ يَقُولَ أحَدٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللهُ عَلَى أنْ يَخْلُقَ كَذَا وكَذَا﴾[1].

(وَبِالْجُمْلَةِ): إنّ الذّهن لا يدرك ولا يتصوّر إلاّ ما كان موجوداً في الخارج، وقد بسطنا الكلام في سائر رسائلنا[2].

وإذا عَرَفْتَ أنّ الّذي يدخل في الذّهن إنّما هو شبح ذلك الخارجيّ، ويستحيل أنْ يدخل الشيئ بحقيقته في الذّهن، عَرَفْتَ فَسَادَ مَا ذَهَبُوا إليه مِنْ أنّ الأسماء إنما وضعت لتتصور بها المسمّيات في نفوس السّامعين، إذِ الْمُسَمّى هو

---

[1]. في عيون أخبار الرّضا عليه السلام وعلل الشرائع للصّدوق: ((عَنْ عَلِيّ بنِ الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: قُلْتُ: يابن رسول الله؛ لِمَ خَلَقَ اللهُ عَزّ وَجَلّ الخَلْقَ أنوَاعاً شَتّى؟ وَلَمْ يَخْلُقْهُ نَوْعاً وَاحِداً؟ فَقَالَ: لِئَلاّ يَقَعُ الأوْهَامَ أنّهُ عَاجِزٌ، فَلا تَقَعُ صُورَةٌ في وَهْمِ مُلْحِدٍ إلاّ وَقَدْ خَلَقَ اللهُ عَزّ وَجَلّ عَلَيْهَا خَلْقاً، وَلا يَقُولَ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللهُ عَزّ وَجَلّ عَلَى أنْ يَخْلُقَ عَلَى صُورَةِ كَذَا وكَذَا إلاّ وُجِدَ ذَلِكَ في خَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْلَمُ بِالنّظَرِ إلَى أنْوَاعِ خَلْقِهِ أنّهُ عَلَى كُلّ شَيْئٍ قَدِيرٍ)).

[2]. راجع كتبه كالمخازن واللمعات والبراهين وغيرها.

الشّيئ الخارجيّ، والّذي في الذّهن والتّصوّر شبحه وظلّه، فلا يكون الإسم بهذا الإعتبار عين الْمُسمّى.

(والجواب عن الثّاني): أنّه يرتفع بارتفاعه، ويوجد بوجوده، لا يلزم أنْ يكونَ الإسم عين المسمّى، بل هما من قبيل اللازم والملزوم، واللازم ليس عين الملزوم، ولا الملزوم عين اللازم.

(والجواب عن الثالث): أنّ هذا الإستعمال من المجاز لا من الحقيقة، لوجود صحّة سلبه، فلا يكون الإسم عين المسمى بكل اعتبار، وهو مذهب أئمتنا عليهم السلام من أنّ الإسم غير المسمّى كما في الكافي:

﴿عن هشام بن الحكم أنّهُ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْد الله عليه السلام عَنْ أَسْمَاء الله وَاشْتِقَاقِهَا مِمّ هُوَ مُشْتَقّ؟ فَقَالَ: يَا هِشَامُ؛ اللهُ مُشْتَقّ مِنْ (إله) وَالإلهُ يَقْتَضِي مَأْلُوهاً، وَالإسْمُ غَيْرُ الْمُسَمّى، فَمَنْ عَبَدَ الإسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ، وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً، وَمَنْ عَبَدَ الإسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ[1] وَعَبَدَ اثْنَيْنِ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى دُونَ الإسْمِ فَذَاكَ التّوْحِيدُ، أَفَهِمْتَ يَا هِشَامُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: زِدْنِي؟ قَالَ: إنّ لله تِسْعَ وَتِسْعُونَ[2] اسْماً فَلَوْ كان الإسْمُ هُوَ الْمُسَمّى لَكَانَ كُلّ اسْمٍ مِنْهَا إلَه[3]، وَلَكِنّ (الله) مَعْنًى يُدَلّ عَلَيْهِ هَذِهِ[4] الأسْمَاءِ وَكُلّهَا غَيْرُهُ، يَا هِشَامُ؛ أَلْخَبزُ اسْمٌ

---

[1]. في رواية أخرى في باب المعبود في الكافي للكليني: فقد كفر.

[2]. كذا وفي المصدر تسعة وتسعين.

[3]. إلهاً.

[4]. بِهَذِهِ.

لِلْمَأْكُولِ، وَالماءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ، وَالثّوبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ، وَالنّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ﴾[1]، انتهى.

فانظر كيف صرّح امامك وسيدك بأنّ الإسم غير الْمُسمّى، وإذا دَرَيْتَ بأنّ الإسم غير الْمُسمّى:

(فاعلم): إنّ الإسم والمسمّى مقترنان ومتلازمان، فيرتفع المسمى بارتفاع الإسم، والإسم بارتفاع المسمّى، فثبت التلازم بينهما كما عرفت سابقاً، وإذا ثبت التلازم ثبت الإقتران فيكونان حادثين.

فالقديم -سبحانه- ينبغي أنْ لا يكون له اسم ورسم، هذا مجمل القول.

(والتّفصيل) إنّا لَمّا أثبتنا أنّ الواضع هو الله سبحانه، وأنّه لا يضع إلاّ بالمناسبة الذّاتية، لاستحالة التّرجيح من دون مرجح.

لزمنا القول بأنّ القديم لا يسمّى بإسم، ولا يعبّر بعبارة، لوجود المناسبة بين الإسم والمسمّى، وفقدان المناسبة بين الحقّ والخلق.

وعلى القول بعدم المناسبة؛ إنّ الإسم والمسمّى مقترنان، والإقتران من صفة الحدوث، وقد عرفت انهما متلازمان، كإسم (الحيّ) لِمَنْ حَلّ به الحيوة، فإنّه يوجد بوجودها، أي: يصدق عليه اسم (الحي)، يرتفع بارتفاعها.

هَذَا إذَا كان الْحَقّ هُوَ الْوَاضِعَ، عَلَى مَا هُوَ الْحَقّ.

وأمّا إذا قلنا: أنّ الواضع هو الخلق، فيلزم أيضاً أنْ لا يكون لله اسم ورسم، لأنّ الواضع حين الوضع لابُدّ أنْ يتصوّر الموضوع له، أعَمّ مِنْ أنْ

---

[1]. الكافي للكليني.

يكُونَ مَفهوماً ذِهنيّاً أو مصداقاً خارجيّاً حتى يضع بإزائه، والذّات سبحانه لايدخل في التّصوّر أبداً.

(فَإنْ قُلْتَ): إنّ التّصوّر الإجمالي يكفي في الوضع.

(قُلْتُ): إنّ هذا المجمل المتصوّر هل هو الذّات أم غيره، فإنْ كان الذّات فهو لا يدخل في التّصور، باتفاق العقلاء، وليس له جهات الإجمال والتفصيل حتى يكون مجملاً تارةً ومفصلاً أخرى، وهو البسيط من جميع الوجوه.

وإنْ كان المجمل المتصور هو غير الذات، فغير الذات كان هو المسمّى، فبقي الذّات لا إسم له ولا رسم له.

ثُمّ إنّ الإسم يوضع للشيئ حتّى يتعرّف به لغيره، وإلاّ لَمَا احْتُيجَ به إلى وضع الإسم، والذّات لا يقع جهة المعرفة، لأنّ معرفته محال، باتفاق جميع المذاهب، فَثَبَتَ أنْ لَيْسَ له اسم ورسم، والّذي ورد في الرّوايات مِنْ أنّ الذّات هو المسمّى، فالمراد منه أنْ الذّات هو المقصود، لا أنّ الذّات هو المسمّى، فهو المقصود من الأسماء.

فَمِنْ هُنَا تَعْرِفُ فَسَادَ مَا قَالَ بَعْضٌ: إنّ اللهَ عَلَمٌ لِلذّاتِ الْوَاجِبِ الْمُستجمع لجميع الصفات والكمالات.

لأنّ الذّات البحت البات لا إسم له ولا رسم.

فالمسمّيات للأسماء هي ظهورات الحقّ الّتي تجلّى بها للخلق، وهي مقامات المعرفة التي لا فرق بينها وبين الحق (نريد: في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات) وإذا أردتَ معرفة ذلك فانظر إلى الصورة في المرآة، فإنّ أمر

المرآة عجيب غريب، وهي أجلى آية لمَعْرِفَةِ الحقائق الإلهية الّتي أراها الله للخلق من الآيات، كما قال عزّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

فإنّ الصّورة في المرآة هي آية المقابل وصفته التي ظهر بها لغيره، فإنّك إذا لم تَرَ زيداً في الخارج ورأيتَ صورته في المرآة حكمت بأنّها صورة زيد، بل تحكم بأنّها هي زيد، لأنك تقول: (إنّي رأيت زيداً) و(هذا زيدٌ) لأنّ الصّورة بهذه الملاحظة لا تحجب زيداً، لأنك لا تلاحظها من حيث هي، بل من حيث هي ظهور زيد، فَصَحّ لَكَ أنْ تقول: (هذا زيد) في التعريف والتعرف، لا في الحقيقة والذّات، ولأجل ذلك قَالَ الصّادقُ عليه السلام: ﴿لَنَا مَعَ اللهِ حَالاتٌ فِيهَا: نَحْنُ هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ﴾، وفي رواية أخرى: ﴿إلاّ أنّهُ هُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ﴾[2].

وقال مولنا القائم -عجل الله فرجه ورزقنا توفيق طاعته- في دعاء الرجبية: ﴿أَللّهُمَّ انّي أسألُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الْواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ، الْمُعلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ، أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الّتي لا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ

---

[1]. فصلت / ٥٤

[2]. في الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني ص١٧٤: (لَنَا حَالاتٌ مَعَ اللهِ، هُوَ فِيهَا نَحْنُ، وَنَحْنُ فِيهَا هُوَ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ).

عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إلاّ أنّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إلَيْكَ﴾[1].

فتلك المقامات هي المسمّيات للأسماء، ونسبتها إليه نسبة الصورة في المرآة إلى المقابل، فقولك: (هو الله) يقع هذا الإسم على الذّات الظّاهرة بالإلوهية، وهي الظّهور الكلّي المندرجة، فحقّها جميع الظّهورات كـ: (زيد) فإنّ (الزاء، والياء والدّال) اسم لظهور زيد المندرجة تحته سائر الظهورات والأسامي التي تقع على الظهورات كـ: (القائم والقاعد والآكل والشارب) مثلاً، فإنّ (قائم) اسم لظهور (زيد) بالقائمية، التي هي مركبة من القيام وأثره، الذي يترتب عليه القيام، فالقائم حقيقة ليس ذات (زيد) من حيث ذاته، وإلاّ لكان قائماً على كلّ حال، وفي كلّ حال، وما انفكّ عنه القيام، والأمر ليس كذلك، لأنّهُ يقعد ويشرب ويأكل، فالقائم اسم لظهور (زيد) بالقيام، الذي ألقى في هويته مثاله وأظهر عنه أفعاله، والقائم صفته، ولما كانت الذات مغيبة للصفات، لأنّ الذّات غيبت الصفات[2]، ولا يكون لها أثر وجود عند ملاحظة الذات كان المقصود من الأسماء هي الذّات.

فالمراد بالأسماء الإلهية والمقصود هي الذّات لا غير، لكنّها ليست مُسمّاة لِهَذِه الأسامي، بل المسمّيات هي الظهورات والتّجليات الظاهرة للمظاهر والمجالي بالمظاهر والمجالي، فَلَمّا ظَهَرَ بالإلوهية سمّيناه: (إلَهاً)، ولما ظهر بالقدرة

---

[1]. مصباح المتهجد للطوسي وإقبال الأعمال لابن طاوس والبلد الأمين للكفعمي وبحار الأنوار للمجلسي.

[2]. مقولة مشهورة بين الحكماء والفلاسفة.

والعلم والخالقيّة والرّازقيّة والرّحمة والوحدة وما يضاهيها سمّيناه: (قادراً، وعالماً، وخالقاً، ورازقاً، ورحيماً) وهكذا، قَالَ مَوْلَنَا الْبَاقِرُ عليه السلام: ﴿وَهَلْ سَمَّيْنَاهُ عَالِماً إلاّ مَا وَهَبَ اللهُ الْعِلْمَ لِلْعُلَمَاءِ﴾.[1]

فَصَحّ أنّ الأسماء هي للظّهورات لا للذّات، والذّات لا اسم له ولا رسم، لكن المقصود من الأسماء هو الذّات لا غير، وإذا عرفت هذا:

(فاعلم): إنّ العلماء اختلفوا في إطلاق هذه الأسامي على الذّات البحت البات، هل هو بطريق التّرادف أم لا؟

فذهب بعض إلى أنّها مترادفة، إذا أريدت بها الذّات.

وأنكره آخرون، وقالوا: لكلّ اسم مفهوم خاص، فمتغايرة هذه الأسامي بحسب المفهوم، ولما كان المقصود منها هو الذات اتحدت في المصداق، فإنّ مفهوم العلم غير مفهوم القدرة، ولأنّا نرى في الحمل انّه يصح قولنا: (الله

---

[1]. في شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: عن الإمام الباقر محمّد بن عليّ عليه السلام مخاطباً: وهل سمّي عالما قادرا إلاّ لأنّه وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين فكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أن للّه تعالى زبانيين كما لها فإنّها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لِمَنْ لا يكونان له...

❖وفي جامع الاسرار لحيدر الآملي ص٦٤٢: قول مولانا وإمامنا محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: (هل سمّى عالماً وقادراً إلاّ أنّه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين؟ وكلّ ما ميّزتموه في أوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق، مصنوع مثلكم، مردود مصروف إليكم، والباري -تعالى- واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار يتوهّم أنّ لله تعالى زبانيتين كما لَهَا، فإنّها تتصوّر أن عدمهما نقصان لِمَنْ لا يكونان له، هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به: سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)، ذكر هذا النقل المولى الأعظم نصير الحق والملة والدين الطوسي -رحمة الله عليه- في رسالة العلم جواباً لبعض الفضلاء.

عليم قادر)، عرفنا تغاير مفهومها، لأنّ الحمل مشترط فيه المغايرة، فكان بحسب المفهوم مغايراً، وبحسب المصداق متحداً.

وأجابوا القائلين بالترادف أنّ الحمل إنما يصح في الصّفات الفعليّة، ولا يجوز أنْ يكونَ في مرتبة الذّات، لعدم جواز حمل الشيئ على نفسه، لأنّ نفسه هو هو، ويجب المغايرة في الحمل بين الموضوع والمحمول، وهذه الحمليات كلها واقعة في رتبة الفعل.

(فإنْ قِيلَ): نعم؛ يجب المغايرة بين الموضوع والمحمول، والمغايرة موجودة في رتبة المفاهيم لا في رتبة المصداق، فالمصداق متّحد، والمفاهيم متعددة، والحمل انما يكون بحسب تغاير المفاهيم.

(قلنا): انا إذا قلنا بتعدد المفهوم لزمنا القول بتعدد المصداق، إذ المفهوم لا حكم له إلاّ حكم المصداق، كما يمتنع أنْ ينتزع من الأمور المتعددة مفهوماً واحداً، وهكذا يمتنع أنْ ينتزع من الشيئ الواحد البسيط مفهومان متغايران.

فالقول بوحدة المصداق وتعدد المفهوم غَلَطٌ محضٌ، وإذا كان ذلك كذلك تكون الأسامي في إطلاقها على الذّات البحت من قبيل الترادف كقولك: (أسد وغضنفر وقسورة وعفرنا) للحيوان المفترس، و(إنسان وبشر) للحيوان الناطق.

(ثُمّ اعلم): إنّ هذه الأسماء الظّاهرة بالألفاظ هي أسماء الأسماء، فتلك الأسماء الحقيقية القدسية هي مسمّيات هذه الأسماء، وتلك الأسماء هي مربّيات الخلق، وهي أرباب الأنواع، كما نطق به صريح الأدعية المأثورة عن الأئمة (صلوات الله عليهم اجمعين): ﴿أسْألُكَ بِاسْمِكَ الّذِي خَلَقْتَ بِهِ كذا

وكذا﴾، فالأسماء الحقيقية هي المربّيات للأنفاس على قدر قابليتها لقبول الفيض، كالمرايا المتعدّدة المنطبعة فيها صور المقابل الخارج.

فإنّ الصّورة تنطبع في كلّ واحدة من تلك المرايا على قدر صقالتها وصفائها فافهم راشداً ولا قوة إلاّ بالله.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَأَفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ﴾

(أقُولُ): وفي بعض النسخ: ﴿وصفاته تفهيم﴾، فيكون معنى أنّ صفاته تفهيم، بمعنى: ﴿أسمائه تعبير﴾، لاتحاد الصفة والإسم، كما قال عليه السلام لَمّا سئل عن الإسم: ﴿الإسْمُ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ﴾[1]، فالإسم والصّفة والتّعبير والتّفهيم بمعنى واحد، وعلى الأوّل يكون أفعاله تفهيماً للخلق تكون سببا لفهم وجود الخالق والفاعل، وانّهُ موجود، لأنّ المفاعيل لا تصدر إلاّ عن فاعل بالفعل.

هذا إذا أردنا الفعل بمعنى المفعول، وأمّا إذا أبقينا الأفعال على حالها ومعناها يكون المعنى: إنّ الأشياء إذا أرادت أنْ تفهم أفعاله لا يمكنها إلاّ بأنفسها، فتعرف وتفهم أنّ هنا أفعالاً ظهرت بالمفاعيل ولا تحيط بها.

والأفعال هي جمع الفعل، والفعل على ما عبره بعض: هو العارض اللازم للذّات عند اعتبار فيض الموجودات عن الذّات المقدسة.

(وَهَذَا غَلَطٌ مَحْضٌ)؛ لأنّ الفعل حادث، وإذا كان عارضاً للذات يلزم أنْ تكون الذات محلاً للعوارض والحوادث، تعالى ربّنا عن ذلك علواً كبيراً.

وَالْفِعْلُ هُوَ: حَرَكَةٌ إيجَادِيّةٌ، يُوجِدُ الْمُوجِدُ بِهَا الْمُوجَدَ.

فهي وإنْ كانت واحدة في حدّ ذاتها بالوحدة الإضافية إلاّ أنّها تختلف بحسب متعلّقاتها، فتتحقق لها مراتب عديدة:

---

[1]. في الكافي للكليني ومعاني الأخبار وعيون الأخبار للصدوق: (عن محمد بن سنان قال: سألته عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف).

فإذا تعلقت بالمادّة، يعني: وجود الشيئ، تسمّى: (مَشِيَّةً).

وإذا تعلّقت بعينه تسمّى: (إرَادَةً).

وإذا تعلّقت بحدوده وهندسته تسمّى: (قَدَراً).

وإذا تعلّقت بتركّب تلك الهندسة تسمّى: (قَضَاءَ).

وهذه الألفاظ وإنْ تطلق بعضها على بعض كما في الرّواية: ﴿ألْمَشِيَّةُ وَالإرَادَةُ وَالإبْدَاعُ أسْمَاؤُهَا ثَلاثَةٌ وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ﴾[1]، لكن يتميّز بعضها عن بعض في تعلّقها بمراتب المفعولات.

وقد اختلف الحكماء والمتكلّمون وسائر العلماء في كون الإرادة: هَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ أوْ حَادِثَةٌ؟

(فذهب الجمهور) من الفريقين إلى قدمها، كما صرّح به صاحب الأسفار وغيره حيث قال: (الإرادة والمحبّة معنى واحد، وهي كالعلم في الواجب تعالى عين ذاته، وهي بعينها عين الدّاعي، وفي غيره تعالى ربما تكون صفة زائدة عليه، وتكون غير القدرة (إلى أنْ قال): فهذه الثلاثة،أعني: القدرة والإرادة والدّاعية متعدّدة في الإنسان بالقياس إلى بعض أفعاله متحدّة في حقّ الباري سبحانه، وكلّها فيه عين الذّات الأحديّة، وفي الإنسان صفات زائدة عليه، وقال الشيخ الرئيس في تعليقاته على الشّفا في بيان إرادته تعالى: إنّ هذه

---

[1]. في عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد للصدوق: (واعلم انّ الإبداع والمشيئة والإرادة، معناها واحد وأسماؤها ثلاثة)، وفي تحف العقول للحرّاني: (قال الرضا عليه السلام: إعلم أنّ التوهم والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة).

الموجودات كلّها صادرة عن ذاته، وهي مقتضى ذاته، فهي غير منافية له، ولأنّه يعشق ذاته فهذه الأشياء كلّها مرادة لأجل ذاته، فكونها مرادة له ليس لأجل غرض وراء ذاته، ولأنها مقتضى ذاته، مثلاً لو كنت تعشق شيئاً لكان جميع ما يصدر عنه معشوقاً لك لأجل ذلك الشيئ، ونحن إنّما نريد الشّيئ لأجل شهوة أو لذّة لا لأجل ذات الشيئ المراد، ولو كانت الشّهوة واللّذة وغيرهما من الأشياء شاعرة بذاتها، وكان مصدر الأفعال عنها ذاتها لكانت مريدة لتلك الأشياء لذاتها، لأنها صادرة عن ذاتها، والإرادة لا تكون إلاّ لشاعر بذاته (وأطال الكلام في هذا المقام إلى أنْ قال): فقد عرفت عناية الواجب الوجود بذاته، وانها بعينها علمه، وهي بعينها عنايته، وإنّ هذه الإرادة غير حادثة، وتبينا انّ لنا إرادة على هذا الوجه.

وقال ابن ابي جمهور في كتابه المجلي: واعلم انّ أرباب الكشف وأصحاب الذّوق اتّفقوا على أنّ ذات الحقّ تعالى من حيث هي يقتضي علمه بذاته بعين ذاته لا بصورة زائدة، فعلمه بذاته يقتضي علمه بجميع الأشياء على ما هي عليه في ذاته، ويسمّى هذا الاقتضاء بالمشية الإلهية، ويعبر عنها بالمحبة، وقد تسمّى بالإرادة، إلاّ انّ الإرادة أخصّ منها من حيث لا تعلّقها بالزيادة والنقصان والحدوث والإمكان والظهور والخفاء والكون والبروز والإيجاد والإعدام، ويعبر عن العلم الإجمالي بالأشياء بالقضاء، والعلم التفصيلي بها بالقدر، ومتعلّق الإرادة الايجاد في المظاهر الكونية، علوية وسفلية، وليست المشيّة كذلك، وإنْ كان لا يقع بالإرادة شيئ إلاّ بمقتضى المشيّة ولا عكس.

-إلى أنْ قال-: فالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسّمع والبصر وأمهات الصّفات هي نسبة ذاتية إذا اعتبرت مع الذّات حصلت الأسماء السبعة، انتهى.

(وَبِالْجُمْلَةِ): أكثر الحكماء ذهبوا إلى أنّ إرادته قديمة، حَذَراً من الدّور والتّسلسل.

(وأمّا مَذْهَبُ الْحَقّ) هُوَ: إنّ إرَادَتَهُ -تَعَالَى- حَادِثَةٌ.

والمنع من لزوم الدور والتسلسل، بأنّهُ سبحانه خلقها بنفسها لا بغيرها، قال عليٌ عليه السلام: ﴿خَلَقَ اللهُ الأشْيَاءَ بِالمشيّةِ وَخَلَقَ المشيّةَ بِنَفْسِهَا﴾[1]، وآية ذلك انك تحدث النية[2] لا بنية أخرى، ولا هي عين ذاتك، وإلاّ لاستحال انفكاكها عنك، والأمر بالعكس.

فظهر انّ الإرادة هي غير الذّات، ولو كانت الإرادة عين الذات للزم تركيب الذّات من السّلب والإيجاب في قولك: أراد ولم يرد، وشاء ولم يشاء.

ولو كانت الإرادة عين الذات لزم أنْ يكونَ الحقّ فاعلاً موجباً.

---

[1]. في الكافي للكليني والتوحيد للصدوق وغيرها: (عن عمر بن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة).

[2]. الظاهر سقوط كلمة: بنفسها.

ولو كانت عين ذاته لزم انّه أراد متى علم وعلم متى أراد، لأنّ علمه عين ذاته، وهو يعلم ولا يريد أبداً، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، وهو يعلم كيف يذهب به ولا يشاء ذهابه أبداً.

ولو كانت عين ذاته لزم أنْ يكونَ: أراد ما علم، وهو -سبحانه- يعلم المعاصي والشرور والكفر ولا يريدها أبداً.

(فإن قيل): لو لم يرد المعاصي والشّرور لزم استيلاء إرادة العاصي والكافر -مثلاً- على إرادته وغلبتها عليه فكيف تجوز ذلك؟

(قلنا): إنّ لله -تعالى- إرادتين؛ إرادة حتم وإرادة عزم.

فبالإرادة الحتمية: ألزم على نفسه أنْ لا يجبر أحداً من خلقه.

وبالإرادة العزمية: أحبّ أنْ يفعل الخلق موافقاً لرضاه.

(فإذا قلنا): إنّه -سبحانه- لا يريد لعباده الكفر، نريد بها الإرادة العزمية لا الحتمية التي أراد أنْ لا يجبر الخلق، فبهذا تبصّر أمرك.

(والحاصل): إنّ حدوث الإرادة من ضرورة مذهب أهل البيت عليهم السلام، والرّادّ عليهم الرّادّ على الله، والرّادّ على الله على حدّ الشّرك بالله، كما نطقت صريح أخبارهم، يعجبني ذكر بعض منها تيمناً وتبركاً: فمن ذلك ما روى عاصم بن حميد: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: لَمْ يَزَلِ اللهُ مُرِيداً؟ فَقَالَ: إنّ الْمُرِيدَ لا يَكُونُ إلاّ وَالْمُرَادُ مَعَهُ، بَلْ لَمْ يَزَلْ عَالِماً قَادِراً ثُمّ أَرَادَ﴾[2].

---

[1]. الاسراء / ٨٦

[2]. الكافي للكليني.

❖وعن عمر بن بكر بن أعين قال: ﴿قُلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيّته هما مختلفان أم متفقان؟ فقال: ليس هو المشية، ألا ترى أنّك تقول: سأفعل كذا إنْ شاء الله تعالى، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك: إنْ شاء الله، دليل على أنّهُ لم يشأ، فإذا شاء كان الّذي شاء كما شاء، وَعِلْمُ اللهِ سَابِقٌ لِلْمَشِيّةِ﴾[1].

❖وعن صفوان بن يحيى قال: ﴿قُلْتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق؟ فقال عليه السلام: الإرادة من المخلوق الضمير، وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فَإرَادَتُهُ إحْدَاثُهُ لا غَيْرَ ذَلِكَ، لأنّهُ لا يروي ولا يهمّ ولا يفكر، وهذه الصّفات منفيّة عنه، وهي مِنْ صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، بقوله له: كن، فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما انّه بلا كيف﴾[2].

❖وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿ألْمَشِيّةُ مُحْدَثَةٌ﴾[3].

---

[1]. في الكافي للكليني: عن بكير بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: علم الله ومشيئته هما مختلفان أو متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك: إنْ شاء الله، دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله السابق للمشيئة

[2]. في الكافي للكليني: عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام، أخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال: الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لانه لا يروي ولا يهمّ ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا هِمّة ولا تفكّر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له.

[3]. الكافي للكليني.

❖وعن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿لَمّا خَلَقَ اللهُ الْمَشِيَّةَ بِنَفْسِهَا، ثُمّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشِيَّةِ﴾[1].

❖وعن أحدهم عليه السلام أنّهُ قال: ﴿الْمَشِيَّةُ وَالإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الأَفْعَالِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنّ اللهَ لَمْ يَزَلْ شَائِيَاً مُرِيداً فَهُوَ لَيْسَ بِمُوَحِّدٍ﴾[2].

(أقولُ): يعني: أنّهُ مُشْرِكٌ.

❖ومن ذلك ما رواه الصدوق في عيون الأخبار ذكر مباحثة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي بمحضر المأمون لعنه الله: ﴿قال سليمان: يا سيدي؛ فما تقول في مَنْ جعل الإرادة اسماً وصفة مثل: حيّ وسميع وبصير وقدير؟ قال الرضا عليه السلام: إنما قلتم: حدثت الأشياء واختلفت لأنّهُ شاء وأراد، ولم تقولوا: حدثت واختلفت لأنّهُ سميع بصير، فهذا دليل على أنّها ليست مثل سميع ولا بصير ولا قدير، قال سليمان: فإنّه لم يزل مريداً، قال عليه السلام: فإرادته غيره؟! قال: نعم، قال عليه السلام: قد أثْبَتَّ معه شيئاً غيره لم يزل! قال سليمان: ما أثْبَتُّ، قال الرضا عليه السلام: أهي محدثة؟ قال سليمان: لا ما هي محدثة، فصاح به المأمون وقال: يا سليمان مثله يعايا أو يكابر؟ عليك بالإنصاف، أما ترى مَنْ حولك من أهل النظر؟! ثم قال: كلّمه يا أبا الحسن فإنّه متكلّم خراسان، فأعاد عليه المسألة، فقال عليه السلام: هي محدثة يا سليمان؛ فإنّ الشّيئ إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزليّاً، قال سليمان: إنّ إرادته منه كما إنّ سمعه

---

[1]. في الكافي للكليني:عن عمر بن أذينة عن أبي عبدالله عليه السلام: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة.

[2]. في التوحيد للصدوق: عن سليمان بن جعفر الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام: المشية والإرادة من صفات الأفعال، فَمَنْ زَعَمَ: أن الله تعالى لم يزل مريداً شائياً، فليس بموحد.

منه وبصره منه وعلمه منه، قال عليه السلام: فإرادته نفسه؟ قال: لا، قال عليه السلام: فليس المريد مثل السميع والبصير، قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه، قال الرضا عليه السلام: ما معنى أراد نفسه؟ أراد أنْ يكونَ شيئاً أو أراد أنْ يكونَ سميعاً أو بصيراً أو قديراً؟!، قال سليمان: نعم، قال الرضا عليه السلام: فليس لقولك: أراد أنْ يكونَ حيّاً سميعاً بصيراً، معنى إذ لم يكن ذلك بإرادته، قال سليمان: بلى؛ قد كان ذلك بإرادته، فضحك المأمون وَمَنْ حوله وضحك الرضا عليه السلام ثمّ قال لهم: إرفقوا بمتكلم خراسان، فقد حال عندكم عن حالة وتغير عنها وهذا مما لا يوصف الله عزّ وجلّ به، فانقطع، ثمّ قال الرّضا عليه السلام: ياسليمان؛ أسئلك مسألة؟ قال: سَلْ جُعِلْتُ فِداكَ، قال عليه السلام: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون الناس بما يفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون؟ قال: بل بما يفقه ويعلم، قال الرّضا عليه السلام: فالذي يعلم الناسُ انّ المريد غير الإرادة، وانّ المريد قبل الإرادة، وانّ الفاعل قبل المفعول، وهذا يبطل قولكم: إنّ الإرادة والمريد شيئ واحد، قال: جعلت فداك؛ ليس ذلك عنه تعالى ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون، قال عليه السلام: فأراكم أوتيتم علم ذلك بلا معرفة وقلتم: الإرادة كالسميع والبصير، إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل، ولم يحر جواباً، ثم قال الرّضا عليه السلام: يا سليمان؛ هل يعلم الله عزّ وجلّ جميع ما في الجنّة والنّار؟ قال سليمان: نعم، قال عليه السلام: أفيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّهُ يكون مِنْ ذلك؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فإذا كان حتى لا يبقى منه شيئ إلاّ كان أو يزيدهم أو يطويه عنهم؟! قال سليمان:

بل يزيدهم، قال عليه السلام: فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنّه يكون؟ قال: جعلت فداك؛ فالمزيد لا غاية له؟ قال عليه السلام: فليس محيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذ لم يعرف غاية ذلك، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أنْ يكونَ تعالى الله عن ذلك علواً كَبيراً.

قال سليمان: إنما قلتُ: لا يعلمه، لأنّهُ لا غاية لهذا لأنّ الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود وكرهنا أنْ نجعل لهما انقطاعاً، قال الرّضا عليه السلام: ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّهُ قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ثمّ لا يقطعه عنهم وكذلك قال الله عز وجل في كتابه: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) وقال لأهل الجنة: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) وقال عز وجل (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ) فهو عزّ وجلّ يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟! قال: بلى، قال عليه السلام: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟! قال سليمان: لا، قال عليه السلام: فكذلك كلّما يكون فيها إذا أخلف مكانه فلم يكن بمقطوع عنهم، قال سليمان: بلى؛ يقطعه عنهم ولا يزيدهم، قال الرّضا عليه السلام: إذاً يبيد ما فيهما، وهذا ياسليمان إبطال الخلود، وخلاف الكتاب، لأنّ الله عز وجل يقول (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيد) ويقول عزّ وجلّ (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) ويقول عزّ وجلّ: (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِين) ويقول عز وجل (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) ويقول عزّ وجلّ: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ)، فلم يحر جواباً، ثمّ قال الرّضا عليه السلام: يا سليمان؛ ألا تخبرني عن الإرادة؟ فعل هي أم غير فعل؟ قال: بل هي فعل، قال: فهي محدثة لأنّ الفعل كلّه محدث؟ قال: ليست

بفعل، قال: فمعه غيره لم يزل؟ قال سليمان: الإرادة هي الانشاء، قال عليه السلام: ياسليمان؛ هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو برّ أو بحر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله تعالى، وإنّ إرادة الله تعالى تحيى وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك، فتبرء منها وتعاديها وهذا أحدها، قال سليمان: إنّها كالسّمع والبصر والعلم، قال الرّضا عليه السلام: قد رجعت إلى هذا ثانية! فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع؟ قال سليمان: لا، قال الرّضا عليه السلام: فكيف نفيتموها؟ فمرّة قلتم: لم يرد، ومرّة قلتم: أراد، وليست بمفعول له؟! قال سليمان: إنما ذلك كقولنا: مرّة علم ومرّة لم يعلم، قال الرّضا عليه السلام: ليس ذلك سواء، لأنّ نفي المعلوم ليس بنفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أنْ تكون لأنّ الشّيئ إذا لم يرد لم تكن إرادة، وقد يكون الإنسان بصيراً وإنْ لم يكن المبصر، وقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم، قال سليمان: إنّها مصنوعة، قال عليه السلام: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر لأنّ السّمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة، قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تزل، قال عليه السلام: فينبغي أنْ يكونَ الإنسان لم يزل لأنّ صفته لم تزل؟ قال سليمان: لا؛ لأنّهُ لم يفعلها، قال الرضا عليه السلام: ياخراساني؛ ما أكثر غلطك! أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء؟ قال سليمان: لا، قال: فإذا لم يكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمباشرة فكيف يكون ذلك؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فلم يحر جواباً، ثمّ قال الرّضا عليه السلام: ألا

تخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) يعني بذلك: أنّهُ يحدث إرادة؟ قال له: نعم، قال عليه السلام: فاذا أحدث ارادة كان قولك هي هو أو شيئ منه باطلاً لأنّهُ لا يكون أن يحدث نفسه ولا يتغيّر عن حاله تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، قال سليمان: انّه لم يكن عني بذلك أنه يحدث إرادة، قال عليه السلام: فما عنى به؟ قال: عنى فعل الشيئ، قال الرّضا عليه السلام: ويلك كم تردّد هذه المسألة وقد أخبرتك إنّ الإرادة محدثة، لأنّ فعل الشيئ محدث، قال: ليس لها معنى؟ قال الرضا عليه السلام: وقد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له؟ فإذا لم يكن لَهَا مَعنى قديم ولا حديث بطل قولكم: إنّ الله لم يزل مريداً، قال سليمان: إنما عنيت إنها فعل من الله تعالى لم يزل، قال عليه السلام: ألا تعلم إنّ ما لم يزل لم يكن مفعولاً وقديماً حديثاً في حالة واحدة؟! فلم يحر جواباً، قال الرّضا عليه السلام: لا بأس أتم مسألتك، قال سليمان: قلت: إنّ الإرادة صفة من صفاته، قال عليه السلام: كم تردّد على انها صفة من صفاته، فصفته محدثة أم لم تزل؟ قال سليمان: محدثة، قال الرّضا عليه السلام: الله أكبر؛ فالإراده محدثة وإنْ كانت صفة من صفاته لم تزل؟ فلم يرد شيئاً، ثمّ قال الرّضا عليه السلام: إنّ ما لم يزل لم يكن مفعولاً، قال سليمان: ليس الأشياء إرادة ولم يرد شيئاً، ثمّ قال الرضا عليه السلام: قد وسوست يا سليمان؛ فقد فعل وخلق ما لم يرد[1] خلقه وفعله وهذه صفة مَنْ لا يدري ما فعل تعالى الله عن ذلك، قال سليمان: يا سيدي؛ فقد أخبرتك انها كالسّمع والبصر

---

[1]. في خ م: يزل.

والعلم، قال المأمون لعنه الله: ويلك يا سليمان؛ كم هذا الغلط والتردد! إقطع هذا وخذ في غيره إذ لست تقوى على هذا الردّ ، وقال الرّضا عليه السلام: دعه ياأمير؛ لا تقطع مسألته فيجعلها حجّة، تكلّم يا سلمان، قال: قد أخبرتك انها كالسمع والبصر، قال الرضا عليه السلام: لا بأس؛ أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحدة أم معان مختلفة؟ قال سليمان: معنى واحد.

قال الرّضا عليه السلام: فمعنى الإرادات كلّها معنى واحد؟ قال سليمان: نعم، قال الرّضا عليه السلام: فإنْ كان معناها معنى واحد كانت إرادة القيام إرادة القعود وإرادة الحياة إرادة الموت، إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدم بعضها بعضاً وكان شيئاً واحداً؟ قال سليمان: إنّ معناها مختلف، قال عليه السلام: فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها؟ قال سليمان: بل هو الإرادة.

قال عليه السلام: فالمريد عندكم مختلف إذ كان هو الإرادة؟

قال: يا سيدي؛ ليس الإرادة المريد.

قال عليه السلام: فالإرادة محدثة وإلاّ فمعه غيره، افهم وزدني في مسألتك.

قال سليمان: فإنّها إسم من أسمائه، قال الرّضا عليه السلام: هل سمّى به نفسه بذلك؟ قال سليمان: لا؛ لم يسم نفسه بذلك، قال الرضا عليه السلام: فليس لك أنْ تسميه بما لم يسمّ به نفسه؟ قال: قد وصف نفسه بأنّه مريد؟ قال الرّضا عليه السلام: ليس صفته نفسه أنّه مريد إخباراً عن أنّه إرادة، ولا إخباراً عن أنّ الإرادة اسم من أسمائه، قال سليمان: لأنّ إرادته علمه.

قال الرّضاعليه السلام: فإذا علم الشيئ فقد أراده؟ قال سليمان: أجل، قالعليه السلام: مِنْ أين قلتَ ذاك؟ وما الدليل على أنّ إرادته علمه، وقد يعلم ما لا يريده أبداً وذلك قوله عز وجل: (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبداً، قال سليمان: لأنّهُ قد فرغ من الأمر فليس يزيد[1] فيه شيئاً.

قال الرّضاعليه السلام: هذا قول اليهود! فكيف قال (أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم)؟ قال سليمان: إنما عنى بذلك انّهُ قادر عليه، قالعليه السلام: أفيعيد ما لا يفي به فكيف قال عز وجل: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء) وقال عز وجل: (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَاب) وقد فرغ من الأمر؟! فلم يحر جواباً.

قال الرّضاعليه السلام: يا سليمان؛ هل يعلم أنّ إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً وأنّ إنسانا يموت ولا يريد أن يموت اليوم؟ قال سليمان: نعم، قال الرّضاعليه السلام: فيعلم أنّهُ يكون ما يريد أنْ يكونَ أو يعلم أنّهُ يكون ما لا يريد أن يكون؟ قال: يعلم انهما يكونان جميعاً، قال الرّضاعليه السلام: إذاً يعلم أنّ إنساناً حيّ ميت قائم قاعد أعمى بصير في حالة واحدة وهذا هو المحال!

قال: جعلت فداك؛ فإنّهُ يعلم أنْ يكونَ أحدهما دون الآخر؟ قالعليه السلام: لا بأس؛ فأيّهما يكون الذي أراد أنْ يكونَ أو الذي لم يرد أن يكون؟ قال سليمان: الذي أراد أنْ يكون، فضحك الرّضاعليه السلام والمأمون وأصحاب المقالات، قال الرضاعليه السلام: غلطت وتركت قولك انّهُ يعلم أنّ إنساناً يموت اليوم

---

[1]. (يريد، خ م)

وهو لا يريد أن يموت اليوم وأنّهُ يخلق خلقاً فإنّهُ لا يريد أن يخلقهم وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أنْ يكونَ فإنّما يعلم أنْ يكونَ ما أراد أن يكون!! قال سليمان: فإنما قولي: إنّ الإرادة ليست هو ولا غيره، قال الرضاعليه السلام: يا جاهل؛ إذا قلتَ: ليس هو، فقد جعلتها غيره، وإذا قلتَ: ليست هي غيره، فقد جعلتها هو! قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشيئ؟ قالعليه السلام: نعم، قال سليمان: فإن ذلك إثبات الشيئ، قال الرّضاعليه السلام: أحلْتَ؛ لأنّ الرّجل قد يحسن البناء وإنْ لَمْ يَبْنِ، وقد يحسن الخياطة وإنْ لم يخيط، ويحسن صنعة الشيئ وإنْ لم يصنعه أبداً، قالعليه السلام: ياسليمان؛ هل تعلم أنّهُ واحد لا شيئ معه؟ قال: نعم، قال الرّضاعليه السلام: أفتعلم أنت ذاك؟ قال: نعم، قالعليه السلام: فأنت يا سليمان أعلم منه إذن؟! قال سليمان: المسألة محال؟ قالعليه السلام: محال عندك لأنّهُ واحد لا شيئ معه وانه سميع بصير حكيم قادر، قال: نعم، قالعليه السلام: فكيف أخبر عز وجل أنه واحد حيّ سميع بصير حكيم قادر عليم خبير وهو لا يعلم ذلك؟! وهذا ردّ ما قال وتكذيبه تعالى الله عن ذلك.

ثُمّ قال الرّضاعليه السلام: فكيف يريد صنع ما لا يريد صنعه ولا ما هو؟! وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيئ قبل أنْ يصنعه فإنما هو متحيرّ؟! تعالى الله عن ذلك، قال سليمان: فإنّ الإرادة القدرة، قال الرضاعليه السلام: وهو عزّوجلّ يقدر على ما لا يريده أبداً ولا بد من ذلك لأنّهُ قال تبارك وتعالى: (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)، فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد

أراد أن يذهب به لقدرته؟! فانقطع سليمان، فقال المأمون عند ذلك: ياسليمان؛ هذا أعلم هاشميّ، ثمّ تفرّق القوم﴾[1].

(وَبِالْجُمْلَةِ): لو نظر الناظر المنصف إلى حدود هذه الكلمات عَرَفَ أنّ مِنْ ضرورة مذهب أهل البيت عليهم السلام القول بحدوث الإرادة.

وما ذهب إليه القوم من: أنّ الإرادة من صفات الذّات.

فهو بمعزل عن الحقّ.

وقولهم: إنّ الصّادر عن الشّيئ إمّا أنْ يكونَ عارضاً له أو جزءً له أو حقيقة، فإذا قلنا: إنّ الإرادة عارضة للذات، يلزم أن تكون الذات محلاً للأعراض والحوادث، وإذا قلنا: إنّها جزء لها، يلزم التجزئة في الذّات، فينحصر القول في انها عين حقيقة الذّات.

فهو خلاف التّحقيق.

ولعمري إذا كانت هي عين الذّات فلا معنى للصّدور، إذ هي هي.

وتعريف الصّادر على ما هو الحقّ لا ينحصر فيما قرّروه، بل يكون الصّادر عن الشّيئ غير هذه الأقسام كالكلام بالنسبة إلى المتكلّم، فإنّهُ ليس جزء من المتكلم، ولا عارضاً له، إذْ هو عارض للهواء كما هو بيّن، ولا حقيقة المتكلّم، فصدور المشية عن الحقّ يكون من هذا القسم، فافهم.

---

[1]. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَذَاتُهُ حَقَائِقُهُ﴾

(أقُولُ): وفي بعض النسخ: ﴿وذاته حقيقة﴾.

ولا يختلف المعنى، إذ ذاته سبحانه هي الحقيقة التي بفعلها تذوتت الذوات، وبأمرها قامت الحقائق.

والحقيقة المتأصلة المستقلّة ليست إلاّ ذات الحقّ، وسائر الحقائق لا تحقّق لَهَا إلاّ بها، فإنّ الحقائق إذا لوحظت مع الذّات البحت لا يبقى لها ذِكْرٌ ولا أثَرٌ، فيصحّ قولك: أنْ لا حقيقة في الوجود إلاّ الله، وساير الحقائق إنما هي لا شيئ، ونعم ما قيل:

لَوْ أقْسَمَ الْمَرْءُ بِالرّحْمنِ خَالِقِهِ ... مِنْ أنّ كُلّ الْوَرَى لا شَيْئَ مَا حَنَثَا

إنْ كَانَ شَيْئاً فَغَيرُ اللهِ خَالِقُهُ ... اللهُ أعْلَمُ مِنْ أنْ يَخْلُقَ الْعَبَثَا

قَالَ عليه السلام: ﴿وَكُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَغُيُورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ﴾

(أقُولُ): الكنه: حقيقة الشيئ، والمعنى: إنّ معرفته حقيقة هي تفريق بينها وبين خلقه، يعني: هو غير خلقه، كما قال عليّ عليه السلام: ﴿تَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ﴾[1]، فإذا ميّزته عن خلقه، فقد عرفته حق المعرفة.

ومن جملة خلقه: الأوهام والعقول والنفوس والطبايع وساير المخلوقات وإدراكاتها، فكلّما تميّزه بمشاعرك الظاهرية والباطنية فهو غيره، لأنّهُ غير خلقه، ثمّ قولك: هو غير الأشياء، لما كان موهماً لتحديده سبحانه لقولك: غير هذا، وغير هذا تحديد، والتّحديد يستلزم التركيب، بيّن عليه السلام بقوله ﴿وغيوره تحديد لما سواه﴾، أنّ قولك: غير هذا، وغير هذا تحديد للغير، لا تحديد للذّات، فإذن يجب أنْ تنزّهه عن جميع ما وقع عليه الإدراك.

والتنزيه يقع على أقسام:

(أحدها) أنك ترى زيداً مثلاً بصفة رذيلة، وتلك الصفة موجودة فيه، ولما كان له شأن آخر يجلّ عن أن يوصف بتلك الصفة تنزّهه عنها.

(وثانيها): انّه ليس موجوداً فيه تلك الصفة، ولكن لما كان صالحاً لاتّصافه بتلك الصفة ورأيت مثلاً عظم شأنه وكبر مجده نفيته عن تلك الصفة ونزهته عنها، بعد ما لاحظت صلوحية تلك الصفة.

---

[1]. في الإحتجاج: قال عليه السلام في خطبة أخرى: (دليله آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة...).

(وثالثها): أنك إذا ذكرت زيداً لم تذكر معه تلك الصفة الذّميمة، ولا تخطر ببالك حتى تلاحظها مع زيد، لجلالة قدره وعظم خطره، فتنزه زيداً عن تلك الصفة مع عدم ملاحظة الصّلوحية وغير الصلوحيّة.

فتنزيه الحقّ انما يكون من القسم الثالث، فإنك إذا ذكرته لم تذكر شيئاً معه حتّى تنزّهه عنه ليلزم تحديده، كما ذهب إليه القوم من: أنّ القول بالتّنزيه مستلزم للتّحديد، والتّحديد مستلزم للتّركيب، فيتجه القول بالتّنزيه والتّشبيه، كما قال مميت الدّين بن عربي:

فإنْ قُلْتَ بِالتّشْبِيهِ كُنْتَ مجسّماً ... وإنْ قُلْتَ بِالتّنْزِيهِ كُنْتَ محدّداً

وإنْ قُلْتَ بِالأمْرَيْنِ كُنْتَ مُوَحّداً ... وَكُنْتَ إمَاماً بِالمعَادِ وَسَيّداً

وقال أيضاً:

الحق المنزه هو الخلق المشبه ... فاجمعوا بين التنزيه والتشبيه

تفصيلاً عن لزوم التحديد المستلزم للتركيب عند التنزيه[1]، وكل هذه نشأت عن تقليد الصوفية قبحهم الله.

وَلَوْ قَلّدُوا الموصَى إلَيْهِ أمُورَهُمْ ... لَزَمّتْ بِمَأمُونٍ عَنِ الْعَثَرَاتِ

أخي خَاتَمِ الرُّسْلِ المصَفّى مِنَ الْقَذَى ... وَمُفْتَرِسِ الأبْطَالِ في الْعَرَصَاتِ

وَلَمّا لَمْ يقلّدوا مَنْ أمروا بتقليده وقعوا في تيه المهالك.

---

[1]. كذا.

(وَبِالْجُمْلَةِ): هم يجمعون بين التّشبيه والتنزيه، وذلك نشأ من القول بوحدة الوجود، إذ عندهم أنّ العالم كلّه عين الذات الحقّ، كما صرح به صاحب جوامع الأسرار من انّ الذّات الأحدية وجود مطلق والمقيد هو المطلق مع إضافة التعيّن إليه وحصوله من تجلياته يصح اطلاقها عليها وعلى تلك الذات بالإشتراك المعنوي المشكك وعلى أفراد كلّ نوع بالتّواطئ، فتارة هذه الحقائق لا جوهر ولا عرض، بل هي واجبة قديمة، وتارة جواهر وأعراض ممكنة حادثة، فَمَنْ لاحَ لَهُ حقيقة ما ذكرناه، وظهرت له وجوه الإعتبارات، خلص من الشّكوك والشّبهات.

(فعندهم القول)؛ بأنّ الحقّ غير الخلق، يستلزم التّحديد.

(والقول)؛ بأنّ الحقّ عين الخلق يستلزم التشبيه.

(فالجمع بينهما)؛ بمعنى: أنْ تقول: الحقّ عين الخلق بوجه وغيره بوجه، ذلك التوحيد، وحملوا الرّواية الواردة في تفرقة صفات الذّات وصفات الفعل بقولهم عليهم السلام: ﴿أَلجمْعُ بِلا تَفْرِقَةٍ زَنْدَقَةٌ، وَالتَفْرِقَةُ بِلا جَمْعٍ تَعْطِيلٌ، وَالجمْعُ بَيْنَهُمَا تَوْحِيدٌ﴾[1]، على ما ذهبوا إليه.

---

[1]. في الكتاب المسمّى بجامع الأسرار لحيدر الآملي، إمّا نقلاً عن فصوص الحكم أو إشارة لِمَعنى ما يريده، مِنْ غير أن ينسبه للإمام الصادق عليه السلام، قال: وفيه قيل أيضاً: الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بلا جمع تعطيل، والجمع مع التفرقة توحيد، وفي منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة حبيب الله الخوئي: وقد جاء حديث عن معدن الحقائق الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق صلوات اللّه تعالى عليه: (إنّ الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بدون الجمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد).

وقال صاحب المجلي: (قال بعض الكمّل: إياكم والجمع والتفرقة، فإنّ الأوّل يورث الزّندقة والإلحاد، والثاني يقتضي تعطيل الفاعل المطلق، وعليكم بهما، فإنْ جامعهما موحد حقيقي، وهو المسمى بجمع الجمع، وهو التوحيد الحقيقي، فهو عبارة عن مشاهدة الحقّ تعالى جل جلاله في المظاهر العلوية والسفلية بحيث لا يحتجب بالظّاهر عن المظهر، ولا بالمظهر عن المظاهر، بل يشاهدهما معاً عيناً من وجه، غيراً من وجه، فإذا حذفت الحدود والقيود كان المشهود واحداً (إلى أن قال): فإنّ المطلق عين المقيد من وجه، وغيره بوجه آخر، وكذا المقيد عين المطلق بوجه وغيره بوجه، فقس عليه الحق والخلق والرّبّ والمربوب والظاهر والمظهر والجمع والتفرقة).

وقال صاحب الكلمات المكنونة: (كلمة فيها إشارة إلى معنى القضا والقدر وسر القدر وسرّ سرهّ، القضا: عبارة عن الحكم الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الحادثة من الأزل إلى الأبد، والقدر: هو تفصيل ذلك الحكم بإيجادها في أوقاتها وأزمانها التي يقتضي الأشياء وقوعها فيها باستعدادتها الجزئية، فتعلق كلّ حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر، وسرّ القدر: انّهُ لا يمكن لعين من الأعيان الخلقية أنْ يظهر في الوجود ذاتاً وصفةً وفعلاً إلاّ بقدر خصوصية قابليته واستعداده الذاتي، وسرّ سرّ القدر: أنّ هذه الأعيان الثابتة ليست أموراً خارجة عن الحقّ، بل هي نسب وشؤون ذاتية، فلا يمكن أنْ يتغيّر عن

حقائقها، فإنّها حقائق ذاتيات، وذاتيات الحقّ سبحانه لا يقبل الجعل والتغير والتبديل والمزيد والنقصان)، انتهى.

وإذا نَظَرْتَ بعين الحقيقة تجد كُلّ ما قالوا بمعزل عن الحقّ.

فإنّ الحقّ سبحانه لا يندرج في شيئ، ولا يندرج فيه شيئ، ولا يقترن بشيئ، ولا يقترن به شيئ، ولا داخلاً في شيئ، ولا داخلاً فيه شيئ، ولا خارجاً عن شيئ، ولا يخرج عنه شيئ، لأنّ كُلّ ذلك من صفات الحوادث، والله سبحانه لا يوصف بصفات المخلوقين، فَمَنْ قال: بأنّه عين الأشياء بوجه وغير الأشياء بوجه، فقد أبطل أزليته، وجعله من سنخ الحوادث، وما نزّهه عن صفات المخلوقين.

(وقولهم): إنّ التّنزيه يستلزم التحديد.

فهو ليس على ما ذهبوا إليه، لأنّ تنزيهه سبحانه يحدّد غيره، وعند التنزيه لا يلاحظ شيئ حتّى يستلزم تحديده.

وأمّا رواية ﴿الجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع بينهما توحيد﴾، فمعناها: إنّ صفات الحقّ على ضربين: ذاتيّة وفعليّة.

(فالذّاتيّة)؛ هي عين الذّات، كالعالم والقادر والسميع والبصير.

(والفعليّة)؛ هي غير الذّات كالخالق والرازق والفاعل مثلاً فإنّها من صفاته الفعليّة، ولما كانت هذه الصفات غير الذّات، فكان عند التفرقة يلزم التعطيل إذا قلنا: إنّ الذّات ليست بخالقة ولا رازقة ولا فاعلة، فمن أجل هذا

قلنا: انّ هي[1] الذّات المتصفة بهذه الصفات، حتى يرتفع التعطيل، فالخالق يكون هو الله سبحانه بفعله.

(فإذا قلنا):هذه الصفات هي صفات الذات بلا مغايرة فهي تكون زندقة.

(وإذا قلنا): إنّ هذه الصّفات غير الذّات ولا تتّصف الذّات بها بفعلها يستلزم التعطيل.

(وإذا قلنا): إنّ هذه الصّفات هي غير الذّات، والذّات اتّصفت بها بفعلها، فذاك التوحيد.

فالجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع بينهما توحيد.

(ويحتمل): أنّ الرّواية وردت في شأن الأئمة عليهم السلام في أنّهم صلوات الله عليهم أجمعين نورٌ واحدٌ، وهم متّحدون في الحقيقة والذّات، كما في رواية النّورانية عن عليّ عليه السلام ﴿قال: يا سلمان ويا جندب؛ نحن أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد﴾[2]، وفي الزّيارة الجامعة: ﴿وأنّ نُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ﴾[3].

والرّوايات في هذا المعنى كثيرة جدّاً.

وهم بحسب الظاهر مختلفون فمحمّد غير عليّ، وعلي غير محمد عليهما السلام، وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام، فالجمع بينهم بلا تفرقة في تعيناتهم فزندقة.

والتفرقة بينهم بحسب تعيناتهم بلا جمع في حدّ ذاتهم وطينتهم فتعطيل.

---

[1]. كذا في: خ م، والظاهر الصحيح: إنّها.

[2]. بحار الأنوار للمجلسي.

[3]. من الزيارة الجامعة الكبيرة التي وردت في مصادر عديدة منها: عيون أخبار الرضا عليه السلام ومَنْ لا يحضره الفقيه للصدوق وتهذيب الأحكام للطوسي والمزار الكبير لمحمد بن المشهدي وغيرها.

والجمع بينهما توحيد، لأنهم عليهم السلام أركان التوحيد، فلا يتم التوحيد إلاّ بهم، ولذلك قال مولينا الرّضا عليه السلام: ﴿مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنّةُ بِشَرْطِهَا وَشُرُوطِهَا، وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا﴾[1].

فالتّوحيد لا يتحقّق إلاّ بالإقرار بهم، والإيمان بولايتهم، والتصديق بمراتبهم، فإذا أنكرتَ شيئاً من مراتبهم فقد أنكرتهم، وإذا انكرتهم فقد أنكرتَ التوحيد، وإذا أقررتَ بهم وبمراتبهم وبغيبهم وشهادتهم فقد أقررتَ بالتوحيد.

فاحتفظ بهذا إنْ كُنْتَ مِنْ أهله، فإنّه من مكنونات أسرار أهل البيت عليهم السلام، قَلّ مَنْ أدركه وفاز به، ففز بالنّصيب من المعلّى والرّقيب.

---

[1]. في عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد للصدوق وروضة الواعظين للفتال النيسابوري وغيرهم : (لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي، قال: فلما مرّت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها).

❖وفي شرح الزيارة الجامعة لعبد الله الشبر: كما روي عن الرضا عليه السلام: مَنْ قال: لا إله إلاّ الله، دخل الجنة، بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها.

❖وفي كتاب المراقبات لجواد آغا الملكي التبريزي : روي أنّه قال أبو الحسن الرضا عليه السلام في مسيره إلى طوس: من قال: لا إله إلا الله، وجبت له الجنّة، ثمّ قال: بشرطها وشروطها وأنا من شروطها.

قَالَ عليه السلام: ﴿فَقَدْ جَهِلَ اللهَ مَنِ اسْتَوْصَفَهُ﴾

(أقُولُ): يعني مَنْ طلب وصفه بصفات المخلوق فقد جهله، لأنّهُ سبحانه لا يوصف بصفات الخلق، والّذي لا يوصف بصفات الخلق لا تقع عليه صفات الخلق، والخلق لما لا يدركون إلاّ صفاتهم التي هي أثر فعل الله فلا يمكنهم أنْ يدركوا صفات الحقّ بوجه من الوجوه، ونعم ما قيل:

فِيكَ يَا أغْلُوطَةَ الْكَوْ ... نِ غَدَا الْفِكْرُ كَلِيلا

أنْتَ حَيّرْتَ ذَوِي اللُّ ... بِّ وَبَلْبَلْتَ الْعُقُولا

كُلّمَا أقْبَلَ فِكْرِي ... فِيكَ شِبْراً فَرَّ مِيلا

وفي الرّواية: ﴿انّه قال رجل بمحضر من الإمام عليه السلام: الله أكبر، قال عليه السلام: الله أكبر مِنْ أيّ شيئ؟ قال: مِنْ كُلّ شيئ، قال عليه السلام: وهل ثَمّة شيئ حتى يكون الله أكبر منه؟! ثم قال الرجل: يا سيدي؛ فما معناه؟ قال عليه السلام: الله أكبر مِنْ أنْ يُوصَف﴾[1].

ويحتمل أنْ يكونَ المراد بقوله عليه السلام: ﴿فقد جهل الله من استوصفه﴾.

أنّهُ جعله ذا وصف، فَمَنْ جَعَلَهُ ذَا وَصْفٍ فَقَدْ جَهِلَهُ، وكون استوصفه بمعنى: جعله ذا وصف، من قبيل ما ورد في العقل حيث قال: ﴿إنّ اللهَ لما خَلَقَ الْعَقْلَ استنطقه، ثمّ قال له: أقْبِلْ، فَأقْبَلَ، ثمّ قال له: أدْبِرْ، فَأدْبَرَ، ثمّ قال:

---

[1]. الكافي للكليني والمحاسن للبرقي وغيرها.

وعزّتي وجلالي؛ ماخلقتُ خلقاً هو أحبّ إليّ منك، ولا أكملتُكَ إلاّ فيمنْ أحبّ، إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب، وإيّاك أثيب..الحديث﴾[1].

فقوله عليه السلام: ﴿استنطقه﴾، يعني: جَعَلَهُ ذَا نُطْق.

(وبِالْجُمْلَة): إنّ مَنْ جَعَلَهُ ذَا وَصْف، فَقَدْ جَهِلَهُ، لأنّ مَنِ اعْتَبَرَ فيه صفة، فلم يوحده، إذ التوحيد إسقاط الإضافات، ونفي الصفات، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: ﴿كَمَالُ التَوْحِيدِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، بشَهَادَةِ كُلّ صِفَةٍ عَلَى أنّهَا غَيْر الْمَوْصُوف﴾[2].

(ثُمّ اعْلَمْ): إنّهُ وَقَعَ الخلافُ في صفاته تعالى:

(فالجمهور) من الفلاسفة نفوها عنه وأثبتوا ذاتاً واحدة منزهة عن الصفات الحقيقية.

(والمعتزلة) وافقوا الفلاسفة في ذلك، وقالوا: يمتنع ثبوت قديم آخر مع الله، إلاّ أنهم قالوا بثبوت الأحوال، وأنها ثابتة في الأزل مع الله، وأنها ليست بقديمة ولا حادثة ولا شاعرة، فقد اتفقوا على أنّ لله صفات قديمة قائمة بذاته، فاثبتوا قدماء مع الله.

(والحربائيون) فقد أثبتوا خمسة من القدماء اثنان حيّان فاعلان وهما الباري تعالى والنفس، أمّا الباري فلا شكّ انّه حيّ فاعل لهذا العالم المحسوس، وأمّا النفس فهي حيّة لذاتها وفاعلة، لأنّ سبب حياة هذه الأبدان

---

[1]. الكافي للكليني والمحاسن للبرقي وغيرها

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق والاحتجاج للطبرسي ونهج البلاغة وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

البشرية والأجسام الفلكية هو النفس، فإذا تعلّقت به تعلّق التدبير والتّصرف جعلتها حيّة، وأيضاً سبب حدوث هذا العالم في الوقت الذي حدث فيها إنما هو إلتفات النفس إلى الهيولي، وهذا المذهب محكي عن افلاطون فإنّه كان يقول بقدم النفوس البشرية.

وأمّا القديم الثالث فهو الهيولي، وهي منفعلة، لأنها تقبل الصور عن واهب الصّور، وتصير محلاً لَهَا، ولا معنى لانفعالها سوى ذلك، وإثنان آخران واجبان، ولا فاعلان، ولا منفعلان، وهما الدّهر والفضا، أمّا الدّهر فالمراد به الزّمان، وأمّا الفضا فالمراد به الخلا.

(حجّة الفلاسفة)؛ انها لو كانت صفات معه سبحانه للزم قدمها، فتكون محتاجة إلى ما به الإمتياز، لكونها مشتركة في القدم، فتكون مركبة ممّا به الإشتراك وما به الإمتياز، وكلّ مركّب حادث، فينتهي إلى وجود واجب يسدّ فقرها، وإلاّ لزم الدّور أو التّسلسل، وبطلانهما واضح جداً، فنفوا الصفات بأسرها، وهذا يصح إذا قلنا بعينية الصفات، كما نبينه إنْ شاء الله.

وأمّا مع نفي الصّفات، بمعنى: أنّه ليس له صفاتاً[1] هي عين ذاته، فبطلانه واضح.

(وحجة المعتزلة القائلون بثبوت الأحوال)؛ اننا إذا لم نقل بثبوت الأحوال، وانها ليست بقديمة ولا حادثة، لزمنا القول بأنّ الذّات البحت تكون عارية عن الصفات، فيلزم -مَثَلاً- عدم علمه وعدم قدرته، فيلزم جهله

---

[1]. كذا، والصحيح: صفات.

وعجزه، وأمّا ليست قديمة لاستحالة تعدد القدماء، وأمّا انها ليست حادثة فلأنّ الحادث مسبوق بالعدم الزّماني، فيلزم الإنتقال من حال إلى حال، فيكون جاهلاً قبل أنْ يكونَ عالماً.

(والجواب): إنّ صفاته عين ذاته، وإلاّ لكان محتاجاً إلى الغير، ولو كان محتاجاً إلى الغير بطل وجوب، ثمّ انّ الأحوال التي يثبتونها له سبحانه بقولهم: ليست قديمة ولا حادثة، غَلَطٌ مَحْضٌ، إذ لا منزلة بين الحدوث والقدم، ومن المستحيل أنْ يكونَ شيئاً في الوجود ليس قديماً ولا حادثاً، فإذا نفيته عن الحدوث كان قديماً، وإذا نفيته عن القدم كان حادثاً، لأنّهُ شيئ، والشيئ إمّا أنْ يكُونَ خالقاً أو مخلوقاً، وإن كانت الأحوال لا شيئ، فلا شيئ عدم بحت، ولا يترتب عليه الآثار.

(وذهبت الاشاعرة)؛ إلى تعدّد القدماء وانها صفاته سبحانه.

وبطلانه واضح لأدلة التوحيد.

حجة الحربائيون[1] بأنّه لابدّ من انتهاء الممكنات إلى مؤثر واجب لذاته، وذلك الواجب لا يجوز أنْ يكونَ حادثاً وإلاّ لافتقر إلى محدث، والكلام فيه كما في الأوّل، فيلزم التسلسل وهو محال.

وأمّا النفس؛ فقد استدلوا على قدمها بأنّها لو كانت حادثة لكان لها مادة، لكن كون النفس مادية محال، لأنها مجرّدة، فلا تكون حادثة، وبتقدير كونها مادية فمادتها لا تكون حادثة، وإلاّ لكان لَهَا مادّة أخرى، والكلام في

---

[1]. كذا والصحيح: الحربائيين.

المادة الثانية كالكلام في الأولى، ولزم التسلسل وهو محال، فإذن لابدّ من الإنتهاء إلى ما يكون قديماً، ولا نعني بالنفس إلاّ ذلك.

(وأمّا الهيولي)؛ فقد احتجّوا على قدمها بأنّها لو كانت حادثة لكان لها هيولي أخرى، والكلام فيها كالكلام في الأوّل.

(وأمّا الزّمان)؛ فقد احتجوا على قدمه لو كان حادثاً يصح عليه العدم، وكلّ ما كان ممكناً لا يلزم من فرض وقوعه محال، لأنّهُ لو عدم لكان عدمه قبل وجوده قبلية بالزمان، فيلزم أنْ يكونَ للزمان زمان، فالزّمان موجود حال ما فرض معدوما، وانّه محال، وكما انّه لا أوّل له فكذلك لا آخر له، لأنّهُ لو عدم بعد وجوده بعدية بالزمان فيلزم المحال المذكور، وكلّ ما يلزم من فرض عدمه محال فهو واجب لذاته، فالزّمان واجب لذاته.

(وأمّا الخلا)؛ فقد احتجوا على قدمه بأنْ قالوا انّه واجب لذاته، لأنّهُ يلزم من فرض عدمه المحال، وكلّ ما كان كذلك كان واجباً لذاته.

(أمّا المقدّمة الأولى)؛ فلأن لو ارتفع لما بقيت الجهات متميّزة، أعني: لا يتميّز جهة الفوق عن جهة السفل، ولا جهة اليمين عن جهة الشمال، وذلك محال بالضرورة.

(وأمّا المقدّمة الثّانية)؛ فظاهرة.

(أقُولُ): إثبات المؤثر وكونه واجباً لذاته فصحيح مطابق للأدلّة العقليّة والنقلية من الشرائع الإلهية ولا يجد أحد فيه مقالاً.

وأمّا احتجاجهم على قدم النفس، وانها لو كانت حادثة لكان لها مادة، لكن كون النفس مادية محال، ولو كانت ماديّة فلا تكون حادثة، وإلاّ لكان لَهَا مادّة، لكن كون النّفس ماديّة محال، ولو كانت مادية فلا تكون حادثة وإلاّ لكان لَهَا مادّة أخرى.

(فهو بمعزل عن التّحقيق)؛ لأنّ النّفس لَهَا مادّة جوهريّة ملكوتيّة، مجرّدة[1] عن المادّة الجسمانية والعنصرية والمدّة الزّمنية، وهي مركبة من المادة والصورة، وخلق الله سبحانه مادتها لا من شيئ، فلا تحتاج إلى مادّة أخرى، بل خلقها الله بنفسها، لا مِنْ شيئ بمشيته وإرادته.

وذكر شارح المحصل في شرحه المسمّى بالمفصل احتجاج أرسطو ومن تبعه على حدوث النفس: ((بأنها لو كانت أزلية فلا تخلو؛ إمّا أنْ تكون واحدة أو كثيرة، والقسمان باطلان فبطل القول بكونها أزليّة، أمّا الشرطية فظاهرة، وأمّا انتفاء القسم الأوّل: فلأنها لو كانت واحدة فبعد التعلّق بالأبدان؛ إمّا أنْ تبقى واحدة، أو لا تبقى، والأوّل باطل، لأنّها بعد التعلّق، لو بقيت واحدة، لكان جميع النّاس نفس واحدة، فكلّما علمه واحد منا علمه كلّ واحد، وكلّما تحمّله واحد منّا تحمّله كلّ واحد، وذلك معلوم الفساد بالضرورة، والثاني أيضاً باطلٌ، لأنها بعد التعلّق إذا لم تبق واحدة فقد انقسمت، ولو انقسمت لحصلت بعد الإنقسام هويتان، وذلك محال، لأنّ تينك الهويتين إنْ كانتا حاصلتين قبل القسمة وقد كانت الكثرة حاصلة قبل حصولها، هذا خلف،

---

[1]. في المخطوطة: لا مجردة، والظاهر زيادة كلمة: لا، والصحيح ما أثبتناه.

وإنْ لم يكونا حاصلتين قبل القسمة فقد حدثتا الآن، ولو كان كذلك لزم أنْ يكونَ بعد التعلّق قد حصلت هاتان النفسان والنفس التي كانت موجودة قبل التعلّق قد فنيت، وحينئذ لا يكون انقساماً للنّفس الأوّل، بل إعداماً لها، وإيجاد النّفسين الأخيرتين، وقد فرض كذلك، وهذا خلف.

وأمّا انتفاء القسم الثاني: فلأنها لو كانت كثيرة فلابُدّ أنْ يمتاز كلّ واحد منها عن الأخرى بشيئ، لأنّ الكثرة بدون الإمتياز غير معقول، وذلك الإمتياز إمّا أنْ يكونَ بالذّاتيات ولوازمها، أو بالعوارض، والأوّلان محالان، لأنّ النّفوس البشريّة متّحدة بالنّوع، والأمور المتّحدة بالنّوع تكون متساوية في جميع الذّاتيات واللّوازم، والثالث أيضاً محال، لأنّ الإختلاف بالعوارض يقتضي اختصاص ذات بصفة دون ما يماثلها من الذّوات، وذلك الإختصاص إنما يكون بسبب تغاير المواد، ولا مادة للنفس قبل هذا البدن))، انتهى.

(أقُولُ): قوله: ولا مادّة للنفس قبل هذا البدن.

(ليس بصحيح)؛ لأنّ النّفس لَهَا مادّة ملكوتيّة مِنْ سنخ الملكوت، ويكفينا في الإستدلال على حدوثها بأنّها إذا كانت متكثرة احتاجت إلى ما به الإمتياز، فتتركب مِمّا به الإشتراك وما به الإمتياز، وقد قام الدليل على أنّ كُلّ مركّب حادث، ويتمشى هذا الدّليل أيضاً على القول بوحدتها بأنّها حادثة لأنها لو كانت عين ذات الحقّ أو غيرها، والأوّل خلاف المفروض، والثاني تشترك في القدم معها فتحتاج إلى ما به الإمتياز، فتكون مركبة مِمّا به الإشتراك وما به الإمتياز فتكون حادثة.

(والنفس لها مراتب)؛ عديدة كما في حديث الأعرابي: ﴿لَمّا سئَلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن النّفس؟ فقال عليه السلام: وَعَنْ أيّ الأنْفُسِ تَسْأَلُ؟ قَالَ: يَا مَوْلايَ هَلِ النّفْسُ عَديدَةٌ؟ فقال عليه السلام: نَعَم؛ نَامِيَةٌ نَبَاتِيَّةٌ، وَحيَوانِيَّةٌ حسّاسَةٌ، وَنَاطِقَةٌ قُدْسِيَّةٌ، وإلَهِيَّةٌ مَلَكُوتِيَّةٌ، فَقَالَ: يَا مَوْلايَ؛ مَا النّبَاتِيَّةُ؟ قَالَ عليه السلام: قُوَّةٌ أصْلُهَا الطّبَائِعُ الأرْبَع، بُدُوِّ إيجادِهَا عِنْدَ مَسْقَطِ النّطْفَة، مَقَرّهَا الْكَبِدُ، مَادّتُهَا مِنْ لَطَائِفِ الأغْذِيَة، فِعْلُهَا النّمُوّ وَالزّيَادَة وَالنّقْصَان، سَبَبُ فِرَاقِهَا اخْتِلافُ الْمُتَوَلّدَات، فَإذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إلى مَا منْهُ بَدَأَتْ، عَوْدَ مُمَازَجَة لا عَوْدُ مُجَاوَرَة، فَقَالَ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا النّفْسُ الحيْوَانِيَّةُ ؟ فَقَالَ عليه السلام: قُوَّةٌ فَلَكِيَّةٌ وَحَرَارَةٌ غَرِيزِيَّةٌ، أصْلُهَا الأفْلاكُ[1]، بُدُوِّ إيجادِهَا عِنْدَ الْوِلادَة الجسْمَانِيَّة، فِعْلُهَا الحيَاةُ وَالحرَكَةُ وَالظّلْمُ وَالْغَشْمُ وَالْغَلَبَةُ وَاكْتِسَابُ الأمْوَالِ وَالشّهَوَاتِ الدّنْيَوِيَّة، مَقَرّهَا الْقَلْبُ، سَبَبُ فِرَاقِهَا اخْتِلافُ الْمُتَوَلّدَات، فَإذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إلى مَا منْهُ بَدَأَتْ، عَوْدَ مُمَازَجَة لا عَوْدَ مُجَاوَرَة، فَتَنْعَدِمُ صُورَتُهَا، وَيَبْطُلُ فِعْلُهَا وَوُجُودِهَا، وَيَضْمَحِلّ تَرْكِيبُهَا، فَقَالَ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا النّفْسُ النّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ؟ قَالَ عليه السلام: قُوَّةٌ لاهُوتِيَّةٌ، بَدْوُ إيجادِهَا عِنْدَ الْوِلادَة الدّنْيَوِيَّة، مَقَرّهَا الْعُلُومُ الحقِيقِيَّة الدينية[2]، مَوَادّهَا التّأييدَاتُ الْعَقْلِيَّة، فِعْلُهَا الْمَعَارِفُ الرّبّانِيَّة، وَفِرَاقُهَا عِنْدَ تَخَلّلِ الآلات الجسْمَانِيَّة، فَإذَا فَارَقَتْ عَادَتْ إلى مَا منْهُ بَدَأَتْ، عَوْدَ مُجَاوَرَة لا عَوْدَ مُمَازَجَة، فَقَالَ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا النّفْسُ الإلَهِيَّة الملكُوتِيَّة؟ قَالَ عليه السلام: قُوَّةٌ لاهُوتِيَّة،

---

[1]. في المخطوطة: الإيجاد، والصحيح ما أثبتناه.

[2]. في بعض المصادر: اللّدنية.

وَجَوْهَرَةٌ بَسِيطَةٌ، حَيَّةٌ بِالذَّات، أَصْلُهَا الْعَقْلُ، مِنْهُ بَدَأَتْ، وَعَنْهُ وَعَتْ وَإِلَيْهِ دَلَّتْ وَأَشَارَتْ، وَعَوْدُهَا إِلَيْهِ إِذَا كَمُلَتْ وَشَابَهَتْهُ، مِنْهَا بَدَأَتِ الموجُودَاتُ، وَإِلَيْهَا تَعُودُ بِالْكَمَال، فَهِيَ ذَاتُ اللهِ الْعُلْيَا[1]، وَشَجَرَةُ طُوبَى، وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَشْقَ أَبَداً، وَمَنْ جَهِلَهَا ضَلَّ سَعْيُهُ وَغَوَى، فَقَالَ السَّائِلُ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا الْعَقْلُ؟ قَالَ عليه السلام: ﴿الْعَقْلُ جَوْهَرٌ بَسِيطٌ، دَرَّاكٌ، مُحِيطٌ بِالأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، عَارِفٌ بِالشَّيْءِ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَهُوَ عِلَّةُ الْمَوْجُودَاتِ، وَنِهَايَةُ الْمَطَالِبِ﴾[2]، انتهى.

(أقـول): لعلّ المراد من النّفس الإلهية الملكوتية هي رتبته عليه السلام في رتبة المعاني، لأنّ لهم عليهم السلام مقامات:

(أحدها): مرتبة البيان المعبر عنه بـ: (المقامات والحالات) في أحاديثهم وأدعيتهم، وإنْ كان ذلك المقام لا اسم له ولا رسم له، لأنّ ذلك مقام الحديدة المحماة بالنار، كما قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: ﴿ظَاهِرِي الإِمَامَةُ وَبَاطِنِي غَيْبٌ لا يُدْرَكُ﴾.

وفي بعض النسخ ﴿ظَاهِرِي الْوَلايَةُ وَبَاطِنِي غَيْبٌ لا يُدْرَكُ﴾[3].

وقال عليه السلام: ﴿أَنَا الَّذِي لا يَقَعُ عَلَيَّ اسْمٌ وَلا صِفَةٌ﴾[4].

---

[1]. ذات العليا كذا في المخطوطة، والصحيح ما أثبتناه، والإضافة لاميّة ملكية لا حقيقية، أي: ذات هي مُلْكٌ لله سبحانه، فتفطن.

[2]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني.

[3]. في مشارق انوار اليقين لرجب البرسي: (ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك).

[4]. في مشارق أنوار اليقين للبرسي: (أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه).

وأشير إلى ذلك المقام ما ورد عن الصادق عليه السلام: ﴿لَنَا مَعَ اللهِ حَالاتٌ، نَحْنُ هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ﴾.

وفي بعض النسخ: ﴿إلاّ أنّهُ هُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ﴾[1].

وتحقيقه ما ذكرنا سابقاً ولا نعيده.

(وثانيها): مرتبة المعاني ومقام الولاية واستواء صفة الرّحمانية على العرش، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، فهو في هذه الرّتبة ذات الله العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، وقوله عليه السلام: ﴿ذات الله العليا﴾[2]، الإضافة لاميةّ، يعني ذات لله سبحانه، أي: ذات هو ملكٌ لله وَعَبْدُهُ، ولأجل شرافته نسبه إلى نفسه، كما قال: ﴿الكعبة بيتي﴾، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[3]، وكذلك ما ورد في الزيارة: ﴿ألسّلامُ عَلَى نَفْسِ اللهِ الْقَائِمَةِ بِالسُّنَنِ﴾[4]، وكذلك ما وَرَدَ أيْضاً:

---

[1]. في الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني: (لَنَا حَالاتٌ مَعَ اللهِ، هُوَ فِيهَا نَحْنُ، وَنَحْنُ فِيهَا هُوَ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ).

[2]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني من حديث الأعرابي لَمّا سأل أميرَ المؤمنين عليه السلام عن النّفس: (..فَقَالَ: يَا مَوْلايَ؛ وَمَا النَّفْسُ الإلَهِيّة الملكُوتِيّة؟ قَالَ عليه السلام: قُوّةٌ لاهُوتِيّة، وَجَوْهَرَةٌ بَسِيطَةٌ، حَيّةٌ بِالذّاتِ، أصْلُهَا الْعَقْلُ، مِنْهُ بَدَأتْ، وَعَنْهُ وَعَتْ وَإلَيْهِ دَلّتْ وَأشَارَتْ، وَعَوْدُهَا إلَيْهِ إذَا كَمِلَتْ وَشَابَهَتْهُ، وَمِنْهَا بَدَأتِ الموجُودَاتُ، وَإلَيْهَا تَعُودُ بِالْكَمَالِ، فَهِيَ ذَاتُ اللهِ الْعُلْيَا، وَشَجَرَةُ طُوبَى، وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَجَنّةُ الْمَأوَى، مَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَشْقَ، وَمَنْ جَهِلَهَا ضَلّ سَعْيُهُ وَغَوَى..).

[3]. الحجر / ٣٠

[4]. في بحار الأنوار للمجلسي ج٩٧ ص ٣٣١ نقلاً عمّا يسمّيه (الكتاب العتيق الغروي): (زيارة صفوان الجمال لأمير المؤمنين عليه السلام:..السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن..).

◆وفي المزار الكبير لمحمد بن المشهدي المطبوع الآن تحقيق جواد القيومي ص١٨٥: (سلام على نفسه القائمة فيه بالسنن)، والملاحظ تشابه الزيارتين، وإن اختلفتا في المصدرين كمّاً ووقتاً، فراجع.

﴿السّلامُ عَلَى نَفْسِ اللهِ الْمُطْمَئِنّةِ﴾ ، وفي هذه الرّتبة هم عليهم السلام معاني أفعاله سبحانه، لا معاني ذاته، لأنّ ذاته البسيطة لا معاني لها.

(وثالثها) مرتبة الأبواب: لأنهم عليهم السلام باب الله الذي لا يؤتى إلاّ منه، كما في الرّوايات المتظافرة المتكاثرة، وفي الزيارة: ﴿بِكُمْ يُبَيّنُ اللهُ الكَذِبَ، وَبِكُمْ يُباعِدُ اللهُ الزّمَانَ الْكَلِبَ[1]، وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللهُ تِرَةَ كُلّ مُؤمِنٍ يُطْلَبُ، وَبِكُمْ تُنْبِتُ الأَرْضُ أشْجارَها، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الأشْجارُ أثْمارَها، مَنْ أرَادَ اللهَ بَدَءَ بِكُمْ، إرادَةُ الرّبّ في مَقادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إلَيْكُمْ، وَيَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ الصّادِرُ عَمّا فُصّلَ مِنْ أحْكامِ الْعِبادِ﴾[2].

---

[1]. زمان الكلب، أي: زمان الشّدائد الصّعْبَة والجور.

[2]. في الكافي للكليني وكامل الزيارات لابن قولويه والفقيه للصدوق والتهذيب للطوسي: (مَنْ أرادَ اللهَ بَدَءَ بِكُم، بِكُمْ يُبَيّنُ اللهُ الكَذِبَ، وَبِكُمْ يُباعِدُ الزّمانَ الْكَلِبَ، وَبِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يَمْحُو مَا يَشاءُ وَبِكُمْ يُثْبِتُ، وَبِكُمْ يَفُكُّ الذّلَّ مِنْ رِقّابِنا، وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللهُ تِرَةَ كُلّ مُؤمِنٍ يُطْلَبُ، وَبِكُمْ تُنْبِتُ الأَرْضُ أشْجارَها، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الأشْجارُ أثْمارَها، وَبِكُمْ تُنْزِلُ السّماءُ قَطْرَها وَرِزْقَها، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنَزّلُ اللهُ الغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبّحُ [تُسِيخُ] الأرَضُ الّتي تُحْمِلُ أبْدانَكُمْ، وَتَسْتَقِرُّ جِبالُها عَلى مَراسِيها، إرادَةُ الرّبّ في مَقادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إلَيْكُمْ، وَتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ، وَالصّادِرُ عَمّا فُصِلَ مِنْ أحْكامِ الْعِبادِ).

❖وفي كتاب المزار للمفيد: (بكم ينفس الهم، وبكم يكشف الكرب، وبكم يباعد نائبات الزمان الكلب، وبكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ينزل الرحمة، وبكم يمسك الأرض أن تسيخ بأهلها، وبكم يثبت الله جبالها على مراسيها).

وفي الزّيارَة الجامعَة الرّجبيّة: ﴿أنَا سَائلُكُمْ وآملُكُمْ فِيمَا إلَيْكُمُ التّفْويضُ، وَعَلَيْكُمْ التّعْويضُ، فَبِكُمْ يُجْبَرُ الْمَهيضُ، وَيُشْفَى الْمَريضُ، وَعِنْدَكُمْ مَا تَزْدَادُ الأرْحَامُ وَمَا تَغيضُ﴾[1]، ونِعْمَ مَا قِيلَ في مَدْحِ أمير المؤمنين عليه السلام:

هُـوَ النَّبَـأُ الْعَظِـيمُ وَفُلْـكُ نُـوحٍ ... وَبَـابُ اللهِ وَانْقَطَـعَ الْخِطَـابُ

فَهُمْ في هَذِهِ الرّتبة باب الحقّ إلى الخلق، وباب الخلق إلى الحقّ، فلا يفيض الحقّ إلى الخلق إلاّ بهم وبواسطتهم:

فَرَاحَتَـا الـدَّهْرِ مِـنْ فَضْفَاضِ جُـودِهِمُ ... مَمْلُوئَتَـانِ فَمَـا لِلْفَـيْضِ تَعْطِيـلُ

(ورابعها): مقام الإمامة الظاهرة للخلق، وتوصيفها مملوة في كتب الروايات الواردة، فهم في هذا المقام قطب للخلق ولوجوداتهم، وبهم تقوم السّموات والأرض وإلاّ لانهدمت السموات وساخت الأرض بأهلها.

ولا تتوهم مما ذكرنا انهم مستقلون في شيئ من الأشياء، وفي يدهم شيئ، معاذ الله، لا مستقلّ في الوجود إلاّ الله، ومَنْ زَعَمَ أنّ هنا شيئاً بيده الأمر فقد ضادّ الله في سلطانه ومُلكه، وأخرجه من هيمنته واستقلاله، فالأمر كلّه بيده، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[2]، والأرض قبضته، هو ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْئٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[4].

---

[1]. مصباح المتهجد للطوسي واقبال الاعمال لابن طاوس والمزار لابن المشهدي وغيرها.

[2]. الزمر / ٦٨

[3]. الروم / ٤١

[4]. الاعراف / ٥٥

وهم عليهم السلام: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ❖ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

❖وفي حديث كُمَيْلِ بْن زِيَادِ النَّخَعي قَالَ: ﴿سَئَلْتُ مَوْلانَا أمير المؤمنين عليه السلام فَقُلْتُ: يَا أمير المؤمنين؛ أريدُ أنْ تُعَرِّفَني نَفْسي؟ فَقَالَ: يَا كُمَيْلُ وَأيّ نَفْسٍ تُريدُ أنْ أعرِّفَكَ؟ فَقُلْتُ: يَا مَوْلاي؛ هَلْ هِيَ إلاّ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ: يَاكُمَيْلُ؛ إنّمَا هِيَ أرْبَعَةٌ: النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ وَالحِسِّيَّةُ الحيوَانِيَّةُ وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ وَالْكُلِّيَّةُ الإلهيَّةُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ خَمْسُ قوىً وَخَاصّتَان.

أمّا النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قوىً؛ مَاسِكَةٌ وَجَاذِبَةٌ وَهَاضِمَةٌ وَدَافِعَةٌ وَمُرَبِّيَةٌ، وَلَهَا خَاصّتَان، الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْكَبِدِ.

وَالحِسِّيَّةُ الحيوَانِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قوىً؛ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ، وَلَهَا خَاصِّيَتَانِ الرِّضَا وَالغَضَبُ، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْقَلْبِ.

وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قوىً؛ فِكْرٌ وَذِكْرٌ وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاثٌ، وَهِيَ أشْبَهُ الأشْيَاءِ بِالنُّفُوسِ الْمَلَكُوتِيَّةِ، وَلَهَا خَاصِّيَتَانِ النَّزَاهَةُ وَالحِكْمَةُ.

وَالْكُلِّيَّةُ الإلَهِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قوىً؛ بَقَاءٌ فِي فَنَاءٍ وَنَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ وَفَقْرٌ فِي غِنىً وَصَبْرٌ فِي بَلاءٍ، وَلَهَا خَاصِّيَتَانِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ، وَهَذِهِ الَّتِي مَبْدَأهَا مِنَ اللهِ وَعَوْدُهَا إلَيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)[2]، وَقَالَ

---

[1]. الانبياء / ٢٧ – ٢٨

[2]. الحجر / ٣٠

اللهُ تَعَالَى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)[1]، وَالْعَقْلُ وَسَطُ الْكُلِّ﴾[2]، انتهى.

---

[1]. الفجر / ٢٨ – ٢٩

[2]. في الكشكول للبهائي ت ١٠٣١: عن كميل بن زياد قال: سألتُ مولانا أمير المؤمنين رضي الله عنه فقلت: ياأمير المؤمنين؛ أريد أن تعرّفني نفسي؟ فقال: يا كميل؛ وأيّ الأنفس تريد أنْ أعرّفك؟ قلتُ: يا مولاي؛ وهل هي إلاّ نفس واحدة؟ قال: ياكميل؛ إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسّية الحيوانية والناطقة القدسية، والكلية الإلهية، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان: فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة، ومربية، ولها خاصيتان الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، والحسّية الحيوانيّة لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم، وذوق، ولمس، ولها خاصيتان: الرضا والغضب وانبعاثها من القلب، والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر، وذكر وعلم، وحلم، ونابهة، وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة، والكلية الإلهية لها خمس قوى؛ بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء، ولها خاصيتان: الرضا والتسليم، وهذه هي التي مبدؤها من الله وإليه تعود، قال الله تعالى: [ونفخت فيه من روحي]، وقال الله تعالى: [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية]، والعقل وسط الكلّ.

❖وفي التفسير الصافي وقرة العيون لمحسن الكاشاني ت ١٠٩١ هـ : وروي عن كميل بن زياد أنه قال سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عليّاً، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ أريد أنْ تعرّفني نفسي؟ قال: يا كميل؛ وأيّ الأنفس تريد أن اعرفك؟ قلت: يا مولاي؛ هل هي إلا نفس واحدة؟ قال: يا كميل؛ إنما هي أربعة: النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلية الإلهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان، فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصيتان الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس، ولها خاصيتان الرضا والغضب وانبعاثها من القلب، والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة، وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية، ولها خاصيتان النزاهة والحكمة، والكلية الإلهية لها خمس قوى: بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء، ولها خاصيتان الرضا والتسليم، وهذه هي التي مبدؤها

(ثمّ أعلم): إنّ مَا ذَكَرَهُ الحكماء من وجود النفس ومراتبها وقواها وخاصياتها، فبعضٌ منها مطابق لما ذكره مولانا أمير المؤمنين وساير الأئمة عليهم السلام، وبعض يخالفه، ولولا خوفي من الإطالة لكنت أذكر ما ذكروه مع إقامة البرهان على ردّ مَنْ خَالَفَ الأئمة الأطياب عليهم السلام في هذا الباب، ولكن أعرضنا عن ذكره في هذا المختصر، لئلا يؤول إلى التطويل، فحسبي ذِكْرُ ما ذَكَرَهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام في مراتب النفس.

(واعلم): إنّ النّفس هي جوهرة نفيسة، وعلّة لحياة الأبدان، فلا حياة للأبدان إلاّ بالتفات النفس، فلمّا التفتت إلى الأبدان ومالت إلى اللّذات الجسمانية كرهت مفارقة الأجسام، ونسيت وطنها الأصلي، ومركزها الحقيقيّ، فصعب تذكارها لتلك العوالم الرّوحانية وعلومها ولذّاتها، ولأجل ذلك نسيت ما حفظت من العلوم وجهلت، ولا تذكر إلاّ بتصفيتها وتطهيرها مِنْ هذه العلائق الدّنيّة، ولذلك قال عليّ عليه السلام: ﴿خُلِقَ الإنْسَانُ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَة إنْ زَكّاهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أوَايِلِ عِلَلِهَا، وَإذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا وَفَارَقَتِ الأضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَتْ بِهَا السَّبْعَ الشّدَادَ﴾[1].

من الله وإليه تعود، قال الله تعالى: ونفخت فيه من روحي، وقال تعالى: ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، والعقل وسط الكلّ.

❖وروي في مجمع البحرين للطريحي ت ١٠٨٥ أيضاً، وغيرها من المصادر.

[1]. في عيون الحكم والمواعظ لعليّ بن محمد اللّيثي الواسطيّ (من أعلام القرن السادس): ((وسئل عليه السلام عن العالم العلوي؟ فقال: صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والإستعداد، تجلّى لَهَا فأشرقت، وطالعها بنوره

(يعني): في تأثيرها وفعّاليتها كما أنّ الأفلاك تؤثّر في الأرض بحركتها، وتنمو الأرض ببركتها، هكذا تفعل النّفس بالأشياء، فتؤثّر في الأشياء، وتنفعل لَهَا الأشياء، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

وأمّا احتجاجهم على قدم الهيولي بأنّها لو كانت حادثة لكان لَهَا هيولي أخرى، والكلام فيها كالكلام في الأول.

وهذا أيضاً باطلٌ فاسدٌ، لأنّ الهيولي خلقت من تنزّل النّفس الناطقة، فهي قشرها ووسخها، إنْ أرادوا بالهيولي مادة الأجسام والجسمانيات.

وإنْ أرادوا بها مادّة النّفس الّتي من سنخ الملكوت، فقد عرفتَ، فلا تكون الهيولي قديمة.

(وأيضاً ولنا أن نقول): خَلَقَهَا اللهُ سبحانه لا مِنْ شيئ.

وأمّا احتجاجهم على قِدَمِ الزّمان، فهو باطلٌ، لأنّ الزّمان عبارة عن مدّة استمرار الجسم، وهي مِنْ مشخصاتها، والدّهر استمرار النفوس والعقول، والسرمد استمرار مدّة الأفئدة التي هي المفعول المطلق.

فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إنْ زكّاها بالعلم والعمل، فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السّبع الشداد)).

❖وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر أشوب (ت ٥٨٨): وسئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: ((صور عارية عن المواد، عالية عن القوّة والإستعداد، تجلّى لَهَا فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إنْ زكّاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوايل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد))، ومنها: الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني، وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

[1]. المائدة / ٥٥

وقد صرّحوا الحكماء في تعريف الزّمان والدّهر والسّرمد، فقالوا:

نسبة المتغيّر إلى المتغيّر زمان.

ونسبة المتغير إلى الثابت دهر.

ونسبة الثابت إلى الثابت سرمد.

(وَبِالْجُمْلَةِ): فإنّ الزّمان من مشخّصات الأجسام، وجزء من الأجسام، لا أنّهُ خارج من الأجسام، بل هو متفرّع على الجسم، وإنْ كان لا يوجد الجسم إلاّ بالزّمان، فالزّمان مسبوق على الدّهر، والدّهر على السّرمد، والسّرمد خلق بنفسه من غير مسبوقيته[1] بشيئ سوى الحقّ، لا أنّهُ مسبوق بشيئ من الأوقات، عدمياً كان أو وجودياً، وهمياً كان أو عينياً، وستعرفه فيما بعد إنْ شاء الله.

وأمّا احتجاجهم على قِدَم الخلا؛ بأنّه واجب لذاته، لأنّهُ يلزم من فرض عدمه المحال، وكلّ ما كان كذلك كان واجباً لذاته.

فهو باطلٌ؛ لأنّا نقول: ثَبّتِ الْعَرْشَ ثُمّ انْقُشْ، لأنّ الخلا موضع الكلام، وقد احتج ارسطاطاليس وَجَمْعٌ كَثيرٌ من الحكماء المتألّهين على نفي وجوده واستحالته، وقالوا: لو كان الخلا موجوداً لأمكن مسحه وتقديره، وكلّ ما كان كذلك كان كَمّاً، ضرورة: أنّ الخلاء الّذي بين السّماء والأرض أعظم من الّذي بين المدينتين، وهو أعظم من الّذي بين جداري صفّة، وإذا كان موجوداً كان كمّاً، وإذا كان كَمّاً كان كَمّاً مُتّصِلا، لأنّ الكمّ المنفصل هو المجتمع من

---

[1]. (مسبوقية، كذا في المخطوطة)

وحدات غير قابلة للإنقسام، والخلا ليس كذلك، أو تقول: إنّ الكمّ المنفصل يقبل الإنقسام بحيث لا يكون بين قسمته حدّ مشترك، فإذن الخلا لو كان موجوداً لكان كَمّاً مُتّصلاً، ولا يجوز أنْ يكونَ مجرّداً عن المادّة، لامتناع وجود البعد الخالي عن المادّة، ولو كان مادياً لكانَ جِسْماً، فإذن وجود الخلا يستلزم كونه، فكان باطلاً.

ثُمّ إنّ الحركة في الخلا؛ إمّا يقع في الزّمان أو لا في زمان.

والقسمان باطلان، فالقول بالخلا باطل.

وإنما قلنا: انّه يستحيل أنْ يقع في الزّمان، وإلاّ فلنفرض أنّ المتحرّك قطع عشرة أذرع في الخلا في ساعة واحدة، فإذا قطع مثل هذه المسافة من الماء لابُدّ وأنْ يقطع في زمان أكثر من الساعة الواحدة، وإلاّ لكان الشّيئ مع العايق كـ: هو لا مع العايق، ولنفرض انّه قطعها في عشر ساعات، ثمّ لنفرض جسماً آخر أرقّ من الماء، بحيث تكون رقّته أزيد من رقّة الماء عشر مرّات، وحينئذ يكون نسبة زيادة رقة هذا الماء كنسبة زيادة زمان الحركة في الماء إلى زمانها في الخلا، أي: نسبة المعاوق الموجود في هذا الملا إلى المعاوق الموجود في الماء كنسبة الحركة في الخلا إلى زمانها في الماء، وصغر زمان الحركة بحسب زيادة الرّقّة في المتحرك إلى رقة الماء فيه وكبرته بحسب نقصانها، وزيادة المعاوق فيه للتجربة والقياس أيضاً من حيث انخراق الرقيق أسهل من انخراق الكثيف، وإذا كان كذلك وجب أنْ يكونَ قطع تلك المسافة في هذا الملاء الرّقيق لا في زمان زايد على زمان الحركة في الخلا، بل في مثل ذلك الزمان، فتكون الحركة مع العايق كـ: هي لا مع العايق، وإنّه محالٌ، ولو فرضنا ملاء آخر أرقّ من الملاء الثّاني، لكان

زمان الحركة فيه أسرع من زمان الحركة في الخلا، فتكون الحركة مع العايق أسرع منها بدون العايق، وهو محالٌ.

وإنما قلنا: إنّهُ يستحيل أنْ يقع لا في زمان، لأنّ كلّ حركة فعلى مسافة منقسمة، فيكون وقوع نصفها قبل وقوع النصف الآخر فيها، وذلك لا يتقرر إلاّ مع الزمان.

(ولا يقال): لو كان العالم ملأ، لامتنعت حركة الأجسام، فلأنّ الجسم إذا انتقل حينئذ، فإمّا أنْ ينتقل إلى مكان مملو أو إلى مكان فارغ، فإنْ كان الثاني يلزم جمع النّقيضين، لأنا نتكلم على تقدير أنْ لا يكون في العالم فراغ.

وإنْ كان الأوّل، فلا يخلو إمّا أنْ ينتقل ذلك الجسم منه، أو لا ينتقل، فإنْ كان الثاني لزم تداخل الأجسام، وإنْ كان الأوّل، فلا يخلو إمّا أنْ ينتقل إلى مكان هذا الجسم المنتقل إليه أو إلى مكان آخر، فإنْ كان الأوّل يلزم منه الدّور، لأنّهُ يتوقف حركة واحد من الجسمين عن مكانه على حركة الآخر مكانه، وإنْ كان الثّاني كان الكلام فيه كما في الأوّل فيلزم أنْ تتدافع الأجسام بأسرها حتّى يلزم من حركة البقعة الواحدة حركة جميع السموات والأرضين، وذلك معلوم البطلان بالضّرورة، فعلم أنّ حركة الأجسام على هذا التقدير يفضي إلى أحد هذه المحالات فيكون محالاً.

(لأنا نقول): قال المعلم الأوّل: لم لا يجوز أنْ يتحرّك إلى مكان مملو والجسم الذي فيه ينتقل إلى مكان آخر ولا يلزم منه حركة جميع الأجسام بل

يتكاثف الجسم الذي قدّامه ويتخلخل الذي خلفه، لأنّ المادة قابلة للمقادير المختلفة، فتخلع مقدار وتلبس أصغر وبالعكس.

(وَبِالْجُمْلَة): فقد طال التّشاجر بين العلماء في أنّ الخلا موجود أو معدوم، فكيف يمكن ادعاء قدمه على فرض ثبوته لأنّهُ لو كان موجوداً لكان جزءً من العالم، وقد قام الدّليل على أنّ العالم بكليته حادث، فافهم.

فإذا عرفتَ ذلك (فاعلم): إنّ أصحابنا اتفقوا على أنّ صفاته عين ذاته.

وذهب بعضهم إلى أنّ صفاته راجعة إلى سلوباته، فقولنا: قادر، يعني ليس بعاجز، وعالم ليس بجاهل، وحيّ يعني: ليس بميّت.

(وهذا لا يصحّ في حقّه)؛ إذِ النّفي فرع الثبوت، والسلب فرع الايجاب.

فإذا قلتَ: معنى قادر ليس بعاجز، فقد أثبتَ فيه العجز، ثمّ نفيته عنه، وإذا أثبت فيه العجز فهو مناف لما أردتَ من كونه قادراً.

ويلزم أيضاً اعتبار الجهات والحيثيات فيه، وذلك مخالف للتوحيد الحقّي الحقيقي.

(وقولنا): النفي فرع الثبوت.

نريد بالثبوت ما هو أعمّ من الكوني والإمكاني، والوجودي والصلوحي والمكان وإنّ كل ذلك وجودي.

خلافا للحكماء حيث ذهبوا إلى أنّ الإمكان والصلوح والمصادر من قبيل القدم والحدوث والوحدة والشيئية ونظائرها كلّها أمور إعتبارية.

وذلك بمعزل عن التحقيق لأنهُ لو كان كذلك لكان قدم الباري وإمكان المحدث منوطاً بفرض الفارض، فإذا لم يفرضه فارض لما كان القديم قديماً،

ولا الحادث حادثاً، وهذا كما ترى، وعلى هذا يصحّ فرض كونه ممكناً إذ القدم والإمكان بفرض الفارض وذلك مخالف لجميع الأدلّة العقلية والنقلية.

ولأنّ قدمه سبحانه عين ذاته، والإمكان عين ذات الممكن، ووحدة الحقّ وشيئيته هما عين ذاته، فالإمكان والصلوح أمران وجوديان على ما قرّرنا.

وليت شعري لو كانت المصادر أموراً اعتبارية فالمشتقات كلّها يجب أنْ تكون أموراً اعتبارية لأنّ المصادر مبدء اشتقاق المشتقات، فلو كان الأصل اعتبارياً لكان اعتبارية الفرع أشدّ من الأصل، وهذا خلف.

ثمّ إنّا قرّرنا سابقاً من الإعتبارات الذهنية التي نسميها بالمفاهيم الذهنية لاتدخل في الذهن إلاّ إذا انتزعت من الخارج فتتصورها النفس عند التفاتها إلى الخارج وذلك يستدعي ثبوت الإمكان في الخارج.

(فعلم من هذا)؛ إنّ الإمكان أمرٌ وجوديٌّ محقّق في الخارج، فإذا كان ذلك كذلك لا يستقيم إرجاع الصفات على السلوبات على أنّ النفي فرع الثبوت، فإذا لم يكن ثابتاً فلا معنى للنفي والسلب، فثبت ثبوته، فإذا صحّ ثبوته لزم عجزه وجهله، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيراً.

(والمذهب الحق الحقيق)؛ الذي هو موافق التّحقيق ولعزّ جلاله سبحانه يليق هو الذي ذهبنا اليه:

مِنْ أنّ صفاته عين ذاته، بلا مغايرة لا اعتباراً، ولا تحققاً، فلفظة الذّات والصفات كلّها مترادفة، ولا نعني بها إلاّ الحقّ، فقولنا: ذات، كقولنا: علم وقدرة وسمع وبصر وحياة وعليم وقدير وسميع وبصير وحيّ، بلا تفاوت في

المعنى، لأنّ هذة الصفات لو كانت غير الذات فلا تخلو إمّا أن تكون قديمة أو حادثة، لا سبيل إلى الأوّل، لبراهين التوحيد، وبطلان تعدد القدماء، وكذا لا سبيل إلى الثاني، للزوم انتقاله إلى الحالات، فيكون جاهلاً قبل أنْ يكونَ عالماً، وعاجزاً قبل أنْ يكونَ قادراً، وذلك يفضي إلى حدوثه سبحانه.

ولو كانت الصفات غير الذات لكانت الذّات محتاجة إلى الغير وذلك ينافي غناها عن كلّ ما سواها فيلزم فقرها فتكون حادثة لأنّ الفقر علّة الحدوث والإمكان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[1].

❖وَمِنْ ثَمَ لَمّا سَئَلَ الزّنديق عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿أَتَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ قَالَ عليه السلام: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ، لا أَنَّهُ شَيْئٌ وَالنَّفْسُ شَيْئٌ آخَرُ، لَكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولاً وَإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً، فَأَقُولُ: يَسْمَعُ بِكُلِّهِ، لا أَنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ، لأَنَّ الْكُلَّ لَنَا لَهُ بَعْضٌ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ وَالتَّعْبِيرَ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلاّ أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، بِلا اخْتِلافِ الذّاتِ وَلا اخْتِلافِ الْمَعْنَى﴾[2].

---

[1]. فاطر / ١٦

[2]. في التوحيد للصدوق: عن هشام بن الحكم، قال في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنه قال له: ((أَتَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ، وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ قَوْلِي: إِنَّهُ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ، أَنَّهُ شَيْئٌ وَالنَّفْسُ شَيْئٌ آخَرُ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولاً، وَإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً، فَأَقُولُ: يَسْمَعُ بِكُلِّهِ، لا أَنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ، وَالتَّعْبِيرَ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ إِلاّ إِلَى أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، بِلا اخْتِلافِ الذّاتِ، وَلا اخْتِلافِ الْمَعْنَى)).

❖وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال في صفة القديم: ﴿إنّهُ وَاحِدٌ أحَدٌ صَمَدٌ، أحَدِيُّ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمَعَانِي كَثِيرَةٍ مختَلِفَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ يَزْعُمُ قَوْمٌ مِنْ أهْلِ الْعِرَاقِ: أنّهُ يَسْمَعُ بِغَيْرِ الّذِي يُبْصِرُ وَيُبْصِرُ بِغَيْرِ الّذِي يَسْمَعُ؟ قَالَ: فَقَالَ: كَذَبُوا وَأَلْحَدُوا وَشَبّهُوا، تَعَالَى اللهُ، إنّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ وَيُبْصِرُ بِمَا يَسْمَعُ، قَالَ: قُلْتُ: يَزْعُمُونَ: أنّهُ بَصِيرٌ عَلَى مَا يَعْقِلُونَهُ؟ فَقَالَ:تَعَالَى اللهُ، إنّمَا يُعْقَلُ مَا كان بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ،وَلَيْسَ اللهُ كَذَلِكَ﴾[1]،انتهى

(فَعُلِمَ)؛ أنّ صفاته عين ذاته وذلك مما لا يدركه الخلق لأنّهُ سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فإذن لا يحيطون به علماً وعنت الوجوه للحي القيوم.

---

[1]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَقَدْ تَعَدّاهُ مَنِ اشْتَمَلَهُ﴾

(أقُولُ): تعدّاه، أي: تجاوز عنه مَنْ جعله مشمولاً لشيئ، أو تعدّاه مَنْ ظَنّ أنّهُ أحاط به، لأنّهُ لا يحاط، وهو بكلّ شيئ محيط، أو تعدّاه وتجاوز عنه مَنْ جعله ذا شمول يشمل غيره.

وَهَذَا رَدّ صَرِيحٌ عَلَى مَنْ ذَهَبَ: أنّهُ سبحانه يشمل غيره بذاته، وَمِنْ ذلك قولهم: (أنّهُ بسيط الحقيقة، وبسيط الحقيقة كلّ الأشياء)[1]، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، لزعمهم أنّ الذّات البحت لو نزّه عن غيره لكان محدوداً، وهو يستلزم تركيبه فيلزم حدوثه، ولو شبّه لزم تجسيمه فلابُدّ من القول بأنّهُ كلّ الأشياء، وليس الأشياء هو مع التعيّنات الخلقية.

وقد عرفت بطلان هذا القول فيما سبق.

ولزعمهم: أنّ سبحانه معطي الأشياء وجوداتها، فلو كان فاقدا لوجودها في ذاته لزم النّقصان، ولاستحال أنْ يكونَ معطياً إذا كان فاقداً، لأنّ فاقد الشيئ لا يكون معطياً، فبالعطاء[2]، لا يتحقق إلاّ بالوجدان[3]، لا حال الفقدان.

ولقد اجتمعت مع بعض مَنْ يقول بهذا القول من الفضلاء في مشهد مولانا عليّ بن موسى الرضا -عليه آلاف التحية والثناء- وجرى بيننا مذاكرة العلم حتى انتهينا إلى هذا المطلب، فقال: بِمَ ذكرت؟ فقلت له: لو كان كما

---

[1]. نظرية الشيرازي، طبعنا ردّ الشيخ الأوحد قُدِّسَ سِرُّهُ لَهَا مفصّلاً.

[2]. فبالإعطاء، خ م

[3]. عند الوجدان، خ م

تزعمون للزم أحد الأمرين: إمّا أنّ نقول: بأنّ العالم ما وجد وما صدر عن الحقّ لأنّهُ إذا كان صادراً عن الحقّ وبرز عنه كان الحقّ سبحانه الآن بعد صدور العالم فاقداً لِهَذَا العالم في ذاته، لأنّ العالم بعد صدوره عنه لم يكن في ذاته، فيلزمه سبق الحالات، وهو من صفات الحوادث، وتعالى ربي عن ذلك علوّاً كبيراً، وإمّا أنْ نقول: أنّ العالم صدر عن الحقّ، وليس العالم الآن في ذاته، وهذا مناف لما ادّعيتموه؟!

قال: إنّ للأشياء حقائق غيبيّة هي في مرتبة الذّات في عالم الأسماء والصفات.

قُلْتُ: عالم الأسماء والصفات هل هو عين الذّات أو غير الذّات؟ فإنْ كان الأوّل، لزم المحذور، وإنْ كان الثّاني لم يتمّ مطلوبك، وهو مناف لما أردت؟!

فقال: فَالحقّ كان فاقداً للأشياء أو لا؟ فإنْ قُلْتَ بالأوّل لزم أنْ لا يكون الحقّ موجدا للعالم ولا العالم صادراً عنه، لأنّ العقل القاطع يحكم أنّ الفاقد للشيئ يستحيل أنْ يكونَ معطياً له، وإنْ قُلْتَ بالثّاني، فقد تَمّ مطلوبنا، وهذا ما كنّا نبغي.

قُلْتُ: نَعْم؛ إنّ الفاقد للشي لا يكون معطياً له، لكن لا يكون فاقداً له في ذاته أو في ملكه، فإنْ قُلْتَ بالأوّل لزم المحذور الذي ذكرناه سابقاً، فَصَحّ القول بأنّه لم يكن فاقداً في ملكه.

قال: فلننقل الكلام في مُلْكِه؛ هَلْ كان الحقّ فاقداً للملك قبل إنشائه في ذاته أمْ لا؟ فإنْ قُلْتَ بالأوّل بطل ما ذكرت، وإنْ قُلْتَ بالثّاني صحّ ما ذكرنا.

قُلْتُ: إنّ القبلية والبعدية من المُلْك، ولا يتحقّق لِمُلْكِه قبل ولا بعد، لأنّ القبلية والبعدية من الزّمان، والزّمان أسفل مراتب الأوقات الثلثة أعني: (الزمان والدهر والسرمد)، فكيف يصح قولك: قبل انشاء هذا الملك، والملك لا يصحّ أنْ يكونَ[1] في ذاته لمَا ذكرنا من المحذور، وقال الإمام عليه السلام: ﴿إنّ اللهَ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِه وَالخَلْقُ خِلْوٌ مِنْهُ﴾[2].

والرّوايات بهذا المعنى كثيرة جداً، فكيف يصحّ قولك: إنّ الملك كان في ذاته؟ سبحانه وتعالى الله عمّا تقولون علواً كبيراً.

قال: أخبرني عن ملكه، هل هو قديم أم حادث؟ فإنْ قلتَ بالأوّل لزمك القول بتعدد القدماء وبطلانه ظاهر جدّاً، وإنْ قلتَ بالثّاني فكل حادث مسبوق بالزّمان، فأقول قبل زمان إنشائه هل كان فاقداً له أو لا؟ فإنْ قُلْتَ بالأوّل لزمك ما أوردناه، وإنْ قلتَ بالثاني فقد نطقت بما بيّناه.

قُلْتُ: إنّهُ سبحانه لم يكن فاقداً لملكه قبل إنشائه في ملكه لا في ذاته، ولما كان لملكه رتبتان، وإن شئت قلتَ: له مُلْكَانِ؛ مُلْكٌ إمكانيّ وَمُلْكٌ كونيّ، فالقبلية التي أشرنا إليه في كونه لم يكن فاقداً لملكه قبل إنشائه، أردنا من تلك القبلية قبل أنْ يكونَ الملك في الكون، وإلاّ فهو موجود في الإمكان الّذي هو

---

[1]. في خ م: لا يكون، وهو اشتباه من الناسخ، والصحيح ما أثبتناه.

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

بحر لا ساحل له، فكلّما أراد أن يخرجه من العدم إلى الوجود أخرجه من ذلك البحر الطمطام الّذي نسميه بالإمكان إلى ساحل الأكوان، وقبل أنْ يخرجه إلى ساحل الأكوان فهو موجود في الإمكان، وهذا معنى ما قال عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنْ خِلْواً مِنَ الْمُلْكِ قَبْلَ إِنْشَاءِ الْمُلْكِ﴾[1].

فإذاً لا يكون الملك في ذاته سبحانه، لا بحقيقته ولا بعينه ولا بسبحة، ولو كان الملك في ذاته لا يخلو؛ إمّا أنْ يكونَ عين ذاته أو غير ذاته، فإنْ كان عين ذاته لزم أنْ يكونَ الحقّ البسيط الذي لا جهة له ولا حيثية له- له جهتان، فيكون فاعلاً بذاته، وقابلا بذاته، وبطلان ذلك لا يحتاج إلى تأمّل، وسيجيئ لِهَذَا مزيد بيان إنْ شاء الله في محلّه.

وإن كان غيره، فيلزم أنْ يكونَ محلاً للغير، والغير معه في أزله، وذلك ينافي أزليته وإلاّ يلزم تعدّد القدماء وهو باطل، والقبلية التي تتصوره أنت فهو من الزّمان وَمِنَ الْمُلْكِ، قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: ﴿إِنْتَهَى المخْلُوقُ إلى مِثْلِهِ وَأَلجأَهُ الطَّلَبُ إلى شَكْلِهِ﴾[2]، فتفطن وتدبر في هاتين العبارتين اللتين اشتملتا على جميع أسرار المعارف الإلهية والحقائق الحقيّة الحقيقية، فَلَمْ يحر جَوَابَاً.

(واعلم): يا أخي هداك الله بنور الثقلين وحباك الله بما تقرّ به العين:

---

[1]. في الكافي للكليني: (ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه) وفي التوحيد للصدوق: (ولا كان خلوا من [القدرة على] الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه).

[2]. ملحق نهج البلاغة لاحمد بن ناقة الكوفي خطبة الدرة اليتيمة ص ٣٨

أنّ هؤلاء لَمّا قلّدوا الصوفية واعتمدوا عليهم، وظنّوا انّهم وصلوا إلى عين المعرفة، ورووا عنها، وأطفئوا نيران عطشهم بكؤسها، قالوا ما قالت الصوفية قبحهم الله: مِنْ أنّ الأشياء -مَثَلاً- كامنة ومستجنة في غيب الّذات، استجنان الشجر في النّوى، والأشياء كامنة في ذاته كمون النّار في الحجر، والأشياء مندرجة فيه اندراج اللوازم في الملزومات، وأنّ للأشياء حقائق في ذاته هي متّحدة مع الذّات، وإنّ فاقد الشّيئ في ذاته لا يكون معطياً له.

وكلّ ذلك بمعزل عن الحقّ الحقيق، ومخالف للتّحقيق الأنيق، فاشرب صافياً لا تظمأ بعده.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَخْطَاهُ مَنِ اكْتَنَهَهُ﴾

(أقُولُ): إنّ أخطأه ضدّ أصابه، فيكون المعنى: إنّ مَنْ قال: بَلَغْتُ كُنْهَهُ، فقد أخطأه، لأنّهُ تعالى وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، فلا يحاط، ولا يبلغ كنهه أحَدٌ، لأنّهُ المحيط من جميع الجهات، فلا يحاط من جميع، وإنْ كان هو بريئاً عن الجهات، فلا يقال: هو في جهة دون جهة، فلا يحيطون به علماً.

﴿رَجَعَ مِنَ الْوَصْفِ إلى الْوَصْفِ، وَدَامَ الْمَلِكُ في الْمُلْكِ، فَالطَّرِيقُ إلَيْهِ مَسْدُودٌ، وَالطَّلَبُ مَرْدُودٌ، دَلِيلُهُ آيَاتُهُ، وَوُجُودُهُ إثْبَاتُهُ﴾[1]، وَ﴿كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ في أَدَقِّ مَعَانِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ﴾[2].

وقال الشّبلي: مَنْ أجاب عن التوحيد بعبارة فهو ملحد، وَمَنْ أشارَ إليه فهو زنديق، وَمَنْ أومى إليه فهو عابدُ وَثَنٍ، وَمَنْ نَطَقَ فيه فهو غافل، وَمَنْ سَكَتَ عنه فهو جاهل، وَمَنْ وَهَمَ أنّهُ واصل فليس له حاصل، وَمَنْ ظَنّ أنّهُ

---

[1]. في ملحق نهج البلاغة لأحمد بن ناقة الكوفي (ت ٥٥٩ هـ) خطبة الدرة اليتيمة (..وإنْ قُلْتَ: هُوَ هُوَ، فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ كَلامُهُ، صِفَةُ اسْتِدْلالٍ عَلَيْهِ لا صِفَةُ تتكيف لهن وإنْ قُلْتَ: لَهُ حَدٌّ، فَالحدُّ لِغَيْرِهِ، أوْ قُلْتَ: الْهَوَاءُ يَمَسّهُ، فَالْهَوَاءُ مِنْ صُنْعِهِ، رَجَعَ مَعْنَى الْوَصْفِ في الْوَصْفِ، وَعَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْفَهْمِ، وَالْفَهْمُ عَنِ الإدْرَاكِ، وَالإدْرَاكُ عَنِ الإسْتِنْبَاطِ، وَدَوَامُ الْمُلْكِ في الْمَلِكِ، وَانْتَهَى المخْلُوقُ إلَى مِثْلِهِ، وَالْجَأَهُ الطَّلَبُ إلَى شَكْلِهِ، وَهَجَمَ بِهِ الْفَحْصُ إلَى الْعَجَزِ، وَالْبَيَانُ عَلَى الْفَقْدِ وَالجهْدُ عَلَى الْيَأسِ وَالْبُلاغُ عَلَى الْقَطْعِ، فَالسَّبِيلُ مَسْدُودٌ وَالطَّالِبُ مَرْدُودٌ، دَلِيلُهُ آيَاتُهُ، وَوُجُودُهُ إثْبَاتُهُ) وفي الإحتجاج للطبرسي: وقال عليه السلام في خطبة أخرى: دليله آياته ووجوده إثباته.

[2]. الكشكول ومشرق الشمسين للبهائي والرّواشح السماوية للداماد والكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني وبحار الأنوار للمجلسي: ((عن الإمام الباقر عليه السلام: كلّما ميزتُموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق، مصنوع، مثلكم، مردود إليكم...)).

قَريبٌ فهو بعيدٌ، وَمَنْ تَوَاجَدَ فهو فاقد، فكلما ميزتموه بعقولكم في أتمّ معانيه فهو مصروفٌ ومطرودٌ إليكم، لأنّهُ محدث، مصنوع، مثلكم.

ونعم ما قال عبد الله الانصاري:

مَا وَحّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إذْ كُلُّ مَنْ وَحّدَهُ جَاحِدُ

تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ ... عَارِيَةٌ أبْطَلَهَا الْوَاحِدُ

تَوْحِيدُهُ إيّاهُ تَوْحِيدُهُ ... وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لاحِدُ

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: ﴿كُلَمَا مَيَزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدَقّ مَعَانِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ﴾[1].

ولقد رأيتُ خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام يعجبني ذكرها في بيان التوحيد ولعمري إنها من جلايل خطبه ظاهرها أنيق وباطنها عميق رواها الصدوق في كتاب التوحيد:

﴿عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: بَيْنَا أمير المؤمنين عليه السلام يخطبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْكُوفَةِ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ صِفْ لَنَا رَبَّنَا لِنَزْدَادَ لَهُ حُبّاً وَبِهِ مَعْرِفَةً.

فَغَضِبَ أمير المؤمنين عليه السلام وَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ، ثُمّ قَامَ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ، فَقَالَ:

---

[1]. الكشكول ومشرق الشمسين للبهائي والرواشح السماوية للداماد وبحار الأنوار للمجلسي: ((عن الإمام الباقر عليه السلام: كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق، مصنوع، مثلكم، مردود إليكم، ولعلّ النّمل الصّغار تتوهم أنّ لله تعالى زبانيتين، فإنّ ذلك كمالها، ويتوهم أنّ عدمها نقصان لِمَنْ لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به)).

اَلْحَمْدُ للّه اَلّذي لاَ يَضرُهُ الْمَنْعُ، وَلاَ يُكْديه الإعْطَاءُ، إذْ كُلُّ مُعْطي مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، أَلْمليءُ بِفَوائد اَلنّعم، وَعَوائد اَلْمزيد، وَضَمنَ عيالَةَ الْخلْق، فَأَنهَجَ سَبيلَ الطّلَب للرّاغبينَ إلَيْه، فَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ أَجْوَدَ منْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، وَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْه دَهْرٌ فَيَخْتَلفَ منْهُ اَلْحَالُ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادنُ اَلْجبَال، وَضَحكَ عَنْهُ أَصْدَافُ اَلْبحَارِ منْ فلذ اَللُّجَيْن وَسَبايك اَلْعقْيَان ونضايد اَلْمرْجَان لبَعْضِ عَبيده لَمَا أَثّرَ ذَلكَ في جُوده، وَلاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عنْدَهُ، وَلَكَانَ عنْدَهُ منْ ذَخَائرِ الإفْضَال مَا لاَ تَنْفدُهُ مَطَالبُ اَلسّؤال، وَلا يَخْطُرُ لكَثْرَته عَلَى بَال، لأَنّهُ اَلْجَوَادُ الّذي لاَ تَنْقُصُهُ المَوَاهبُ، وَلاَ يُبْخلُهُ إلْحَاحُ اَلْمُلحّينَ، (إنّمَا أَمْرُهُ إذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون)، اَلّذي عَجزَتِ الملائكَةُ عَلَى قُرْبهمْ منْ كُرْسيّ كَرَامَته وَطُول وَلَهِهمْ إلَيْه وَتَعْظيم جَلال عزّه وَقُرْبهمْ منْ غَيْب مَلَكُوته أَنْ يَعْلَمُوا منْ أَمْره إلاّ مَا أَعْلَمَهُمْ، وهم منْ مَلَكُوت الْقُدْس بحَيْثُ هُمْ، ومنْ مَعْرفَته مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْه أَنْ قَالُوا: (سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاّ مَا عَلّمْتَنَا إنّكَ أَنْتَ الْعَليمُ الْحَكيمُ).

فَمَا ظَنّكَ أَيّهَا السّائلُ بمَنْ هُوَ هَكَذَا سُبْحَانَهُ وَبحَمْده لَمْ يحدَثْ فَيُمْكنُ فيه التّغْييرُ وَالإنْتقَالُ، وَلَمْ يَتَصَرّفْ في ذَاته بكُرُور الأَحْوَال، وَلَمْ يَخْتَلفْ عَلَيْه حقَبُ اللّيَالي وَالأَيّام، اَلّذي ابْتَدَعَ الخَلْقَ عَلَى غَيْر مثَال امْتَثَلَهُ، وَلا مُقْدَار احْتَذَى عَلَيْه منْ مَعْبُود كَان قَبْلَهُ، وَلَمْ تُحطْ به الصّفَاتُ فَيَكُونُ بإدْرَاكهَا إيّاهُ بالْحُدُود مُتَنَاهياً، وَمَا زَالَ، لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ، عَنْ صفَة الْمَخْلُوقينَ مُتَعَالياً، وَانْحَسَرَتِ الأَبْصَارُ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ فَيَكُونَ بالْعَيَان مَوْصُوفاً، وَبالذّات الّتي لاَ

يعلَمُهَا إلاّ هُوَ عندَ خلْقه معْروفاً، وفَاتَ لعُلُوّه علَى أعلَى الأشْياء مواقعَ وَهْم الْمتوَهّمين، وارْتفَعَ عنْ أنْ تحْوِيَ كُنْهَ عظَمَته فهَاهَةُ رويّات الْمتفكّرين، فلَيْس لَهُ مثْلٌ فيَكُونُ مَا يخْلُقُ مُشبّهاً، ومَا زَالَ عنْدَ أهْلِ الْمعْرفَة عنِ الأشْبَاه والأضْداد منزّهاً، كَذبَ الْعَادلُونَ بالله، إذْ شبّهُوه بمثْلِ أصْنَافهمْ، وحلوهُ حلْيَةَ الْمخْلُوقينَ بأوْهَامهمْ، وجزّوه بتَقْديرٍ منْتجٍ منْ خوَاطرهمْ، وقَدّرُوهُ علَى الْخلْق الْمُخْتلفَة الْقُوى بقَرائح عُقُولهمْ، وكَيْفَ يكُونُ منْ لاَ يُقْدرُ قَدْرُهُ مُقدّراً في رويّات الأوْهَام، وقَدْ ضلّتْ في إدْرَاكِ كُنْهه هوَاجسُ الأحْلاَم، لأنّهُ أجلُّ منْ أنْ تحُدّهُ ألْبَابُ الْبشَر بتفْكير، أوْ تُحيطَ به الْملاَئكَةُ علَى قُرْبهمْ منْ ملَكُوت عزّه بتَقْديرٍ، تعَالَى عنْ أنْ يكُونَ لَهُ كُفْوٌ فيُشبّهَ به، لأنّهُ اللّطيفُ الّذي إذَا أرَادَت الأوْهَامُ أنْ تقَعَ علَيْه في عميقَات غُيُوب مُلْكه وحَاولَت الْفكْرَ الْمبرّاة منْ خطَرِ الْوَسَاوسِ إدْرَاكَ علْم ذَاته، وتَولّهَت الْقُلُوبُ إلَيْه لتحْوِيَ منه مكيفا في صفَاته وَ غمَضَتْ مَداخلُ الْعُقُول من حيْثُ لاَ تبْلُغُهُ الصّفَاتُ لتَنَالَ علْمَ الهيئة ردعَت خاسئة وَهي تجُوبُ مهَاوِيَ سُدَفَ الْغُيُوب مُتخلّصةً إلَيْه سُبْحَانَهُ رَجعَتْ إذْ جُبهَتْ مُعْترفَةً بأنّهُ لاَ يُنَالُ بحوْرِ الاعْتسَاف كُنْهُ معْرفَته ولاَ تخْطُرُ ببَال أُولي الرّوايات خَاطرَةٌ منْ تقْديرِ جلاَلِ عزّته لبُعْده منْ أنْ يكُونَ في قُوَى الْمحْدُودينَ لأنّهُ خلاَفُ خلْقه فلاَ شبَهَ لَهُ منَ الْمخْلُوقينَ، وإنّمَا يُشبّهُ الشّيْئ بعَديله، فأمّا مَا لاَ عَديلَ لَهُ فكَيْفَ يُشبّهُ بغَيْرِ مثَاله، وَهُوَ الْبَديئُ الّذي لَمْ يكُنْ شَيْئٌ قَبْلَهُ، والآخرُ الّذي لَيْسَ شَيْئٌ بعْدَهُ، لاَ تنَالُهُ الأبْصَارُ في مجْد جبَرُوته، إذْ حجَبَهَا بحُجُب لاَ تُنفَذُ في تُخْن كَثَافته، ولاَ تخْرُقُ إلى ذي الْعَرْش متَانَةُ خَصَائص سترَاته، الّذي صدَرَت الأُمُورُ عنْ مشيّته، وتَصَاغرَتْ عزّةُ

الْمُتَجَبِّرِينَ دُونَ جَلاَلِ عَظَمَته، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَعَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ مِنْ مَخَافَته، وَظَهَرَتْ فِي بَدَائِعِ الَّذِي أَحْدَثَهَا آثَارُ حكمته، وَصَارَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَمُنْتَسِباً إِلَيْه، فَإِنْ كان خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ فيه، فَقَدَّرَ مَا خَلَقَ، فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ بِلُطْفِ تَدْبِيرِهِ مَوْضِعَهُ وَوَجَّهَهُ بِجِهَةٍ، فَلَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ حُدُودَ مَنْزِلَتِه، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الإِنْتِهَاءِ إِلَى مَشِيَّتِه، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذَا أَمَرَهُ بِالْمُضِيِّ إِلَى إِرَادَتِه بِلا مُعَانَاةٍ لِلُغُوبِ مَسَّهُ، وَلا مُكَابَدَةٍ لِمُخَالِفٍ لَهُ عَلَى أَمْرِه، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِه، وَوَافَى الْوَقْتَ الَّذِي أَخْرَجَهُ إِلَيْه إِجَابَةً لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهَا رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَلاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَنَهَى مَعَالِمَ حُدُودِهَا، وَلاَمَ بِقُدْرَتِه بَيْنَ مُتَضَادَّتِهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَخَالَفَ بَيْنَ أَلْوَانِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صَنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ إِذَا ابْتَدَعَهَا، انْتَظَمَ عِلْمُهُ صُنُوفَ ذَرْئِهَا، وَأَدْرَكَ تَدْبِيرُهُ حُسْنَ تَقْدِيرِهَا.

أَيُّهَا السَّائِلُ؛ إِنَّ مَنْ شَبَّهَ رَبَّنَا الجليلَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِه، وَبِتَلاَحُمِ إِحْقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجَبَةِ بِتَدْبِيرِ حِكْمَتِه، انَّهُ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِه، وَلَمْ يُشَاهِدْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَهُ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرِّءَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ وَهُمْ يَقُولُونَ: (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، فَمَنْ سَاوَى رَبَّنَا بِشَيْءٍ فَقَدْ عَدَلَ بِه، وَالْعَادِلُ بِه كَافِرٌ بِمَا نَزَلَتْ بِه مُحْكَمَاتُ آيَاتِه، وَنَطَقَتْ بِه شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِه، لأَنَّهُ اللهُ الَّذِي لَمْ يَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَيَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَفِي حَاصِلِ رَوِيَّاتِ هِمَمِ النُّفُوسِ

مَحْدُوداً مُصَرَّفاً، الْمُنْشِئُ أصنَافَ الأشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ احتاجَ إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ مرّ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، اَلَّذِي لَما شَبِهَهُ الْعَادِلُونَ بِالخَلْقِ الْمُبَعَّضِ المحدُودِ فِي صِفَاتِهِ ذِي الأَقْطَارِ وَالنَّوَاحِي المخْتَلِفَةِ فِي طَبَقَاتِهِ.

وَكَانَ عَزَّ وَجَلَّ الموْجُودَ بِنَفْسِهِ لا بِأَدَاتِهِ انْتَفَى أَنْ يَكُونَ قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، تَنْوِيهاً لِنَفْسِ عَنْ مُشَارَكَةِ الأَنْدَادِ، وَارْتِفَاعاً عَنْ قِيَاسِ الْمُقَدَّرِينَ لَهُ بِالحدُودِ مِنْ كَفَرَةِ الْعِبَادِ (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

مَا دَلَّكَ اَلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّبِعْهُ، لِيُوصِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَأَتِمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ وَحِكْمَةٌ أُوتِيتَهَا، فَخُذْ مَا أُوتِيتَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَمَا دَلَّكَ اَلشَّيْطَانُ عَلَيْهِ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلاَ فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَئِمَّةِ اَلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اَللهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اَلرَّاسِخِينَ فِي اَلْعِلْمِ هُمُ اَلَّذِينَ أَغْنَاهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الإِقْتِحَامِ، وَالسُّدَدِ اَلْمَضْرُوبَةِ دُونَ اَلْغُيُوبِ، فَلَزِمُوا اَلإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوهُ[1] تَفْسِيرَهُ مِنَ اَلْغَيْبِ اَلْمَحْجُوبِ فَقَالُوا (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا).

---

[1]. كذا وفي بعض مصادر الخطبة: جهلوا.

فَمَدَحَ اَللهُ عَزَّ وَجَلَّ اِعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمّى تَرْكَهُمُ اَلتَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ اَلْبَحْثَ عَنْهُ مِنْهُمْ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلاَ تَقْدِّرْ عَظَمَةَ اَللهِ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ اَلْهَالِكِينَ﴾[1]، انتهى.

((بَيَانُ بَعْضِ لُغَاتِهَا))

قوله عليه السلام: ﴿لا يفره المنع ولا يكديه الإعطاء﴾، يفر -بالفاء على وزن يعد- من الوفور، والمعنى: لا يجعل المنع ماله من النّعم موفوراً كثيراً.

﴿ويكديه﴾ من باب الافعال، أي: لا ينقصه الإعطاء.

وقوله عليه السلام: ﴿المليئ بفوائد النعم﴾، المليئ -بالهمزة- الثقة الغني، والمليّ الغني المقتدر.

قوله عليه السلام: ﴿فانهج سبيل الطلب﴾ النهج الطريق الواضح، وانهج أي: أوضح.

وقوله عليه السلام: ﴿فليس بما سئل أجود منه بما لم يسئل﴾، يعني: فليس هو بإعطاء ما سئل أجود منه بإعطاء ما لم يسئل، بأنْ يعطي السائل أكثر مما يعطي غير السائل، لعدم اختلاف أحواله، وعدم نهاية فيضه.

قوله عليه السلام: ﴿ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال﴾، التّنفّس: التبلّج، كقولك: الصبح إذا تنفّس، أي: تبلّج، فالمعنى: ولو وهب ما أظهرته المعادن.

قوله عليه السلام: ﴿وضحك عنه أصداف البحار من فلز اللجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان﴾ نسبة الضحك إلى الأصداف حيث يصحبها اللئالي

---

[1]. التوحيد للصدوق وفي كثير من المصادر اختلاف وزيادة ونقيصة فراجع نهج البلاغة وشروحاته.

المشبّه بها أسنان الملاّح، والفلز -بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء المعجمة- من الجواهر المعدنية كالذهب والفضة والرصاص.

﴿وسبائك العقيان﴾ عبارة عن الذهب الخالص.

﴿والنضائد﴾ جمع نضيد بمعنى المنضود، أي: المرتّب بعضه فوق بعض.

قوله عليه السلام: ﴿ولكان عنده من ذخائر الافضال ما لا تنفده مطالب السؤّال﴾ -بتشديد الهمزة- جمع: ﴿سائل﴾، كطلاّب جمع طالب.

قوله عليه السلام: ﴿ولم يتصرف في ذاته بكرور الأحوال، ولم يختلف عليه حقب الليالي والأيّام﴾ كرور الأحوال، أي: طريان الأحوال، ﴿والحُقُب﴾ بضم الحاء المهملة والقاف: الدّهر، وهو الزّمان هنا.

قوله عليه السلام: ﴿وانحسرت الابصار عن ان تناله﴾ حسر وانحسر، أي: كَلّ.

قوله عليه السلام: ﴿وارتفع عن ان تحوى كنه عظمته فهاهة رويات المتفكرين﴾ يقال: (فهّ الرجل فهاهة) إذا صدرت منه سَقْطَةٌ مِنَ الْعَيّ، وإضافة الفهاهة إلى الرّويات من قبيل إضافة الصفة إلى موصوفها، والمراد: الرّويّات العيية الناقصة.

قوله عليه السلام: ﴿وجزوه بتقدير منتج من خواطر هممهم..الخ﴾ التجزئة بالهمز جعل الشّيئ ذا أجزاء.

وقوله عليه السلام: ﴿الوله﴾ شدّة التّحيّر.

وقوله عليه السلام: ﴿وغمضت مداخل العقول﴾غمض الشيئ غموضاً إذَا دَقّ.

قوله عليه السلام: ﴿ردعت خاسئة وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه﴾، ردعه كمنعه كَفّهُ وَرَدّهُ، وخسئ الكلب بَعُدَ، وخسئ البصر

كَلّ، والجوب قطع البلاد والسّير فيها، والمهاوي جمع مهواء وهي الجو وعمق الشيئ وما بين الجبلين، والسّدف جمع السُدفة -بالضم- وهي اختلاط الظلام.

قوله عليه السلام: ﴿رجعت اذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بحور الاعتساف﴾ جبهه كمنعه، وضربه ضربت جبهته ورده والاعتساف الاخذ على غير الطريق.

قوله عليه السلام: ﴿لا تناله الابصار في مجد جبروته او حجبها بحجب لا ينفد في ثخن كثافته ولا تخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستراته﴾، الكثافة: الفخامة، وضمير لا ينفد يعود إلى الأبصار، والمتانة الشدّة، وخصائص التراث، أي: السترات الخاصة بذلك الحجاب.

قوله عليه السلام: ﴿وتصاغرت عزّة المتجبرين﴾ أي: ذَلّتْ.

وقوله عليه السلام: ﴿بلا معاناة للغوب ولا مكابدة لمخالف له على أمره﴾ اللغوب: التكسل والكسالة والعناء والمكابدة الشّدة

قوله عليه السلام: ﴿لم يعترض دونها ريث المبطئ ولا اناة الملتكى﴾ الريث: الابطاء، والأناة السكون، والملتكئ بالهمزة المتوقف والمتباطي.

قوله عليه السلام: ﴿بدايا خلائق أحكم صنعها﴾ البدايا: جمع بدية -بالياء المشددة في الاصل- بمعنى العجيبة أو الظّاهرة.

قوله عليه السلام: ﴿وبتلاحم احقاق مفاصلهم﴾ التلاحم: التلاصق، والإحقاق: جمع حقة وهي في الأصل وعاء من خشبة شبه بها العظم الفاصل بين عظمين.

وقوله عليه السلام: ﴿واعلم ان الراسخين في العلم هم الذي أغناهم الله تعالى عن الاقتحام والسدد المضروبة دون الغيوب﴾ الراسخون هم الذين تلبثوا

وتمكنوا فيه، واقتحام الفرس في الماء دخوله فيه من غير إرسال، والسّدد جمع سُدّة -بالضم- كالظلّة على الباب لنفي المطر.

(واعلم): يا أخي أنّا لو أردنا أنْ نبيّن ما بيّن عليهم السلام في هذه الخطبة الشّريفة من الأسرار والمعاني وتنزيه الحقّ المعبود لطال بنا الكلام وأبطأ عن بيان المرام الذي أردناه في هذا المقام، وإن كان كلماتهم عليهم السلام نور واحد، لأنّهم نور واحد، وكلامهم لا يشابه كلام جميع الأنام من الخواص والعوام.

نعم؛ هم ملوك النّاس، وكلامهم ملوك لكلام النّاس، لأنّ كلام الملوك ملوك الكلام، فلنرجع إلى ما كنّا فيه من الشرح.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدْ شَبَّهَهُ﴾

لأنّ الكيف من خواصها ولوازمها الشّبيه واللاّ شبيه، قال عليه السلام: ﴿كَيْفَ الْكَيْفَ فَلا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَأَيْنَ الأَيْنَ فَلا يُقَالُ: أين؟﴾[1].

كَذَلِكَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ.

والقوم عرّفوا الكيفَ بأنّه: هيئة لا يتوقف تصوّرها على تصوّر غيرها، ولا تقتضي القسمة واللا قسمة في أجزاء حاملها اقتضاء أوّليّاً فالهيئة كالجنس.

وبالأوّل، خَرَجَتِ الأعراض النسبية كلّها.

وبقولنا: لا يقتضي القسمة، خَرَجَ الكَمّ.

وبقولنا: واللاّ قسمة، خرجت الوحدة والنقطة.

وبقولنا: اقتضاء أوّليّاً، ليندرج فيه العلم بما لا ينقسم، لأنّ عدم القسمة فيه ليس لذاته بل بواسطة المعلوم.

(وَبِالْجُمْلَة): إنّ الكيف ينقسم إلى أربعة أنواع:

لأنّهُ إمّا أنْ يكونَ مختصّاً بالكمّيات أوْ لا.

والثّاني إمّا أنْ يكونَ استعداد نحو الكمال أو كمالاً.

والأوّل هو الكيفيات المختصة بالكميات، وهي تعرض للكميّات بالذّات، سواء متصلة أو منفصلة، أو تعرض لذي الكم بواسطة الكميات.

والأوّل كالإستقامة والإنحناء والتقعير والتقبيب والشكل والخلقة.

---

[1]. التوحيد للصدوق.

والثّاني كالزّوجيّة والفرديّة والمحسوسات الكيفيات المتوقفة على الحسّ.

وهي إمّا راسخة وتسمّى الإنفعاليات.

وغير الرّاسخة وتسمّى الإنفعالات.

وأمثلة الأوّل كالمتسخّن ما دام يتسخّن والمتقطّع ما دام ينقطع.

ومثال الثّاني كحمرة الخجل وصفرة الوجل.

والإستعداديات نحو الكمال:

إمّا انفعالاً وهو الإستعداد نحو الإنفعال كاللّين والمراضية وتسمّى لا قوّة وضعفاً.

وإمّا استعداداً نحو لا انفعال كالصلابة والمصماهية وتسمّى قوّة.

وأمّا الكمال فهو الكيفيات المختصة بذوات الأنفس.

وهي إمّا راسخة وتسمّى مَلَكَاتٌ كالعلم والظّنّ.

وإمّا غير راسخة وتسمّى حالات كالغمّ والفرح والسّرور.

(فَظَهَرَ)؛ أنّ أقسام الكيف تنحصر في أربعة:

(الكيفيات المحسوسة) وهي المنقسمة بانقسام الحواس الخمس وهي:

الملموسات المدركة بحاسة: اللّمس كالحرارة والبرودة والرّطوبة واليبوسة والخشانة والملاسة والصّلابة واللّين.

والمبصرات المدركة بحاسة البصر، وهي الألوان والأضواء والأشكال.

والمسموعات المدركة بحاسة السمع، وهي الأصوات والحروف.

والمشمومات المدركة بحاسة الشّمّ، وهي الرّوائح.

والمذوقات التّسع، وهي: المدركة بحاسة الذوق وهي الحلاوة والحموضة والملوحة والدسومة والحرافة والمرارة والعفوصة والقبض والتفاهة.

(والكيفيات النفسانية) المنقسمة إلى: الحال والملكة.

(والكيفيات الإستعدادية) المنقسمة إلى: القوة واللا قوّة.

(والكيفيات الكمية) المتصلة والمنفصلة.

هكذا قرر بعض الفضلاء.

فإذا كان الكيف من صفات الخلق فكيف يجري على الحقّ؟

وهو الذي لا كيف له؟ لأنّهُ كَيّفَ الْكَيْفَ بِلا كَيْفٍ.

فَلا يعرف الحقّ به.

وَمَنْ عَرَفَ الحقّ به لكَانَ جَعَلَهُ شبيهاً للخلق، لأنّهُ خَلْقُهُ.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: لِمَ؟ فَقَدْ عَلَّلَهُ﴾

لأنّ السّؤال عن: (اللم) سؤال عن العلّة الفاعلية أو عن العلّة الغائية، وكلاهما غير جائز عليه سبحانه:

(أمّا العلّة الفاعلية)؛ فمعلوم، لأنّهُ سبحانه فوق الفوق، وعلّة العلل بفعله، فلا علّةَ له.

(وأمّا العلّة الغائية)؛ فلأنّه تعالى ليس غاية لشيئ، وإنْ كان هو غاية كلّ ذي غاية، وقولنا: هو علّة العلل (بفعله)، هذا القيد إنما كان واجباً لأنّهُ سبحانه ليس علّة للأشياء بذاته.

(خلافا للحكماء)؛ حيث قالوا: إنّ الذّات هي العلّة.

ونِعْمَ مَا قَالَ شيخنا واستاذنا ومَنْ إليه في كلّ حقّ استنادنا الشّيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ زين الدين الأحسائيّ أطال الله بقاه وجعلنا الله في كلّ مكروه ومحذور فداه، لما استدل على عدم جواز إطلاق العلّة عليه سبحانه قال:

(**إلاّ أنّ الحكماء أخذتهم العلّة حيث قالوا: إنّ الذّات هي العلّة**).

(وبِالْجُمْلَة): لا يجوز إطلاق العلّة عليه سبحانه:

(أمّا أوّلاً): فلأنّ أسماء الله توقيفية، كما هو مختارنا، لنص مولانا الرّضا عليه السلام على ذلك في احتجاجه على سليمان المروزي في الرّواية المتقدمة في حدوث الإرادة[1].

---

[1]. في قوله عليه السلام: فليس لك أنْ تسميه بما لم يسمّ به نفسه.

ولا يعبأ بما ذهب إليه بعض أصحابنا: من عدم توقيفيتها.

وما عهدنا في خبر ولا وجدنا في أثر أنّ الأئمة عليهم سلام الله أجمعين أطلقوا لفظ (العلّة) على الذّات البحت، بل المعهود إطلاق العلّة على غيره في الأخبار والآثار، كما رآه[1] من جاس خلال تلك الديار، قال عليّ عليه السلام: ﴿عِلّةُ مَا صَنَعَ صُنْعُهُ وَهُوَ لا عِلّةَ لَهُ﴾[2].

وفي الدّعاء: ﴿كَانَ قَدِيراً قَبْلَ إِيجَادِ الْقُوّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَكَانَ عَلِيماً قَبْلَ إِيجادِ الْعِلْمِ وَالْعِلّةِ﴾[3].

وفي الحديث المتقدّم ذكره في العقل، قال عليّ عليه السلام: ﴿هُوَ عِلّةُ الْمَوْجُودَاتِ وَنِهَايَةُ الْمَطَالِبِ﴾[4].

وفي الرّوايات المتظافرة المتكاثرة كون علة الخلق هم الأئمة عليهم السلام منها:

---

[1]. (رآه، غير موجودة في خ م).

[2]. في ملحق نهج البلاغة لابن ناقة الكوفي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((..عِلّةُ مَا صَنَعَ صُنْعُهُ وَهُوَ لا عِلّةَ لَهُ..)).

❖وفيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((..وَفِعْلُهُ لا عِلّةَ لَهُ..)).

[3]. من دعاء العديلة، وفي الذريعة لمحسن الطهراني: ((العديلة، اسم للدّعاء المشهور الذي أوردها السيد الدّاماد في كتاب دعائه، ونقل عنه المولى هاشم الخراساني في: وسيلة الأمان..) وذكره عباس القمي في مفاتيح الجنان، وفيه: (..كَانَ قَوِيّاً قَبْلَ وُجُودِ الْقُدْرَةِ وَالْقُوّةَ، وَكَانَ عَلِيماً قَبْلَ إِيجادِ الْعِلْمِ وَالْعِلّة..).

❖((يقول)) العبد المسكين معين: وأقدم مصدر وردت فيه هذه العبارة في مخطوطة تاريخها ٩٤٠ هـ (قرن عاشر) وهي اما للمحقق الكركي أو لأحد العلماء في مجموع أدعية بعد كتاب له اسمه: (الأخلاق) وَصَفَهُ الناسخ: عضد الملة والدّين شبانكاري، ونص العبارة فيه هكذا: (كَانَ قَوِيّاً قَبْلَ وُجُودِ الْقُوّةِ وَالْقُدْرَةِ، وكَانَ عَلِيماً قَبْلَ إِيجادِ الْعِلْمِ وَالْعِلّةِ) (مخطوط عندنا نسخة مصوّرة من الدّعاء).

[4]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني.

كتاب عليّ عليه السلام إلى معاوية لعنه الله: ﴿نحنُ صَنَائعُ رَبّنَا وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائعٌ لَنَا﴾[١].

وعن الحجّة عليه السلام ﴿نحنُ صَنَائعُ رَبّنَا وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا﴾[٢].

والرّوايات بهذا المعنى كثيراً جداً.

(وأمّا ثانياً)؛ فلأنّهُ سبحانه لو كان بذاته علّة للخلق لكان مقترناً بالخلق، لأنّ العلّة مقترنة بالمعلول من حيثية العليّة والمعلوليّة، والإقتران من صفة الحدوث، فلو كان هو بذاته علّة للخلق لكان حادثاً.

(وأمّا ثالثاً)؛ فلأنّ العلّة لَهَا إطلاقان:

(أحدهما): انّها تطلق على واحد من العلل الأربع وهي: (العلّة الفاعليّة والعلّة الماديّة والعلّة الصّوريّة والعلّة الغائيّة).

(وثانيها): انّها تطلق على كلّ ذلك من حيث المجموع.

(فالعلّة الفاعليّة)؛ متوقفة في وجودها على الفعل، لأنّ الفعل هو مبدء اشتقاق اسم الفاعل، والمشتق قائم بمبدئه (قيام ركن وتحقّق) كما برهناه في بعض رسائلنا، ولا بأس بالإشارة إلى ذلك:

فقولنا: (زيد صائغ) وكونه صائغاً منوط ومرتبط بالصياغة، فلو[٣] الصياغة صدرت عن زيد لما صحّ اطلاق الصائغ عليه، فمبدء اشتقاق اسم

---

[١]. في نهج البلاغة: فَإنّا صَنائعُ رَبّنا، وَالنّاسُ بَعْدُ صَنائعُ لَنا.

[٢]. في الإحتجاج للطبرسي المطبوع الآن: ونحن صنايع ربّنا والخلق بعد صنايعنا.

[٣]. في خ م: فلولا.

الصايغية هي الصياغة لا غير، ثمّ انّ الصّايغية التي هي الفاعلية من أعظم العلل، لو كانت هي عين ذات زيد لَمَا صَحّ انفكاكها عنه ولا انفكاكه عنها.

(ولتوضيح الكلام)؛ نُمثّلُ ذلك في ا(لقيام) فإنّ (قائم) صفة زيد الظاهر بالقيام، ولو كان القائم هو ذات زيد لما صحّ سلبه عنه، ولكان قائماً في كلّ حال، ومن المعلوم أنّهُ يأكل ويشرب وينكح وينام ويقوم ويقعد ويمشي إلى غير ذلك من الحالات التي تطري عليه بواسطة أفعاله، فيكون بتلك الأفعال: آكلاً وشارباً وناكحاً ونائماً وقائماً وقاعداً وماشياً.

فلو كان قائماً -مثلاً- لم يكن قاعداً، ولم يكن نائماً، فيصحّ في تلك الحال سلب القاعدية عنه، لأنّ مبدئها القعود لم يتحقق هناك.

ولو كان قاعداً لم يكن قائماً، فيصح قولك: ليس زيد قائماً، فلمّا رأينا وجدنا هذه الصفات تارة تنفى عن زيد، وتقول: لا يصح اتصاف زيد بها أبداً، وتارة تثبتها إيّاه، فعلمنا أنّ هذه الصّفات ليست من ذاتيات زيد، وإلاّ لاستحال انفكاكها عنه، والأمر على خلاف ذلك.

ولو كانت تلك الصفات هي ذات زيد للزم تركيبه من السّلب والإيجاب والإثبات، وبطلانه من أوضح الأشياء.

(وأمّا سائر العلل)؛ فعدم جواز إطلاقها عليه سبحانه ظاهر جدّاً، فلا يحتاج إلى بيان.

(فَظَهَرَ مِمّا زبر وسطر)؛ أنّ العلّة ليست هي الذات.

فالعِلّة هي (فعل الذّات).

لأنّ مبدء إيجاد الموجودات هو الفعل.

لأنّ (الفعل) هو الحركة الإيجادية، يُوجِدُ الْمُوجِدُ الْمُوجَدَ بِهَا وَإِيَّاهَا.

(ولنمثل لك مثالاً لتكون على بصيرة من أمرك)؛ فإذا أردتَ أنْ تكتب وتوجد الكتابة فإنك لا توجدها إلاّ بحركة يدك، فلولا حركة يدك لم تقدر على إيجادها، فحركة يدك للكتابة علّة فاعليّة، ولذلك تحكي الكتابة حركة يدك، لأنّ الأثر يشابه صفة المؤثر، وحكايتها لحركة يدك من الإستقامة والإعوجاج ظاهر جداً، والكتابة لا تحكي عنك إلاّ بواسطة تلك الحركة، ولا تحكي إلاّ حركة يدك، ولا تنبئ من أنّ الكاتب أبيض أو أحمر أو أسود أو أسمر أو شقيّ أو سعيد، فلا تحكي إلاّ تلك الحركة مِنْ أنّها مستقيمة أو معوجة.

فافهم، فإنّها من أغمض المسائل، والمداد هي العلّة الماديّة للكتابة، وترتيب الحروف علّة صوريّة، وقرائة تلك الكتاب مثلاً علّة غائية.

فَظَهَرَ: أنّ ذاتك من حيث ذاتك ليست علّة للكتابة، فاشرب صافياً لا تظمأ بعد هذا اليوم أبداً، واذكرني بالخير فإنّي عبدٌ محتاجٌ.

(ثمّ اعلم)؛ إنّ كلّ ذلك لا يستقيم إلاّ بك، فإنّ الحركةَ لا توجَدُ إلاّ بِكَ، مع عدم الإرتباط بينك وبينها.

وسائر العلل فهي موجودة بتلك الحركة الإيجادية، فأنتَ الفاعل للكتابة بحركتك التي هي فِعْلُكَ، وفاعليتك في رتبة فعلك، ومرتبة حركتك، لا في ذاتك، مع عدم الإرتباط بينك وبين فاعليتك.

وإنْ شِئْتَ فَقُلْ:

إنّ للعلل الأربعة في إيجاد كلّ موجود دخل في الوجود وهم الأئمة عليهم السلام:

(أمّا العلّة الغائيّة) فظاهر، كما نطقت بها صريح أخبار أهل العصمة عليهم السلام، وفي الحديث القدسي: ﴿لَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأفْلاكَ﴾[1].

ومن كتاب لعليّ عليه السلام إلى معاوية لعنه الله رواه الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج والسيد الرضي رحمه الله في نهج البلاغة:

﴿أمّا بَعْدُ: فَإنّا صَنَائعُ رَبّنَا، وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَديمُ عِزّنَا وَلاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلى قَوْلِكَ أنْ خَالَطْنَاكُمْ بِأنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأنْكَحْنَا فِعْلَ الأكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ، وَأنّى يَكُونُ ذَلِك..الخ﴾[2].

وقال عليه السلام: ﴿نحنُ صَنَائعُ الله، وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائعُ لَنَا﴾[3].

(أقُولُ): يعني: صنائع لأجلنا ولانتفاعنا.

واللاّم في ﴿لنا﴾ للإنتفاع والإختصاص، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

(وأمّا العلّة الماديّة)؛ فبشعاعهم وأنوارهم، لأنّ الخلق خلقوا من فاضل أنوارهم، وهم شمس الوجود والخلق أشعتهم، قال القائم -عجّل الله فرجه

---

[1]. مناقب ابن شهر أشوب وتأويل الآيات لشرف الدّين الحسيني وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

[2]. في الاحتجاج للطبرسي ونهج البلاغة المطبوع: (أمّا بَعْدُ:...فَإنّا صَنَائعُ رَبّنَا، وَالنّاسُ بَعْدُ صَنَائعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَديمُ عِزّنَا وَلاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلى قَوْمِكَ أنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأنْكَحْنَا فِعْلَ الأكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ، وَأنّى يَكُونُ ذَلِك...).

[3]. في نهج البلاغة: فَإنّا صَنَائعُ رَبّنا، وَالنّاسُ بَعْدُ صَنَائعُ لَنا.

ورزقنا توفيق طاعته- في الدّعاء: ﴿أللّهُمّ إنّ شِيعَتَنَا خُلِقُوا مِنْ فَاضِلِ طِينَتِنَا وَعُجِنُوا بِمَاءِ وَلايَتِنَا﴾[1].

وَعنْ أحَدِهِمْ عليه السلام: ﴿إنّ شِيعَتَنَا أشَدُّ اتّصالاً بِنَا مِنْ ضَوْءِ الشّمْسِ إلَى الشّمْسِ﴾[2].

والضّوء نور الشمس، والنور هو شعاعها.

(فيظهر مِنْ هذا)؛ إنّ الخلق بمنزلة الشعاع، وهم بمنزلة الشمس، وَمِنْ ذلك تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهّاجاً﴾[3].

(وأمّا العلّة الصّوريّة)؛ فلأنّ الخلق يشابهون صور أفعالِهم، فصورة أفعالهم علّة لصور الموجودات، فافهم، فإنّ في ذلك سرّ مستسرّ في السّرّ.

(وأمّا العلّة الفاعليّة)؛ فلأنّهم عليهم السلام محال مشيئته، وألسن إرادته، وتراجمة وحيه، فالفيض أوّلاً وبالذّات يصل إليهم، ويهبط في بيوتهم و:

---

[1]. في مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي: قوله عليه السلام أنّه يقول: (ربّي؛ إنّ شيعتنا لَمّا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا..).

❖وفي جنة المأوى لحسين النوري: رأيت في ملحقات كتاب أنيس العابدين، وهو كتاب كبير في الأدعية والأوراد ينقل عنه العلامة المجلسي في المجلد التاسع عشر من البحار والآميرزا عبد الله تلميذه في الصحيفة الثالثة ما لفظه: نقل عن ابن طاووس رحمه الله أنه سمع سَحَرَاً في السّرداب عن صاحب الأمر عليه السلام أنه يقول: (أللّهمّ إن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا..)، قلت: ويوجد في غير واحد من مؤلفات جملة من المتأخرين الذين قاربنا عصرهم والمعاصرين هذه الحكاية بعبارة تخالف العبارة الاولى وهي هكذا: (أللّهمّ إنّ شيعتنا منّا، خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا..).

[2]. في الكافي للكليني والاختصاص للمفيد والمؤمن للحُسَيْنِ بْنِ سَعِيْدِ الكُوفِيّ: (عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:..وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشّمس بها).

[3]. النبأ / ١٤

﴿إرادَةُ الرَّبِّ في مَقاديرِ أُمورِهِ تَهْبِطُ إلَيْكُمْ، وَيَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ[1] الصّادِرُ عَمّا فُصِّلَ مِنْ أحْكامِ الْعِبادِ﴾[2].

وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يفيض ثانياً وبالعرض بواسطتهم إلى الخلق.

فَهُمْ عليهم السلام (علّة الفاعلية) بهذا المعنى.

ولا تتوهم أنّا إذَا قُلْنَا: هُمُ الْعِلّة الفاعلية، نريد أنهم عليهم السلام هم الخالقون بالإستقلال، أو بإذن الله بمعنى: أنّه سبحانه وكَلَهُمْ وفَوّضَ إليهم خلق[3] الخلق.

أو جعلهم شركاء في الخلق.

أو أعطاهم القوّة والسّلطنة وخلاّ سبيلهم وقال: أفعلوا ما شئتم.

أو كفعل الوزير من جانب السلطان، أو غير ذلك.

فإنّ كُلّ ذلك باطل.

والقائل بكلّ ذلك أو بعضها أو بشيئ مماّ ذكرنا فهو مُلْحِدٌ.

خَارِجٌ مِنْ رِبْقَةِ الإسلام، وكلّ ذلك من الْغلوّ.

وَقَالَ الصّادقُ عليه السلام: ﴿لَعَنَ اللهُ الْغُلاةَ قَدْ صَغّرُوا عَظَمَةَ اللهِ﴾[4].

((بل المذهب الحقّ))؛ هو أنّ الله يفعل بهم.

---

[1]. في خ م: بيوتهم

[2]. الكافي للكليني وكامل الزيارات لابن قولويه والفقيه للصدوق والتهذيب للطوسي.

[3]. في خ م: خلقة.

[4]. في علل الشرايع للصدوق: (قال عليه السلام: لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم صغروا عصيان الله وكفروا به وأشركوا وضلوا وأضلوا...)، وفي الإحتجاج للطبرسي والتوحيد للصدوق وغيرها: (يا بن خالد؛ إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله..).

لأنّهُ سبحانه أبى الله أنْ يجري الأشياء إلاّ بأسبابها.

وَهُمْ يَدُ الله، وَعَيْنُهُ، وَسَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَمَعَانِيهِ، وَهُوَ يَفْعَلُ بِالْيَدِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْد﴾[1].

وَمِنْ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى:

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[2].

وَقَالَ أَيْضاً: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم﴾[3].

فكون الأئمة عليهم السلام علّة الفاعلية بهذا المعنى.

فالله سبحانه متفرّد بقبض الأرواح كما قال:

﴿اللهُ[4] الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْئٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون﴾[5].

فهو الّذي يميت الخلق بمَلَك الموت، فكذلك هو الّذي يفعل بالأئمة عليهم السلام بلا تفاوت في الأمرين، فافهم فإنّ ذلك مِنْ أغمض المسائل وأدقّها.

وَنِعْمَ مَا قَالَ مَوْلانا سَيِّدُ السَّاجِدِينَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام:

نَهْجُ المحَجّةِ وَاضِحٌ لِمُرِيدِهِ ... وَأرَى الْقُلُوبَ مِنَ الْهِدَايَةِ فِي عَمَى

مَا إنْ عَجِبْتُ لِهَالِكٍ وَنَجَاتِهِ ... مَوْجُودَةٌ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ نَجَا

---

[1]. الذاريات / ٤٨

[2]. الزمر / ٤٣

[3]. السجدة / ١٢

[4]. في خ م: هو الذي.

[5]. الروم / ٤١.

فَهُمْ عليهم السلام علّة الفاعلية بالمعنى الذي ذكرنا في ملك الموت وقبض الأرواح.

لا بالمعنى الّذي ذَهَبَ إليه الغلاة لعنهم الله.

ولا بالمعنى الّذي ذهب إليه المفوضة قبّحَهُمُ الله.

بل المذهب الحق هو الّذي ذكرنا:

فهو المالك لِمَا مَلّكَهُمْ، والقادر على ما أقدرهم عليه.

وهم عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وإنما كرّرت العبارة، ورددت الإشارة، رجاء منك أنْ تفهمها، وتفرّق بين الحقّ والباطل، لئلا تتيه في تيه المهالك، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: مَتَى؟ فَقَدْ وَقَّتَهُ﴾

(يعني): جعله ذا وقت، لأنّ (متى) عبارة عن نسبة الشيئ إلى الزمان الواقع فيه، وكان الله ولم يكن معه شيئ، والآن على ما عليه كان، لأنّهُ سبحانه ليس زمانيّاً حتى تطري عليه الحالات والأحوال، فليس له ماضي ولا حال ولا استقبال، فلا يجاب عنه بمعنى، ولا يقال: مَتَى كان؟

❖وفي الكافي: ﴿عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَئَلَ نَافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللهِ مَتَى كَانَ؟ فَقَالَ: مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى أُخْبِرَكَ مَتَى كَانَ؟! سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ، وَلا يَزَالُ، فَرْداً صَمَداً، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾[1].

❖وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: ﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام مِنْ وَرَاءِ نَهَرِ بَلَخٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَسْئَلُكَ عَنْ مَسْئَلَةٍ، فَإِنْ أَجَبْتَنِي فِيهَا بِمَا عِنْدِي قُلْتُ بِإِمَامَتِكَ، فَقَالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ؟ وَكَيْفَ كَانَ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْئٍ كَانَ اعْتِمَادُهُ؟ فَقَالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيَّنَ الأَيْنَ بِلا أَيْنٍ، وَكَيَّفَ الْكَيْفَ بِلا كَيْفٍ، وَكَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى قُدْرَتِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عَلِيّاً وَصِيُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْقَيِّمُ بَعْدَهُ بِمَا أَقَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَنْتُمُ الأَئِمَّةُ الصَّادِقُونَ وَأَنْتَ الخَلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[2].

---

[1]. الكافي للكليني.

[2]. الكافي للكليني.

❖وعن أبي بصير قال: ﴿جَاءَ رَجُلٌ إلى أبي جَعْفَرٍعليه السلام فَقَالَ: أخبرني عن ربّك متى كَانَ؟ فقال: ويلك! إنما يقال لشيئ لم يكن: مَتَى كَانَ؟ إنّ ربّي تبارك وتعالى كَانَ ولم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كَانَ، ولا كَانَ لكونه كيف، ولا كَانَ له أين، ولا كَانَ في شيئ، ولا كَانَ على شيئ، ولا ابتدع لكان، ولا قوي بعد ما كوّن الأشياء، ولا كَانَ ضعيفاً قبل أنْ يكونَ شيئاً، ولا كَانَ مستوحشاً قبل أنْ يبتدعَ شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً، ولا كَانَ خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حيّاً بلا حيوة، وملكاً قادراً، قبل أنْ ينشأ شيئاً، وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حدّ، لا يعرف بشيئ يشبهه، ولا يهرم لطول البقاء، كَانَ حيّاً بلا حيوة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أين موقوف عليه...الخ﴾[1].

❖وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن علي بن الحسن الموصلي: ﴿عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين؛ متى كَانَ ربّك؟ فقال: ثكلتك أمّك! ومتى لم يكن حتّى يقال: مَتَى كَانَ؟ ربّي قبل القبل، وبعد البعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، إنقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كلّ غاية﴾[2]، (وَبِالْجُمْلَةِ): متى؟ سؤال عن الزمان والله ليس زمانيّاً حتى يقال: متى؟ فافهم.

---

[1]. الكافي للكليني.

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق والاحتجاج للطبرسي وروضة الواعظين للفتال النيسابوري.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: فِي مَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ﴾

حتى جعله في ضمن شيئ حتى يتضمنه ذلك الشيئ.

(وفيم)؛ سؤال عن المكان، وكان الله ولا كان مكان، هو الذي كوّن المكان إذْ لا مكان، فلا يقال: في مكان، لأنّ الموجود في مكان هو الحادث، فإنّ المكان يجعل المتمكن في ضمنه، وتحيط بجميع أقطاره.

وقد وقع الخلاف بين العلماء في تعريف المكان.

(فذهب المشاؤون): إلى أنّ المكان: عبارة عن السطح المقعّر من الجسم الحاوي المماس لسطح المحدّب من الجسم المحوي.

(والإشراقيون): إلى انّهُ عبارة عن فراغ موجود يشغله الجسم بالكون فيه.

(والمتكلمون): إلى انّهُ بُعْدٌ مَوْهُومٌ، يشغله الجسم بالكون فيه.

وخير الأمور أوسطها.

لأنّ العرش المحيط الذي هو الفلك الأطلس، يلزم أنْ لا يكون لمحدبه مكان، وقد تقرّر في مباحث علم الطبيعي: أنّ الجسم يستحيل أنْ يوجد بلا مكان على تعريف المشائين، لأنّ ليس وراء العرش جسم حتى يكون مكان محدب العرش هو السطح المقعر من ذلك المماس بسطح محدب العرش.

وهذا كما ترى.

(وأمّا قول المتكلمين): بأنّهُ بعد موهوم.

فهذا غير صحيح، لأنّا أثبتنا في محلّه: أنّ للشيئ المتوهم لابُدّ أنْ يكونَ مبدأ الإنتزاع في الخارج، ويستحيل أنْ يتصوّر شيئاً لا يكون في الخارج، وإنْ شِئْتَ تحقيق ذلك.

فراجع ما قدمنا من الكلام فيه.

فإذا كان ذلك كذلك، فلا يكون المكان موهوماً.

وإذا بطل القولان صَحّ الوسط، وهو مختار أهل الإشراق مِنْ: أنّهُ فَرَاغٌ مَوْجُودٌ، أو تقول: بُعْدٌ مَوْجُودٌ يَشْغَلُهُ الجسْمُ بِالْكَوْنِ فِيهِ.

(فَعَلَى هَذَا)؛ يكون المكان من المشخصات، وعلى هذا لابُدّ أنْ يكونَ لمحدب العرش مكان، ومكانه جزء منه، لأنّ المكان من المشخصات، كما أنّ الزّمان مِنْ مشخصات، كما تبين في محلّه إن شاء الله.

فإذا عرفت أنّ المكان جزء المتمكن؛ جسماً كان أو غير ذلك، فلا يصحّ أنْ يكونَ لله مَكَانٌ، لأنّهُ سبحانه بسيط من جميع الوجوه، فإذا كَانَ لَهُ مكانا (كذا والصحيح: مكان) لزم تجزيته والتجزية مستلزمة للتركيب ولو كان له مكان[1] لزم أنْ يكونَ متحيزاً، وإذا كَانَ متحيّزاً لزم حدوثه، تعالى ربي عن ذلك علوّاً كبيراً.

---

[1]. في خ م: مكاناً.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: إِلَى مَ؟ فَقَدْ نَهَّاهُ﴾

(أقُولُ): يعني: جَعَلَهُ ذَا نِهَايَةٍ، لأنّ (إلى) لانتهاء الغاية في المكان والزّمان، كقولك: (سرت من البصرة إلى الكوفة) و(جلست من أوّل الليل إلى الصبح)، وهو -سبحانه- لا انتهاء له، لأنّهُ لا ابتداء له، وإلاّ لزم وجود أحد المتضايفين دون الآخر، وهو بديهي البطلان.

فَثَبَتَ أنْ ليس له انتهاء، فَمَنْ نَهّاهُ أبطل أزليّته.

قَالَ عليه السلام: ﴿وَمَنْ قَالَ: حَتّى مَ؟ فَقَدْ غَيّاهُ، وَمَنْ غَيّاهُ فَقَدْ غَايَاهُ، وَمَنْ غَايَاهُ فَقَدْ جَزّأَهُ، وَمَنْ جَزّأَهُ فَقَدْ وَصَفَهُ، وَمَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ أَلْحَدَ فِيهِ﴾

ومعنى: ﴿غيّاه﴾ نسبه إلى الغاية، والفرق بين (إلى م) و(حتّى م) أنّ النّهاية في الأولى وهي الشيئ الخارج عن ذي النهاية، فمعنى العبارة الأولى: أنّهُ مَنْ قَالَ: إلى أيّ شيئ ينتهي حتى يكون بعده ذلك الشيئ، فقد جعله ذا نهاية، والغاية في الثانية هي الأمر الداخل كما هو معنى (حتى).

فمعنى العبارة الثانية: مَنْ قال وجوده إلى أيّ حدّ يتمّ وينتهي حتى يكون تمام وجوده في ذلك الحدّ، فقد نسبه إلى ذلك الحدّ والغاية، وبذلك ظهر الفرق بين (الغاية والنهاية).

(ويحتمل أنْ يكونَ)؛ الأولى الإنتهاء في جهة الأبد، والثانية لإبطال الإنتهاء في طرف الأزل، كما يشير إلى ذلك قولهم: (سرتُ من البصرة إلى الكوفة)، وقولهم: (أكلتُ السّمكةَ حتّى رأسها)، هكذا قرّر بعض الفضلاء،

وفي صحة احتمال الأخير نَظَرٌ، لأنّهُ سبحانه ليس له أزلاً، ولا أبَداً يخالف أزله أبده، وبالعكس، حتّى يتحقّق له الأطراف والجهات، بل أزله عين أبده، وأزليته عين أبديته، وبالعكس.

وقوله عليه السلام: ﴿وَمَنْ غيّاهُ فَقَدْ غَايَاهُ﴾ يعني: مَنْ نَسَبَهُ إلى غَايَةٍ فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ في حَدّ، إذْ هو من الموجودات والباري عز وجل في حدّ آخر، إذ فقد[1] الله ذا حدين، إذ وجود أحد الحدين يستلزم وجود الحدّ الآخر، كما قلنا: إنّ البداية يستلزم تحقّق النهاية وبالعكس.

وقوله عليه السلام: ﴿ومن غاياه فقد جزأه﴾ أي: جعل ذا جزء، إذ الحدّ والغاية ما يصح أنْ يفرض معه شيئ دون شيئ، وهو يستلزم وسطاً وَطرفاً.

قوله عليه السلام: ﴿ومن جزأه فقد وصفه﴾ يعني: وصفه بصفة المخلوق، لأنّ المخلوق ذا جزء، وكلّ ممكن زوج تركيبي، وَمَنْ وصفه بصفة الخلق فَقَدْ ألْحَدَ فيه، يعني: حَادَ عَنْهُ وَعَدَلَ، لأنهُ سبحانه لا يوصف بصفة المخلوق، لأنّهُ بسيط والخلق مركّب، وإنّهُ غنيّ والخلق فقراء، وهو الواجب والخلق في حيّز الإمكان، فكيف يوصف بصفات الخلق؟!.

---

[1]. (كذا في المخطوطة وربما الصحيح: حدّ).

قَالَ عليه السلام: ﴿وَلا يَتَغَيَّرُ اللهُ بِانْغِيَارِ المَخْلُوقِ كَمَا أَنَّهُ لا يَتَحَدَّدُ بِتَحْدِيدِ المَحْدُودِ﴾

يعني: إنّهُ لا يتغيّر في حدّ ذاته بتغير المخلوق، لأنّ ذلك من صفات الحوادث، فلو كان متغيّراً لَكَانَ حَادِثَاً.

(واعلم): إنّ كلّ فاعل غير الله يتغيّر بتغيّر المفعول حين الصّدور، وقبل الصدور، وبعد الصدور، لأنّ مفعوله وهو نفسه في حيطة الزّمان، وكلّ مَنْ كان في حيطة الزّمان لابُدّ له من التّغير، لأنّ الأزمنة متخالفة، وإنْ كانت بالإضافة، لأنّهُ يجري على مَنْ كَانَ محاطاً للزّمان المضيّ والحال والإستقبال، فيتغير في حدّ ذاته، ولَمّا كان الحقّ سبحانه متعالياً عن أنْ يكونَ زمانياً، فلا يجري عليه المضي والحال والإستقبال، فلا يتغيّر من حال إلى حال، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، لأنّ الخلق محدود من:

جهة ورتبة وزمان ومكان وكمّ وكيف وعقل ونفس وطبيعة ومادة ومثال وجسم.

وكلّ شيئ من ذلك محدود بتلك الحدود السّتة، أعني:

الجهة والرّتبة والزّمان والمكان والكمّ[1].

فكما أنّهُ لا يتحدّد في حدّ ذاته بتحديه للمخلوق فهكذا لا يتغير بانغياره.

❖وفي حديث عمران الصابي قال لمولانا الرضا عليه السلام: ﴿يا سيّدي؛ ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيئ غيره ولا شيئ معه أليس قد تغير بخلقه الخلق؟

---

[1]. (كذا في خ م، وسقط: الكيف).

قال الرّضا عليه السلام: قديم لا يتغير عزّ وجل، لكن الخلق يتغيّر بتغييره.

قال عمران: فبأيّ شيئ عرفناه؟ قال: بغيره، قال: فبأيّ شيئ غيره؟

قال الرّضا عليه السلام: مشيّته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكلّ ذلك محدث مخلوق مدبر.

قال عمران: يا سيدي؛ وأيّ شيئ هو؟

قال عليه السلام: هو نور، بمعنى: أنّه هادٍ لأهل السماء وأهل الأرض، وليس لك عليّ أكثر مِنْ توحيدي إيّاه.

قال عمران: ياسيدي؛ أليس قد كان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق ثمّ نطق؟

قال الرضا عليه السلام: لا يكون السّكوت إلاّ عن نطق قبله.

والمثال في ذلك انه لا يقال للسراج: هو ساكت لا ينطق.

ولا يقال: إنّ السّراج يضيئ فيما يريد أنْ يفعل بنا، لأنّ الضوء من السّراج ليس بفعل منه، ولا كون، وإنما هو ليس شيئ غيره.

فلمّا استضاء لنا قلنا: قد أضاء، حتى استضأنا به.

فبهذا تستبصر أمرك.

قال عمران: يا سيدي؛ فإنّ الذي كان عندي: إنّ الكاين قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق؟

قال الرّضا عليه السلام: أحَلْتَ يا عمران في قولك: إنّ الكاين يتغيّر في وجه من الوجوه، حتى يصيب الذّات منه ما يغيّره.

يا عمران؛ هل تجد النّار تغيّرها بغير تغيّر نفسها؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها أو هل رأيت بَصَراً قطّ رأى بصره، قال عمران: لم أرَ هذا﴾[1].

قوله عليه السلام: ﴿لأنّ السّراج ليضيئ...الخ﴾ يعني: لو كان سبحانه ناطقاً بعد أنْ يكونَ ساكتاً لزم أنْ يكونَ حادثاً، لأنّهُ تغيّر، وكلّ متغيّر حادث.

قوله عليه السلام: ﴿هل تجد تغيّرها بغير تغير[2] نفسها﴾.

يعني: تغيرها بغير ذاتها كالحطب -مثلاً- إذا اشتعل بالنار، لا تتغير حرارة النار الّتي اشتعل بها الحطب من اشتعال الحطب.

(فيكون المعنى)؛ إيجاده تعالى للخلق، وتغير الخلق بتغييره[3] لا يستلزم تغير ذاته، كما في إحراق النّار، فافهم.

---

[1]. عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد للصدوق.

[2]. في عيون أخبار الرضا عليه السلام:هل تجد النار تغيرها تغير نفسها؟ وفي التوحيد:هل تجد النار يغيرها تغير نفسها.

[3]. في خ م: بتغيره، والصحيح ما أثبتناه.

قَالَ عليه السلام: ﴿أَحَدٌ لا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ﴾

(الأحد معناه)؛ أنّه واحد في ذاته، ليس بذي أبعاض، ولا أجزاء، ولا أعضاء، ولا يجوز عليه الأعداد والإختلاف، لأنّ اختلاف الأشياء من آيات وحدانيته، مما دلّ به على نفسه، ويقال: لم يزل الله واحداً.

(ومعنى ثان)؛ أنّهُ واحد لا نظيرَ له، ولا يشاركه في معنى الوحدانية غيره، لأنّ كُلّ مَنْ كَانَ لَهُ نَظِيرٌ أوْ شَبِيهٌ لَمْ يَكُنْ وَاحِداً في الحقيقة.

ويقال: (فلان واحد النّاس)، أي: لا نظير له فيما يوصف به.

قال ابن الجوزي في عليّ عليه السلام لَمّا قيل له: كيف تقولون: إنّ عَلِيّاً عليه السلام تَصَدّقَ الخاتم في الصّلوة وهو راكع؟ وتقولون: إنّ النّبلَ الّذي كان في رجله ما تمكنوا من إخراجه من رجله إلاّ في الصّلوة، لأنّهُ لا يلتفت في الصلوة إلى نفسه وإلى غيره، وهل هذا إلاّ جمع بين الضّدين؟!

فأجاب ابن الجوزي عن ذلك بقوله:

يُسْقَى وَيَشْرَبُ لا تُلْهِيهِ سَكْرَتُهُ ... عَنِ النَّدِيمِ وَلا يَلْهُو عَنِ الْكَاسِ

لِطَاعَةٍ سُكْرُه حَتّى تَمَكّنَ مِنْ ... فِعْلِ الصُّحَاةِ وَهَذَا وَاحِدُ النّاسِ[1]

وقوله: (وهذا واحد الناس) أي: ليس في الناس مَنْ يتصف بصفاته.

والله واحد لا من عدد، لأنّهُ عزّ وجل لا يعدّ في الأجناس، ولكنه واحد ليس له نظير، والوحدة العددية في ملكه وخلقه.

---

[1]. كذا وفي المصادر: أطاعه سكره

قال سيّد السّاجدين عليه السلام في دعائه: ﴿لَكَ يَا إلهي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ﴾[1]، واللاّم في ﴿لَكَ﴾ للتّمليك.

وعن بعض الأفاضل في الواحد والأحد: إنّما قيل: الواحد، لأنّهُ متوحّد والأوّل لا ثاني له، ثمّ ابتدع الخلق كلّهم محتاجاً بعضهم إلى بعض، والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيئ، بل هو قبل كلّ عدد، والواحد كيف ما أدرته أو ضربته لم يزدد فيه شيئ ولم ينقص منه شيئ، تقول: واحد في واحد، فلم يزدد عليه شيئ، ولم يتغير اللفظ عن الواحد، فَدَلّ أنّه لا شيئ قبله، وإذا دَلّ أنّهُ لا شيئ قبله دلّ انّهُ محدث الشيئ، وإذا كان هو يفني الشّيئ دَلّ أنّه لا شيئ بعده، فإذا لم يكن قبله شيئ ولا بعده شيئ فهو المتوحد بالأزل فلذلك قيل: واحد أحد، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار واحد، يجوز أنْ يكونَ اثنان، بخلاف ما إذا قلتَ: ليس في الدار أحد، فإنّهُ ينفي كون أحد في الدار، والأحد ممتنع من الدّخول في الضّرب والعدد والقسمة وفي شيئ من الحساب وهو متفرد بالأحدية والواحد منقاد للعدد والقسمة وغيرهما وداخل في الحساب، تقول: واحد واثنان وثلثة، فهذا العدد والقسمة والواحد علّة العدد، وهو خارج من العدد، وليس بعدد، وتقول: واحد في اثنين أو ثلثة، فما فوقها، وتقول في القسمة: واحد بين اثنين او ثلثة، لكل واحد من الاثنين واحد ونصف، وفي الثلثة ثلث، فهذه القسمة، والأحد

---

[1]. الصحيفة السجادية.

ممتنع في هذه كلّها، لا يقال: أحد واثنان ولا أحد في أحد ولا أحد بين اثنين، والأحد والواحد وغيرهما من هذه الألفاظ كلّها مشتقة من الوحدة.

ثمّ (اعلم) إنّ الوحدة على أقسام:

(أحدها): الوحدة العددية وهي مبدأ الأعداد التي تبدأ منها الأعداد وإليها تعود، وهي مثلثة، بمعنى: أنّ الوحدة العددية ثلاثة، كما صرّح به أهل الحساب حيث قالوا: إنّ العدد هو نصف مجموع حاشيته، فالثلثة أحد حاشيتها الاثنان، وأحد حاشيتها الأربعة، فإذا جمعتها تكون ستة، ونصف ذلك المجموع ثلثة، فأصل العدد ثلثة.

(وذهب بعض)؛ إلى أنّ أحد العدد واحد، وأحد حاشيتها النصف، وأحد حاشيتها الإثنان، فالمجموع اثنان، ونصف المجموع واحد، هذا إذا أخذنا الحاشيتين من الكسر والصحيح.

(وهو خلاف التحقيق)؛ لأنّ الثّمرة تظهر في الضّرب، فإذا ضربت الواحد في الواحد لا يكون إلاّ واحد، فما تثمر في الضرب، بخلاف ما إذا قلنا بأنّ أصل العدد ثلثة فإنّها تثمر قطعاً.

فظهر أنّ ثلاثة هي أصل الأعداد، وهي الوحدة العددية، والأعداد كلها شؤونات تلك الوحدة، فهي التي تظهر في كلّ الأعداد، والأعداد قائمة بها قيام ركن وتحقق، فإنك إذا لاحظت الواحد مع الإثنين تكون ثلاثة، وإذا لاحظته مع الثلاثة يكون أربعة، وهكذا، وإذا أمعنت النظر وجدت الأعداد كلّها هي ذلك الواحد الذي ظهر في الأعداد، والكثرة التي في الأعداد هي

حدود تجلياته في الأعداد، وبعبارة أخرى هي مظاهر ظهوراته، وإذا تفطنت ثانياً وجدت الأعداد لا أوّل لَهَا ولا آخر، لأنك مهما نظرت وجدت في النهاية لا تنتهي، وكذلك في البداية، وهذا ظاهر.

ووحدة الحقّ سبحانه لا يجوز أنْ تكون بالوحدة العددية، وإنْ كان ليس لَهَا أوّل ولا آخر، لكنها مركّبة من الكلّية والجزئية، ومقترنة بذاتها مع الكثرات التي هي مجالي تجلياتها، والتركيب والإقتران من صفات الحدوث، وتدخل في الوحدة العددية وحدة الجنسية ووحدة النوعية ووحدة الشخصية في التركيب والإقتران، فافهم.

(وثانيها): الوحدة الحقيقية الّتي لا ثانِ لَهَا، وهي الوحدة الغير عددية، والبرهان على وجودها هو أنّ من البين وجود الوحدة العددية، ويجب في ذلك وجود الغير عددية، لأنّ طبيعة الوحدة العددية مجعولة بالضّرورة، لأنّها مركّبة من الأجزاء والأفراد، ومن المستبين أنّ علّة الشيئ لابُدّ أنْ يكونَ من غير جنسه، فعلّة الوحدة العددية لا تكون من جنسها، وإلاّ لكان الشيئ جاعلاً لنفسه وعلّة لَهَا وموجداً إيّاها، وذلك في جعل الطبايع بالذّات أظهر.

ولا ريب أنّ غير الوحدة العددية هي الوحدة الغير العددية، فوجب من ذلك وجودها بالضرورة، وهذه الوحدة هي آية وحدة الحقّ سبحانه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْئٍ شَهِيدٌ﴾[1].

---

[1]. فصلت / ٥٤

وهذه الوحدة هي حقايقنا التي هي آية المعبود، مع قطع النظر من ملاحظة وجودها، فإنّها تكون مع عدم ملاحظة وجودها عنوان معرفة الحقّ، وآية توحيده ووحدته، لأنّهُ سبحانه لا يُعْرَفُ مِنْ سِنْخِ ذَاتِهِ، ولا يعرف وحدته بالوحدة العددية لأجل اقترانها وتركيبها، لأنّهُ لا تقترن بشيئ، ولا يقترن به شيئ، وليس هو سبحانه مركباً وإلا لزم حدوثه، فلابُدّ لنا مِنْ آية معرفته لنعرفه بتلك الآية وهي التي مودعة في حقايقنا لنعرفه بما ظَهَرَ لَنَا بِنَا وفي رتبتنا، وهذه المودعة في حقايقنا لأجل معرفة وحدته هي الوحدة الحقيقية ووحدة الحق تعرف بتلك الوحدة.

فافهم راشداً فقد كشفت لك السّرّ عن وجه السّتر الّذي هو مقنع بالسّرّ.

(وثالثها): الوحدة الحقّة، وهذه الوحدة لا تعرف بوجه من الوجوه، لأنّها هي عين ذات الحقّ بلا مغايرة، لا مفهوماً، ولا مصداقاً، ولا تحقّقاً، ولا اعتباراً، وذاته سبحانه مجهول الكنه، وهو المجهول المطلق، والمعلوم الحقّ، فلا يعرف بنحو من الأنحاء مِنْ سِنْخِ ذاته، لأنّ المعرفة والعلم فرع الإحاطة، وهو سبحانه محيطٌ ولا يحاط، فإذن لا يحيطون به علماً وعنت الوجوه للحي القيوم.

فإذا رأيتَ ما بيّنّا، عرفت أنّ إطلاق الواحد والأحد عليه لا يختلف في المعنى، فأحديته عين واحديته، وواحديته عين أحديته.

هذا إذا أردنا من الإطلاق الذّات البحت البات، وأمّا إذا أردنا غيره من صفاته الفعليّة وأسمائه الحسنى عند الاطلاق، فيختلف معنى الواحد والأحد، كما عرفت سابقاً فيما مضى.

(ثمّ اعلم): إنّ القائلين بالوحدة العددية بمعنى انّهُ سبحانه وحدة عددية، هم الذين قالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة، وقال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[1]، والآية وإنْ نزلت في تكفير القائلين بالأقانيم الثلثة التي (أحدها: اقنوم الأب، وثانيها: اقنوم الإبن، وثالثها: اقنوم روح القدس)، لكنّ السّياق يدلّ على نفي مطلق القول المستلزم لأنْ يكونَ هو عزّ شأنه معروضاً لعدد الثلثة أو غيرها وجزء منها، ومعدوداً من جملة وحدتها، فكُلّ مَنْ قال فيه تعالى بحكمٍ مستلزم لكونه جلّ وعَلا جزء المرتبة من الأعداد فقد دخل في هذا الكفر، وكُلّ مَنْ قال بعددية وحدته فهو كذلك، فإنّ الوحدة العددية من شأنها أن تصير جزء من الأعداد.

(فإنْ قيل): ما تقول في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[2]، فإنّ ذلك يستلزم أنْ تكون وحدته عددية؟

(قلنا): بين المقامين بَوْنٌ بَيْنٌ، فإنّ قوله سبحانه: ﴿ثالث ثلاثة﴾ فهو داخل في الثلثة وجزء منها، وأمّا قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فهذا الرابع لا يدخل في الثلاثة ولا يكون جزء منها، فلا تدخل وحدته في الوحدة العددية، فَتَبَصّرْ.

والقائلين بالوحدة الحقيقية إنما تعرف من سنخ ذاتها، والحقّ سبحانه لا يَعْرَفُ أبداً، سبحان مَنْ هو هكذا ولا هكذا غيرُهُ، فهو لا يُعْرَفُ إلاّ بالوحدة الحقّة الّتي ليس كمثلها شيئ، يعني: معنى وحدته أنّهُ ليس كمثله شيئ، أحَدِيٌ

---

[1]. المائدة / ٧٤

[2]. المجادلة / ٨

المعنى، رُوِيَ: ﴿أنّ أعرابياً قَامَ يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين؛ أتقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل النّاس عليه، وقالوا: يا أعرابي؛ أمَا ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسّم القلب؟ فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: دَعُوهُ؛ فَإنّ الّذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابي؛ إنّ القول في أنّ اللهَ واحدٌ على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله، ووجهان يثبتان فيه.

فَأمّا اللّذان لا يجوزان عليه: فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ: إنّهُ ثالث ثلاثة.

وقول القائل هو واحد من النّاس، يريد به: النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز، لأنّهُ تَشْبِيهٌ وَجَلّ رَبّنا تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ.

وَأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّهُ عَزّ وَجَلّ أحديّ المعنى، يعني به أنّهُ لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجل﴾[1].

❖وعن أبي هاشم الجعفري ﴿قَالَ: سَئَلْتُ أبَا جَعْفَرَ الثّاني عليه السلام: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ قَالَ: ألمجتَمعُ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الألْسُنِ بِالْوَحْدَانِيّةِ﴾[2].

---

[1]. الخصال ومعاني الأخبار والتوحيد للصدوق وروضة الواعظين للفتال النيسابوري وأعلام الدين للديلمي.

[2]. المحاسن للبرقي ومعاني الأخبار والتوحيد للصدوق..

❖وعَنْهُ: ﴿قَالَ: قُلْتُ لأبي جعْفَرَ الثّاني عليه السلام: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ مَا مَعْنَى الأحَدُ؟ قَالَ: أجمعُ عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيّة، أمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ)[1]، ثُمّ يَقُولُونَ[2]، بَعْدَ ذَلِكَ: لَهُ شَرِيكٌ وَصَاحِبَةٌ؟!﴾[3].

قوله عليه السلام: ﴿بعد ذلك﴾ استفهام على الإنكار، أي: كيف يكون له شريك وصاحبة بعد اجماع العقول على خلافه.

❖وعَنْهُ: ﴿قَالَ: سَئَلْتُ أبَا جَعْفَرَ الثّاني عليه السلام: مَا مَعْنَى الْوَاحد؟ قَالَ: ألّذي اجْتِمَاعُ الألْسُنِ عَلَيْهِ بِالتّوْحِيد، كَمَا قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلّ(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ)[4]﴾[5].

(وَبِالْجُمْلَة): إنّ وحدته سبحانه لا تعرف بوجه من الوجوه، بل تعرف بآيته التي هي الوحدة الحقيقية الّتي بيناها، وهي قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئٌ﴾[6]، ولا تتوهم أنّ الوحدة الحقيقية هي عين ذاته المقدسة، فإنّ ذلك كفر وزندقة، كالوحدة العددية في كونها كفر، وإلاّ لا نسبة بين الوحدة الحقيقية والوحدة العددية، فوحدته سبحانه هي الوحدة الحقّة لا غير.

---

[1]. العنكبوت / ٦٢

[2]. (ثم يقولون، غير موجودة في: خ م)

[3]. الإحتجاج للطبرسي.

[4]. لقمان / ٢٦

[5]. التوحيد للصدوق.

[6]. الشورى / ١٢

قَالَ عليه السلام: ﴿ظَاهِرٌ لا بِتَأوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ﴾

(أقُولُ): ظهور كلّ شيئ غير الحقّ سبحانه لا يكون إلاّ بالمباشرة.

أمّا الأجسام والجسمانيّات فظاهرة.

وأمّا النّفوس والعقول وسائر المجردات، فظهورها إنما يكون بالمباشرة النفسانية والعقلانيّة، لعدم مباينتها لِمظاهرها، بخلاف الحقّ سبحانه فإنّهُ مباين بذاته عن الأشياء، فلا يكون ظهوره لَهَا بالمباشرة، لعدم المناسبة، وظهوره سبحانه عين بطونه، وبطونه عين ظهوره، ظَهَرَ بِمَا بَطَنَ وَبَطَنَ بِمَا ظَهَرَ، فهو الظّاهر والباطن، وهو الظّاهر لكلّ شيئ، فَكَانَ أظهر مِنْ كُلّ شَيْئ، لأنّ (الظاهر في المظاهر أظهر من ظهوره في المظاهر للمظاهر) فافهم.

فإنّ هذا المعنى دقيق جداً.

وإذا أردتَ طريق معرفة ذلك فانظر إلى (زيد القائم) فإنّهُ ظَهَرَ لَكَ بالقيام، والقيام ظهوره، وهو أظهر لك من القيام، بل أظهر للقيام من القيام، فإنك مهما نظرت إلى زيد القائم لم تلتفت أصلاً إلى قيامه، ولا تذكر القيام بوجه من الوجوه، لأنّ الذّات غيّبت الصّفات، فَقِسْ على ذلك ظهور الحق لك بك، فتراه أظهر لك بك منك.

فإذا دَرَيْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ مَعْنَى مَا قِيلَ: (الحقّ ظَاهِرٌ مَا غَابَ قَطّ، وَالخَلْقُ غَيْبٌ لَمْ يَظْهَرْ قَطّ)، والناس في هذه المسألة بعكس الصّواب.

فهو الظاهر الذي لا شيئ أظهر منه، فلا يرى نُورٌ إلاّ نُور الحق، ولا يشاهد ظهورٌ إلاّ ظهوره، ونعم ما قيل:

نَسَمَاتُ هَوَاكَ لَهَا أَرَجُ ... تَحْيَى وَتَعِيشُ بِهَا الْمُهَجُ
وَبِنَشْرِ صِفَاتِكَ يُطْوَى الْهَمْـ ... ـمُ مِنَ الأَرْوَاحِ وَتَنْفَرِجُ[1]
وَبِبَهْجَةِ وَجْهِ جَلالِ جَمَا ... لِ كَمَالِ صِفَاتِكَ أَبْتَهِجُ[2]
عَمِيَتْ عَيْنٌ لِسِوَاكَ رَأَتْ ... مِنْ أَيْنَ لِشِدَّتِهَا فَرَجُ
مَا النَّاسُ سِوَى قَوْمٌ عَرَفُو ... كَ وَغَيْرُهُمُ الْهَمَجُ الْهَمَجُ

ولذلك قال مولنا الحسين عليه السلام: ﴿أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ، مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَرَاكَ وَلا تَزَالَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً﴾[3]، وقال موالينا أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلاّ وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ﴾[4].

❖وروى الصدوق في كتاب التوحيد بإسناده: عن أبي بصير قال: ﴿قُلْتُ لأبي عبدالله عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

---

[1]. في خ م: وبنشر صفاتك تطوى الهمم من الأرواح وتنفرج

[2]. في خ م: وببهجة وجه جلال جمالك صفاتك تبتهج

[3]. إقبال الأعمال لابن طاوس.

[4]. في الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني، لم ينسبه: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه.

قَالَ: نَعَم؛ وَقَدْ رَأَوْهُ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، فَقُلْتُ: مَتَى؟ قَالَ: حِينَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ثُمّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمّ قَالَ: وَإِنّ الْمؤْمِنِينَ لَيَرَوْنَهُ فِي الدّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَسْتَ تَرَاهُ فِي وَقْتِكَ هَذَا؟ قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَفَأُحَدّثُ بِهَذَا عَنْكَ؟ فَقَالَ: لا؛ فَإِنّكَ إِذَا حَدّثْتَ بِهِ أَنْكَرَهُ مُنْكِرٌ جَاهِلٌ بِمَعْنَى مَا تَقُولُ، ثُمّ قَدْ رَأَوْهُ أَنّ هَذَا تَشْبِيهٌ كُفْرٌ، وَلَيْسَتِ الرّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ كَالرّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ تَعَالَى اللهُ عَمّا يَصِفُهُ الْمُشَبّهُونَ وَالْمُلْحِدُونَ﴾[1]، انتهى.

ومشاهدة ظهور الحق، ورؤيته في مظاهر الإمكان والأكوان، إنما تكون بحقيقة الإيمان، لا بمشاهدة العيان.

وسيأتي لذلك مزيد بيان، ولا قوّة إلاّ بالله الرّحمن.

---

[1]. التوحيد للصدوق.

قَالَ عليه السلام: ﴿تَجَلّى لِعِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْهُ﴾

كما قال عليه السلام: ﴿إِنَّ اللهَ تَجَلّى لِعِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْهُ، وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَجَلّى لَهُمْ﴾، يعني: تجلّى لعباده بفعله، مِنْ غير أنْ رأوه بذاته، وأراهم نفسه بآياته، مِنْ غير أنْ يتجلّى لهم بذاته، فذاته من حيث ذاته لا يرى بوجه من الوجوه.

خِلافاً للأشاعرة حيث قالوا: إنّ الله يُرَى يوم القيامة.

(وأمّا الكرامية والمشبّهون فهم يقولون): إنّهُ يُرَى، لأنّهم يقولون: بأنّهُ سبحانه في المكان والجهة، وَمِنْ هَذَا جَوّزُوا رؤيتَهُ، ولو قالوا بانتفاء المكان والجهة لما جوّزوا رؤيته.

(وبالجملة): إنّ الأشاعرة جوّزوا رؤيته مع أنّهم لم يقولوا أنّهُ سبحانه في المكان والجهة وهو منزّه عن الكيفية، واعتمدوا على جواز الرّؤية على الأدلّة السمعية: (منها): قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[1].

قالوا: وهذا يقتضي كون الرؤية ممكنة، لأنّهُ لو كانت ممتنعة لَمَا سألَهَا موسى عليه السلام عن الله، لأنّ سؤال الممتنع يكون عَبَثاً وَجَهْلاً، وهو على الأنبياء غير جائز.

(ومنها): قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[2].

---

[1]. الأعراف / ١٤٤

[2]. الاعراف / ١٤٤

(وجه التمسك)؛ أنّهُ سبحانه علّق رؤيته على استقرار الجبل، واستقرار الجبل ممكن، والمعلّق على الممكن ممكن، فرؤية الله ممكنة.

(ومنها): قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1].

والنظر المقدور بـ: (الى) يفيد الرّؤية لأنهُ لا يكون بمعنى الإنتظار، الّذي هو أمرٌ يمكن حصوله، لأنّ الآية في بيان سياق النّعم، والإنتظار ينافي ذلك، لأنهُ يفيد الغمّ، ولِهَذَا يُقَالُ: (الإنتظار مَوْتٌ أحْمَرٌ).

(وأجيب عن الأوّل): أنّا لا نسلّم أنّ موسى عليه السلام سأل الرّؤية من وجوه:

(منها): لم لا يجوز أنْ يُقال المراد من قوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾،أنْ يُظْهِرَ اللهُ لَهُ أمْراً يفيده العلم الضروري بوجوده، فإنّ إطلاق لفظ الرّؤية على العلم الجلي بطريق المجاز جائز مشهور.

(ومنها): لم لا يجوز أنْ يقال: أنّهُ عليه السلام مَا سَئَلَ الرّؤيَةَ لنفسه بل لغيره، لأنّ قومه كانوا يطلبون منه أنْ يريهم ربّه، كما حكى الله عزّ وجل عنهم في انهم[2] قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[3]، ثُمّ إنّ موسى أضاف ذلك السؤال إلى نفسه حتّى يكون أولى بالإجابة، فلمّا مَنَعَهُ الله من ذلك -مع جلالة قدره وعلو شأنه- كان منع غيره منه أولى.

---

[1]. القيامة / ٢٣ - ٢٤

[2]. (كلهم، خ م).

[3]. البقرة / ٥٦

(ومنها): لم لا يجوز أنْ يقال: أنّ موسى عليه السلام كان عالماً بالدّلائل العقليّة على امتناع رؤيته تعالى لكن سئل الرّؤية من الله تعالى لتصير الدّلائل السّمعيّة على امتناعها مضافاً إلى العقليّة ويحصل لذلك الطّمأنينة وقوّة اليقين لأنّ كثرة الأدلّة موجبة لذلك.

فأجاب الأشاعرة عن الأوّل: بأنّهُ عليه السلام كان تكلّم مع الله تعالى في ذلك الوقت بلا واسطة، وفي مثل ذلك الوقت يبعد أنْ يقول: ياإلهي أظهر لي دليلاً أعرف به وجودك.

وعن الثاني: بأنّ الذين كانوا يطلبون الرؤية إمّا أنْ كانوا من المؤمنين أو من الكافرين، فإنْ كانوا من المؤمنين فكانوا لا محالة يقبلون قول موسى عليه السلام في أنّ هذا السؤال غير جائز، وحينئذ لا يكون موسى عليه السلام محتاجاً إلى إضافة هذا السؤال إلى نفسه، وإنْ كانوا من الكفّار فهم لا يصدّقون قوله في انه تعالى منع العباد من سؤال الرّؤية، وعلى هذا التقدير إضافة السؤال إلى نفسه عبث.

وعن الثالث: بأنّه باطلٌ، لأنّهُ إمّا أنْ يُقال: كانَ شاكّاً في امتناع الرّؤية والجواز، أو يقال: انه كان قاطعاً بامتناعها، وإنْ كان الأوّل لزم كونه جاهلاً بالله تعالى وهذا لا يليق بالأنبياء، وإنْ كان الثاني كان قاطعاً بامتناع الرؤية، وحينئذ كان الأدب: زدني يا ربّ دليلاً على امتناع الرؤية، وأمّا سؤال الرّؤية مع العلم بامتناعها فغير لائق بالعقلاء.

(وأقول): مزخرفات الأشاعرة في هذه الأجوبة لا يحتاج إلى رَدّ.

فإنّ الجواب عن الأوّل، فواضح جداً لا يحتاج إلى بيان.

وأمّا الجواب عن الثّاني: فيقال إنّ قوم موسى كلّهم كانوا مؤمنين، وكانوا يعلمون بأنّهُ سبحانه لا يرى، لكن لأجل الإطمئنان سئلوا موسى أنْ يسأل ربّه ويضيف السؤال إلى نفسه لقرب منزلته، ولا يلزم من ذلك عبثاً كما في قصّة إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾[1]، فقال الله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾، فقال إبراهيم: ﴿بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، مع أنّ إبراهيم عليه السلام كان عالماً بأنّهُ سبحانه هو الّذي يحيي الموتى وسأله أنْ يريه فما انتقص من رتبته شيئ.

وعن الثالث: بأنّهُ عليه السلام كان عالماً بامتناع الرؤية، لكن أراد أنْ يحصل لذلك من الأدلّة السّمعيّة فسأل بهذه الصورة.

وإذا نَظَرْتَ وَجَدْتَ أنْ أهل النظر والعلم يطلبون على مطلوب واحد أدلّة كثيرة عقلية وسمعية، ولِهَذَا ذَكَرَ اللهُ تعالى في القرآن من ذكر الدلائل الدالة على التوحيد ما شاء الله، مع أنّه لا يحتاج إلى ذكر الأدلّة السّمعيّة في بيان التوحيد، لأن الخلق مفطورون على التّوحيد، فافهم.

(وأجيب عن الدّليل الثاني): مِنْ أنّ استقرار الجبل ممكن وتعليق الممكن على الممكن ممكن، بأنّا لا نسلّم أنّهُ علّق الرؤية على أمر ممكن، بل علّقها على المحال، والمعلّق على المحال محال.

(وبيان ذلك)؛ أنّهُ سبحانه علّقها استقرار الجبل حال كونه متحركاً، واستقراره حال كونه متحركاً محال، وإنما قلنا: إنّهُ علّقها على استقرار حال

---

[1]. البقرة / ٢٦١

كونه متحرّكاً، لأنّ صيغة: (ان) إذا دخلت على الماضي صارت بمعنى المستقبل فقوله: ﴿إنِ اسْتَقَرّ مَكَانَهُ﴾ أي: لو صار مستقراً على الزّمان المستقبل سوف تراني، ثمّ إنّهُ لا يخلوا؛ إمّا أنْ يقال: إنّ الجبل في الزّمان المستقبل صاراً مستقراً، أو يُقال: إنّهُ ما صار مستقراً فيه، والأوّل محالٌ، لأنّ الجبل لو صار مستقراً في الزّمان المستقبل يوجب حصول الرّؤية بوجوب حصول المشروط عند حصول الشرط، لكن الرّؤية ما حصلت بالإجماع، فيلزم منه أنّ الجبل لم يستقرّ في الزّمان المستقبل، وإذا لم يكن مستقراً في الزّمان المستقبل كان متحركاً، إذْ لا واسطة بين كون الشيئ متحرّكاً أو ساكناً، فإذن الجبل حال ما علّق الله الرّؤية على استقراره كان متحرّكاً، ومن المعلوم إنّ استقرار المتحرك حال كونه متحرّكاً محالٌ.

(فَظَهَرَ)؛ إنّ الرّؤية متعلّقة على أمرٍ محالٍ، والمتعلّق عى المحال محالٌ.

والقول بأنّ السّكون جائز باعتبار جسمية الجبل، لا يجدي نفعاً إذ التعليق ليس باعتبار الجسمية، ولِهَذَا ان حرف الشرط يجعل الماضي مضارعا فليس المعلّق عليه مطلق الاستقرار، وإلاّ لحصلت الرّؤية لحصول مطلق الإستقرار بعد التجلّي، فتبصر.

(وأجاب عن الدّليل الثّالث) أصحابُنَا، كَمَا ذكره ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلي ما لفظه في المتن والحاشية والشرح قال: ((قوله: ومنع كون النظر المقرون بـ: (إلى) يفيد الرؤية وسنده: (نظرت إلى الهلال فلم أره) أو يكون في الكلام إضمار تقديره: ثواب ربّها، أو إنّ (إلى) اسم واحد الآلاء، وهي النّعَمُ، قال إشارة إلى جواب الثالث من أدلتهم وأجاب بوجوه ثلثة:

(الأوّل): منع كون النظر المقرون بـ: (إلى) مستلزم للرؤية، وله نظائر في اللّغة جاء مقروناً بها ولم يفدها، منها قول الشاعر:

وُجُوهٌ يَوْمَ بَدْرٍ نَاظِرَاتٌ إلى الرَّحْمَنِ تَأْتِي بِالْفَلاحِ

مع عدم الرّؤية هناك، وقولهم: إنها في سياق بيان النّعم فلا تكون بمعنى الإنتظار، قلنا: نمنع ذلك لأنّ الحال كان قبل استقرار أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار، فلا ينافي الإنتظار، قولهم: إنّ الإنتظار يوجب الغمّ، قلنا: ذلك انتظار ما لا يتقين وصوله، وأمّا ما تيقن فليس كذلك، بل هو موجب للسّرور والفرح، ولهذا يقال: المأمول خير من المأكول.

(الثّاني): إنّ الكلام لا يجوز حمله على الحقيقة لامتناع إجرائه عليها بطريق العقل، فيحمل على المجاز توفيقاً، فلابُدّ مِنْ تقدير إضمارٍ ليتمّ الكلام ويصحّ إجرائه.

(إنْ قلتَ): إنّ الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلاّ بدليل.

(قُلْتُ): الدليل حاصل وهو جزم العقل بامتناع إجرائه على الظّاهر.

(الثالث): إنّ (إلى) هنا ليست حرفاً من حروف الجرّ، بل هي إسم، وهو أحد (الآلاء)، إذِ الآلاء هي النعم، واحدها: (إلى)، وإذا كانت اسماً لم يحتج الكلام إلى إضمار، ولا يكون دالاً على حصول الرؤية، إذ المرئي هنا هو النعمة، إذ هي متعلّقة الرّؤية على ذلك التقدير، وهذا الجواب منسوب إلى السّيّد المرتضى رحمه الله، واحتج عليه بقول الأزهري:

أبْيَضُ لا يَرْهَبُ الهِزَالَ وَلا يَقْطَعُ رَحِماً وَلا يَخُونُ إلَى

أي: لا يخون نِعْمَةً))، انتهى.

واحتجّ مَنْ قَالَ: بامتناع الرؤية، بأمور:

(منها): قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[1].

ووجه التّمسّك به من وجهين:

(أحدهما)؛ إنّ ما قبل هذه الآية مذكور في معرض المدح، فكذلك ما بعدها، فوجب أنْ تكون هذه الآية أيضاً مَدْحَاً، لأنّ إلقاء ما ليس بمدح فيما بين المدحين ركيك، كما يقال: (فلان أجلّ النّاس وآكل الخبز واستاد البشر)، وإذا كان نفي الإدراك مدحاً كان ثبوته نقصاً، لامتناع أنْ يكونَ كلّ واحد من نقيضي صفة واحدة مدحاً، والنقض على الله تعالى محالٌ.

(الثّاني)؛ إنّ الإدراك المضاف إلى البصر هو الرّؤية والابصار، بدليل أنّهُ لا يصحّ إثبات أحدهما مع نفي الآخر، لأنّهُ لا يصحّ أنْ يُقال: رأيتُهُ وما أدركتُهُ بعيني، ولا أنْ يقال: أدركته بعيني وما رأيته، وهذا يقتضي انّ الإدراك بالعين والرّؤية شيئ واحد، وإذا ثبت هذا فنقول: إنّهُ تعالى عنى بقوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[2] أنْ لا يدركه واحد من الأبصار، وذلك يقتضي أنْ لا يدركه شيئٌ من الأبصار في شيئ من الأوقات أصلاً، لأنّ قولنا: ﴿تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ بالإطلاق العام، يناقض قولنا: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، بدليل أنّهُ يستعمل كُلّ واحد منهما في كذب الآخر، وإذا كان كذلك وثبت صدق قولنا: لا تدركه

---

[1]. الأنعام / ١٠٤

[2]. الأنعام / ١٠٤

شيئ من الأبصار في شيئ من الأوقات، لزم كذب قولنا: تدركه الأبصار، لأنّ صدق أحد النقيضين موجب لكذب الآخر، وإذا ثَبَتَ كذب قولنا: تدركه الأبصار، ثبت كذب قولنا: تدركه بصر واحد أو بصران،لعدم القائل بالفصل.

(ومنها): أنّهُ تعالى لو صحّ رؤيته لرأيناه الآن، والتّالي باطل، والمقدم مثله، بيان الشرطية: هو أنّ الأشياء الّتي يجب حصول الأبصار عند حصولها في الشاهد ثمانية: (سلامة الحاسة وكون الشيئ بحيث جائز الرؤية وان لا يكون في غاية القرب ولا في غاية البعد وان لا يكون مقابلا للرائي او في حكم المقابل وان لا يكون في غاية الصغر ولا يكون في غاية اللطافة وان لا يكون بين الرائي والمرئي حجاب)، وعند حصول هذه الامور الثمانية يجب حصول الأبصار، إذ لو لم يجب لجاز أنْ يكونَ بحضرتنا جبال شاهقة وشموس مضيئة وأصوات هائلة، ونحن لا نراها ولا نسمعها، وذلك يقتضي دخول الإنسان في الجهالات.

(واذا ثبت هذا فنقول): أمّا الشّرائط السّتة الأخيرة فلا يمكن اعتبارها إلاّ في رؤية الأجسام، والله تعالى ليسَ بجسم، فلا يمكن اعتبارها في رؤيته تعالى.

(فعلى هذا)؛ إنْ صَحّتْ رؤيته وَجَبَ أنْ لا يعتبر في حصول رؤيته إلاّ أمران؛ سلامة الحاسة وكونه بحيث يصح أنْ يُرَى، وهذان الأمران حاصلان الآن، فوجب أنْ نراه الآن.

(ومنها): أنّهُ لو كان مرئيّاً لكان مقابلاً أو في حكم المقابل، والتّالي باطل والمقدّم مثله، وإنا إذا ادّعينا أحد الأمرين حينئذ وهو أنْ يكونَ مقابلاً أو في حكم المقابل احتراز عن صور ثلاثة:

(الأوّل): إنا نرى الأعراض، ولا يمكن أنْ يقال: إنها مقابلة للجسم، إلاّ انها حالة في الأجسام المقابلة للرائي فكانت في حكم المقابل.

(والثاني): إنا نرى وجوهنا في المرآة ويستحيل أنْ يكونَ الوجه مقابلاً لنفسه إلاّ انّ الشعاع يخرج من العين إلى المرآة، ثم ينعكس من المرآة إلى الوجه، فبهذا الطريق يكون الوجه مقابلاً لنفسه، إلاّ أنّ الشعاع يخرج من العين إلى المرآة، ثمّ ينعكس من المرآة إلى الوجه.

فبهذا الطريق يكون الوجه جارياً مجرى المقابل لنفسه.

(والثّالث): انّ الشّيئ يوضع في الرّطوبة، فإنّهُ وإنْ لم يكن مقابلة العين إلاّ أنّ شعاع العين ينعطف عليه ويصير مرئيّاً فهو أيضاً في حكم المقابل.

(إذا عرفت هذا فنقول): الدليل على صدق هذه الشرطية هو: أنّ الشّيئ كلّما لم يكن مقابلاً أو في حكم المقابل امتنع رؤيته، والعلم به ضروري، فينعكس بعكس النقيض، إلى قولنا: (كلّما كان مرئيّاً وجب أنْ يكونَ مقابلاً أو في حكم المقابل)، وأمّا انتفاء التالي، فلأنّ ذلك انما يصحّ في الشيئ الذي يكون حاصلاً في المكان، والله تعالى منزّه عن المكان، فاستحال أنْ يكونَ مقابلاً لشيئ أو في حكم ما يكون مقابلاً له، هذا ما ذكره العلماء في هذا الباب، وتطابقت عليه عبارات الأصحاب، ولنا في استحالة الرؤية مسلك آخر اختصنا الله بكرامته، من بركات موالينا صلوات الله عليهم أجمعين، لم يعثر عليه أحد من العلماء، ولم يتفطّن به أحد من الفضلاء، وهبنا الله سبحانه بفضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو:

انا قد اثبتنا في سائر رسائلنا أنّ الإدراك لا يصحّ لمدرِكٍ إلاّ ويكون المدرَكُ (بفتح الراء المهملة) في رتبة المدرِك، وإذا كان كذلك صحّ الإدراك، والبرهان على ذلك: أنّ بصرك لا يستطيع أنْ يبصر إلاّ الأجسام، ولا يمكن أنْ تبصر ببصرك الأرواح والنّفوس والعقول وما يضاهيها من المجرّدات، لأنها ليست بأجسام ولا جسمانيات، فَلَمّا رأينا ذلك كذلك علمنا وجوب اتحاد صقع المدرِك والمدرَك، وإذا وجب اتحاد صقع المدرِك والمدرَك في الإدراك وجب استحالة رؤيته سبحانه، لأنّهُ ليس في صقع الإمكان، والذي ليس في صقع الإمكان لا يدركه الممكن، فإذن استحال رؤيته وإدراكه، قال عليٌّ عليه السلام: ﴿إنّمَا تَحُدُّ الأدَوَاتُ أنْفُسَهَا وَتُشيرُ الآلاتُ إلَى نَظَائِرِهَا﴾[1].

وأمّا الآيات الدالة على رؤية الرّبّ وتجلّي الرّبّ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ❖ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾[3]، فالمراد بقوله: ﴿إلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني: إلى عليّ عليه السلام، لأنّ الرّبّ هو الّذي يُربّي النّاس، وهو من التربية، يقال: فلان ربّانيّ، وفي الدّعاء: ﴿إغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبّيَانِي صَغِيراً﴾[4]، وقال تعالى حكاية عن يوسف الصدّيق -على نبينا وآله وعليه السلام-: ﴿وَقَالَ لِلّذِي ظَنّ أنّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ

---

[1]. الاحتجاج للطبرسي.

[2]. القيامة / ٢٣ - ٢٤

[3]. الاعراف / ١٤٤

[4]. الكافي للكليني.

رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[١]، فالمراد مِنَ الرَّبِّ -هنا-: مَلِكُ مِصْرَ، فالرَّبُّ هو الْمُرَبِّي، فعليّ عليه السلام هو المرَبِّي للناس في التّشريع والتّكوين، لأنهُ هو الوليّ المطلق وآية الحقّ، كما قال عليه السلام: ﴿وأيّ آيَةٍ أرَاهَا اللهُ النَّاسَ فِي الآفَاقِ وَالأنْفُسِ أكْبَرُ مِنّي؟﴾[٢].

(وبالجملة): إنّ شأن الوليّ المطلق تربية الخلق فلذلك سمّي رَبّاً، فالمراد من الرّبّ -هنا- ليس ذات الحقّ، فلا نحتاج إلى تأويل وإضمار في الآية.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[٣]:

❖ففي البصائر ومستطرفات السرائر عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: ﴿قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِنَا خَلْفَ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهُمْ: الْكَرُوبِيِينَ، لَوْ قُسِّمَ نُورُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَكَفَاهُمْ وَلَمّا سَئَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا سَئَلَ أَمَرَ اللهُ إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَتَجَلّى لِلْجَبَلِ بِقَدَرِ سَمِّ الأبْرَةِ فَجَعَلَهُ دَكّاً وَخَرّ مُوسَى صَعِقاً﴾[٤].

(أقُولُ): لَمّا تَجَلّى ذلك الرّجل من شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله للجبل انْدَكّ الجبلُ وَصَارَ حِصَصاً؛ فثلث منه هوى إلى الأرض وهو يهوي إلى الثرى حتى

---

١. يوسف / ٤٣

٢.

٣. الأعراف / ١٤٤

٤. في بصائر الدرجات للصفار المطبوع الآن: (إنّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى لَمّا سئل ربّه ما سأل أمَرَ واحداً من الكروبيين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً)، وفي مستطرفات السرائر لابن ادريس الحلي مثله.

تقوم الساعة ومنه غذاء الشياطين، وثلث منه صار ذرّاً وانبث في العالم ومنه غذاء الحيوانات التي تربت في الجو، وثلث منه صار ذرّاً وانبث في البحار ومنه غذاء الحيتان، فافهم.

(ثمّ اعلم): إنّ الرّوايات في استحالة الرؤية عن أهل العصمة عليهم السلام كثيرة جداً، أحبُّ ذِكْرَ بَعْضِهَا تَيَمّناً وَتَبَرّكاً:

❖منها ما ورد: عن محمد بن عبيدة قال: ﴿كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية، وما ترويه العامة والخاصة؟ وسألته أنْ يشرح لي ذلك؟ فكتب عليه السلام بخطه: اتفق الجميع لا تمانع بينهم انّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أنْ يرى الله بالعين وقعت المعرفة ضرورة، ثم لم تخل تلك المعرفة مِنْ أنْ تكون إيماناً أو ليست بإيمان؛ فإنْ كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيمانا، فالمعرفة التي في دار الدّنيا من جهة الإكتساب ليست بإيمان، لأنّها ضدّه فلا يكون في الدّنيا أحَدٌ مُؤمناً، لأنهم لم يروا الله عز وجل، وإنْ لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيمانا لم تخل هذه المعرفة من جهة الإكتساب أنْ تزول، أو لا تزول في المعاد، وهذا دليل على أنّ الله عزّ وجلّ لا يرى بالعين، إذ العين يؤدي إلى ما وصفناه﴾[1].

❖وعن أحمد بن اسحق: ﴿قال: كتبتُ إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس؟ فكتب عليه السلام: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرّائي والمرئي هواء لم ينفده البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرّائي والمرئي

---

[1]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

لم تصحّ الرؤية، وكان في ذلك الإشتباه، لأنّ الرّائي متى ساوى المرئي في السّبب الموجب بينهما في الرّؤية وجب الإشتباه، وكان ذلك التشبيه، لأنّ الأسباب لابُدّ مِنِ اتّصالِهَا بالْمسببات﴾[1].

❖وعن يعقوب بن اسحق: ﴿قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع عنه عليه السلام: يا أبا يوسف؛ جَلّ سيّدي ومولاي والْمنعم عليّ وعلى آبائي أنْ يُرَى، قال: وسئلته: هل رأى رسول الله؟ فوقّع: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ﴾[2].

❖وعن صفوان بن يحيى: ﴿قال: سئلني أبو قرّة المحدث أنْ أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستاذنته فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّا روينا: أن الله قسّم الرّؤية والكلام بين النّبيين؛ فَقَسّمَ الكلام لموسى ولمحمد صلى الله عليه وآله الرّؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام: فَمَنِ المبلغ عن الله إلى الثّقلين من الجن والإنس (لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)[3]، (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمَاً)[4] و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئٌ)[5]؟ أليس محمّد صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى، قال: كيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم انّهُ جاء من عند الله وانّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)

---

[1]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[3]. الأنعام / ١٠٤

[4]. طه / ١١١

[5]. الشورى / ١١

(وَلا يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً) و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئ)، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطتُ به علماً على صورة البشر؟ أما تستحيون؟ ما قدرت الزّنادقة أنْ ترميه بهذا أنْ يكونَ يأتي عن الله ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر، قال ابو قرة: فإنّهُ يقول: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)[1]، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى، حيث قال (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)[2]، يقول ما كذب الفؤاد محمّد صلى الله عليه وآله ما رأى عيناه، ثمّ أخبر بما رآه، فقال: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)[3]، فآيات الله غير الله، وقد قال: (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)[4]، فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة، فقال أبو قرّة: فنكذّب بالرّوايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّب بها، وما أجمع المسلمون عليه: أنْ لا يحيط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيئ﴾[5].

❖وعن عاصم بن حميد قال: ﴿ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية؟ فقال: الشّمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، وهو جزء من سبعين جزء من نور العرش، وهو جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، وهو

---

[1]. النجم / ١٤

[2]. النجم / ١٢

[3]. النجم / ١٩

[4]. طه / ١١٠

[5]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق وغيرها.

جزء من سبعين جزء من نور السرّ، فإنْ كانوا صادقين فليملؤا أعينهم من الشمس، ليس دونها حجاب[1]﴾[2].

(واعلم): يا أخي؛ إذا نظرت إلى الروايات الواردة في هذا الباب رأيتَ كلّ واحدة منها دليلاً مستقلاً في استحالة الرّؤية، ولو أردنا أنْ نشرح ما ذكرنا من الرّوايات لطال بنا الكلام في هذا المقام.

(وبالجملة): إنّ استحالة الرّؤية مما لا يخفى على كلّ مَنْ له قلب أو القى السّمع وهو شهيد.

(وإذا عرفت هذا فاعلم): إنّ العارفين يرونه بحقيقة الإيمان، لا أنّهم بحقيقة الإيمان يحيطون به ويرونه، بل إنما يرونه بظهوره وتجلياته وآثاره التي ظهر للخلق بالخلق، فهم إنما يعرفونه بها لا بذاته، فلا يكشف لأحد كنه ذاته الأحديّة أبَداً، وإنْ بلغوا ما بلغوا: ﴿رَجَعَ مِنَ الْوَصْفِ إلى الْوَصْفِ وَدَامَ الملكُ في الملْكِ وَانْتَهَى المخْلُوقُ إلى مِثْلِهِ وَأَلْجَأَهُ الطَّلَبُ إلَى شَكْلِه﴾[3].

فالعارفون يرونه بما ظهر لهم بهم، ولذلك قال عليٌّ عليه السلام: ﴿لَمْ أَعْبُدْ رَبّاً لَمْ أَرَهُ﴾[4].

---

[1]. في بعض نسخ الكافي للكليني والتوحيد للصدوق: سحاب بدل حجاب.

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[3]. ملحق نهج البلاغة لاحمد بن ناقة الكوفي خطبة الدرة اليتيمة ص ٣٨

[4]. في الكافي للكليني والتوحيد للصدوق: ما كنت أعبد ربّاً لم أره، وفي الاختصاص للمفيد وروضة الواعظين للنيسابوري: لم أكنْ بالّذي أعبد ربّاً لم أره، وفي

❖وعن عبد الله بن سنان عن أبيه: ﴿قال: حضرتُ أبا جعفر عليه السلام إذْ دخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر؛ أيَّ شيئ تعبد؟ قال: الله، قال: رأيته؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان، لا يُعْرَفُ بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالنّاس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه ذلك، الله لا إله إلاّ هو، فخرج الرجل وهو يقول: (اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه)﴾[2].

❖وعن أبي الحسن الموصلي: ﴿عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هل رأيتَ ربّك حين عبدته؟ فقال عليه السلام: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان﴾[3]، انتهى.

وقوله عليه السلام: ﴿لم تره العيون﴾ و﴿لا تدركه العيون﴾ أعمّ من عيون الظّاهرة والباطنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَار﴾[4]، فإنّ الجمع المحلى بالألف واللام يفيد العموم الاستغراقي كما اثبتناه في محلّه لصحة الإستثناء، ولذلك ورد في تفسير هذه الآية ما يطابق ما قلنا.

---

[1]. الانعام / ١٢٥

[2]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[3]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

❖والمحاسن للبرقي وفيه: لم تره العيون في مشاهدة الأبصار غير أن الإيمان بالغيب بين عقد القلوب.

[4]. الانعام / ١٠٤

❖عن أبي هاشم الجعفري: ﴿قال: قلتُ لأبي جعفر بن الرضا عليهما السلام: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار؟ فقال عليه السلام: أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند والبلدان الّتي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك،فأوهام القلوب لاتدركه فكيف أبصار العيون؟﴾[1].

❖وعنه: ﴿عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرء قوله عزّ وجلّ ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار﴾؟[2]، قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: وما هي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لاتدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام﴾[3].

(وبالجملة): إنّ أرباب العرفان وأهل الإيمان يرونه بآثاره الظاهرة لهم في مظاهر الأعيان ولا قوّة إلاّ بالله الرّحمن.

---

[1]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

[2]. الانعام / ١٠٤

[3]. الكافي للكليني والتوحيد للصدوق.

قَالَ عليه السلام: ﴿بَاطِنٌ لا بِمُزَايَلَةٍ﴾

(المزايلة): المفارقة، والمعنى: أنّهُ سبحانه باطنٌ لا بمفارقة الظّاهر، فيكون بطونه غير ظهوره، لتختلف فيه الجهات والحيثيات، فهو باطن بعين ما هو ظاهر، وظاهر بعين ما هو باطن، فهو الظّاهر والباطن،ظهر فبطن وبطن فظهر.

ويحتمل أنْ يكونَ المراد بقوله: ﴿لا بمزايلة﴾.

لا بمزايلة عن الخلق، فإنّهُ لو فارق خلقه وَصَحّ الإفتراق عليه لزم حدوثه، لأنّ الإفتراق من صفة الحدوث، فلا إفتراق بينه وبين خلقه، لا بمعنى ما ذهب إليه أهل التّصوف والقائلين بوحدة الوجود من انّهُ سبحانه باطن الأشياء، فالأشياء هم ظاهره وهو باطنها، فإنّ ذلك زندقة وإلْحَادٌ، لما عرفت ذلك مما أسلفنا في مطاوي كلماتنا فراجع تفهم.

(فالمعنى الصحيح): إنّهُ سبحانه لا يجتمع مع الخلق حتّى نقول إنّهُ يفترق حتّى يكون حادثاً لأنّ الإجتماع والإفتراق من الأكوان الأربعة التي اتفق العقلاء على حدوثها، فالمراد ببطونه انّهُ لا يُعْرَفُ أبداً، لأنّهُ باطن، والباطن هو الذي يكون محجوباً عن الأبصار بالحجب والأستار.

ولَمّا كان سبحانه محتجباً عن جميع خلقه لم يُدْرِكْهُ[1] خَلْقُهُ، فكان باطناً لا يظهر، فَمِنْ ثَمّ اسْتَتَرَ واحتجب، ولكن استتاره واحتجابه من غير ستر وحجاب غير خلقه، لأنهُ لا يظهر بذاته لأحد من خلقه، وإنما ظهر لخلقه

---

[1]. في خ م: يدركوه.

بخلقه، فلا يعرفه أحد من خلقه إلاّ بظهوره، والعالم كلّه ظهوره، فهو أظهر مِنْ كُلّ شيئ لكلّ شيئ، لأنك كلّما نظرتَ لا ترى إلاّ ظهوره، فليس في العالم إلاّ الله وأسمائه وصفاته، وَسُئِلَ العالم عن الإسم ما هو؟ ﴿قال: صفة لموصوف﴾[1]، فالإسم والصّفة شيئ واحد، وكلّها ظهوره، فَمِنْ فَرْطِ الظّهورِ خَفِيَ وبَطَنَ، ونِعْمَ مَا قِيلَ:

خَفِيٌّ لإفْرَاطِ الظّهُورِ تَعَرّضَتْ ... لإدْرَاكِهِ أبْصَارُ قَوْمٍ أخَافِشِ

وَحَظّ الْعُيُونِ الزّرْقِ مِنْ نُورِوَجْهِه ... لِشِدّتِهِ حَظّ الْعُيُونِ الْعَوَامِشِ

لَقَدْ ظَهَرْتَ فَلا تَخْفَى عَلَى أحَدٍ ... إلاّ عَلَى أكْمَهٍ لا يَعْرِفُ الْقَمَرَا

قَالَ أميرُ المؤْمنينَ وَسَيّدُ الْمُوَحّدِينَ عليه السلام: ﴿ظَاهِرٌ فِي غَيْبٍ، وَغَائِبٌ فِي ظُهُورٍ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿لاَ تُجنّهُ اَلْبُطُونُ عَنِ اَلظُّهُورِ، وَلاَ يَقْطَعُهُ اَلظُّهُورُ عَنِ اَلْبُطُونِ، قَرُبَ فَنَأى، وَعَلاَ فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ألتّوحِيدُ ظَاهِرُهُ فِي بَاطنه، وَبَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِه، ظَاهِرُهُ مَوْصُوفٌ لا يُرَى، وَبَاطِنُهُ مَوْجُودٌ لا يَخْفَى، يُطْلَبُ بِكُلّ مَكَانٍ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَاضِرٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ، وَغَائِبٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ﴾[4].

---

[1]. في الكافي للكليني ومعاني الأخبار والعيون للصدوق: عن محمد بن سنان قال: سألته عن الإسم ما هو؟ قال: صفة لِموصوف.

[2]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني.

[3]. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد والكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني.

[4]. معاني الأخبار للصدوق

وذكر الملا محسن في الكلمات المكنونة نقلا عن بعض العلماء ما لفظه:

((لا تتعجب من اختفاء شيئ بسبب ظهوره، فإنّ الأشياء إنما تستبان بأضدادها، وما لا ضدّ له عسر إدراكه[١]، فلو اختلفت الأشياء، فدلّ بعضها على الله دون بعض أدركت التفرقة[٢]، ولما اشتركت في الدّلالة على نسق واحد أشكل الأمر، ومثاله: نور الشمس المشرق على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض، يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروبَ لَهَا، لكنّا نظنّ أن لا هيئة في الأجسام إلاّ ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما[٣]، فإنا لا نشاهد في الأسود إلاّ السواد، وفي الأبيض إلاّ البياض[٤]، فأمّا الضّوء[٥] فلا ندركه وحده، لكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركت التفرقة بين الحالتين، فعلمنا أنّ الأجسام قد استضاءت بضوء واتّصفت بصفة وفارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النّور بعدمه، وما كنّا نطّلع عليه لولا عدمه إلاّ بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة، غير مختلفة في الظلام والنور، فهذا مع أنّ النّور أظهر المحسوسات، إذ به يدرك ساير المحسوسات، فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره، انظر كيف تصور استبهام

---

١. في الكلمات المكنونة: بأضدادها، وما عمّ وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه.

٢. أدركت التفرقة على قرب، كلمات مكنونة

٣. وغيرهما، غير موجودة في الكلمات المكنونة.

٤. فإنّا لا نشاهد في الأسود إلاّ السّواد، وفي الأبيض إلاّ البياض، غير موجودة في الكلمات المكنونة.

٥. فأمّا الضوء، غير موجودة في خ م.

أمره بسبب ظهوره، لولا طريان ضده، فإذن الحقّ سبحانه هو أظهر الأمور[١]، وبه ظهرت الأشياء، ولو كان له عدم أو غَيبة أو تغيّر لانهدمت السماوات والأرض، وبطل الملك والملكوت، ولأدركت التفرقة بين الحالتين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامّة في الأشياء، على نسق واحد، ووجوده[٢] دائم في كل الأحوال، يستحيل خلافه، فلا جرم أورث شدّة الظهور خفاء))[٣]، انتهى.

(أقُولُ): هذا كلام قشريّ في أنّ الأشياء تعرف بأضدادها، ولولا وجود الأضداد لعسر لنا معرفة الشيئ، لأنّ أرباب الكشف والعرفان -الذين عرفوا الله بحقيقة الإيمان- إنّما يعرفون الشّيئ بالشيئ لا بغيره.

فافهم، فإنّ ذلك دقيق جداً.

(وبالجملة): انّهُ سبحانه باطنٌ، لا بمعنى انّهُ مفترق، فهو ليس مع الخلق، ولا يجتمع معهم، ولا فيهم، حتّى نقول انّهُ يفترق، أو أنهُ لا يفترق عنهم، لأنّ الإفتراق وعدم الإفتراق من صفات الخلق، وليس بينه وبين خلقه وَصْلٌ، ولا فَصْلٌ، ولا افتراق، ولا اجتماع، ولا.. ولا.. ولا..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، فبطونه لا بمزايلة عن الظاهر، فهو باطن بعين ما هو ظاهر، وظاهر بعين ما هو باطن، فافهم راشداً.

---

[١]. الأمور به، كذا في الكلمات المكنونة.

[٢]. ووجود، خ م.

[٣]. الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني قائلا: قال بعض العلماء:..الخ، وفي بحار الأنوار للمجلسي قائلا: قال بعض المنسوبين إلى العلم:...الخ.

قَالَ عليه السلام: ﴿مُبَايِنٌ لا بِمَسَافَةٍ﴾

(يعني): انّه سبحانه بعيد عن الخلق، لا بمعنى أنّ بينه وبين الخلق مسافة أعمّ مِنْ أنْ تكون تلك المسافة عقليّة أو حسّية.

فلا مسافة بينه وبين خلقه، لأنّهُ لو كان بينه وبين خلقه مسافة للزم تحديده، لأنّهُ واقع في طرف المسافة، وإذا لزم تحديده لزم تركيبه، لإقامة البرهان على أنّ كُلّ محدودٍ مركّبٍ، وكُلّ مركّبٍ فهو حادث.

فإذن لا يكون القديم محدوداً، فلا يكون بينه وبين خلقه مسافة، عقلية كانت أو حسّية، وكونه بعيداً عن الخلق ومبايناً لهم إنما يكون بذاته، لأنّ ذاته المقدسة لا تكون من سنخ الحوادث أبعد من الحوادث مِنْ كل شيئ.

وكونه مبايناً عن الخلق فإنّما يكون بالبينونة الصّفتية، لا البينونة العزلية، كما عرفت سابقاً، فراجع.

قَالَ عليه السلام: ﴿قَرِيبٌ لا بِمُدَانَاةٍ﴾

(أقُولُ): قرب الأشياء بعضها من بعض لا يتحقق إلاّ بالمداناة، ولما كان الحق سبحانه غير الأشياء، وهو على خلاف الأشياء، كان قربه من الأشياء بلا مداناة، فهو أقرب من الشّيئ إلى الشّيئ، لأنّ فعله سبحانه علّة لوجود الشيئ، والعلّة أقرب إلى الشيئ مِنَ الشّيئ، ولذلك قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]، فهو أقرب إلى الشيئ من الشيئ، لأنّ شيئية الشيئ إنما كان بفعله، ولو فرض عدم تعلّق فعله إليه لما كان الشيئ شيئاً، فكان أقرب إليه منه، وبعين ما هو أقرب مِنْ كلّ شيئ هو أبعد عنه مِنْ كُلّ شيئ.

فقربه عين بعده، وبعده عين قربه، فإذا كان كذلك لم يكن شيئ أقرب إليه من شيئ، لأنّ فعله علّة الأشياء، وهو استوى برحمانيته على عرشه، فأعطى كلّ شيئ خلقه وساق إلى كل مخلوق رزقه فليس شيئ أقرب إليه من شيئ ولا شيئ أبعد عنه من شيئ.

(وإذا عرفت هذا فاعلم): انّه سبحانه بذاته لا يوصف بقرب ولا بعد، وإنما يوصف بفعله، لأنّ القرب والبعد من صفة المتناهي، وهو سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى، وهذا التوصيف -أعني: القرب والبعد- بمعنى واحد، كما عرفت.

---

[1]. ق / ١٧

(ولعلّك تقول): إنّ الظّاهر من بعض الآيات والرّوايات أنّ الأشياء تختلف في القرب والبعد إليه سبحانه، وهو أيضاً كذلك كما قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، فالمفهوم المخالف يحكم بأنّ رحمته بعيدة، بأنّهُ بعيد عن المسيئين، وقال في الحديث القدسي: ﴿لا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَوَافِلِ حَتّى أحِبَّهُ...الخ﴾[2]، فإذا لم يتقرب إليه بالنوافل كان بعيداً عنه، فكيف التوفيق بينهما؟

(أقُولُ): إنّ إفاضة الحقّ على الخلق على حدّ سواء، ولَمّا كان للخلق اعتباران: مِنْ رَبّه، وَمِنْ نَفْسِهِ، أي: لا يكون شيئ إلاّ بالإيجاد والإنوجاد، والإنوجاد عبارة عن قابليته، والقابلية مخلوقة من ايجاده، يعني: من نفسه.

والقابليات في حدّ ذواتها مختلفة، فكان الشيئ يأخذ عن الفيض الإلهي بقدر قابليته، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[3].

وقال الشاعر:

---

[1]. الأعراف / ٥٧

[2]. في الكافي للكليني: عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام قال: (...وَمَا يَتقرّبُ إليّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بشَيئ أحبّ إليّ مِمّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وإنّهُ لَيَتَقَرّبُ إليّ بِالنّافِلَةِ حَتّى أحِبّهُ، فَإذَا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ إذاً سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الّذِي يَنْطقُ بِهِ، وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا، إنْ دَعَاني أجَبْتُهُ وَإنْ سَألَنِي أعْطَيْتُهُ).

◆وفي علل الشرايع للصدوق: عن هشام عن أنس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: (..وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتهل إليّ حتّى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤئلاً، إنْ دعاني أجبته وأن سألني أعطيته) وروي بطرق وألفاظ في كتب عديدة.

[3]. الرعد / ١٨

أرَى الإحْسَانَ عِنْدَ الْحُرّ دَيْنَاً وَعِنْدَ النّذْلِ مَنْقَصَةً وَذَمّا

كَقَطْرِ الماءِ في الأصْدَافِ دُرّ وَفي بَطْنِ الأفَاعِي صَارَ سُمّا

فباختلاف القوابل تحقّق القرب والبعد للخلق بالنسبة إليه سبحانه.

(بمعنى)؛ أنّهُ كلّما نظر إلى نفسه بَعُدَ عن الحقّ، وكلّما قطع النظر عن ملاحظة مشاهدة نفسه شاهد الحقّ، فبهذه الملاحظة كان قريباً من الحقّ، وذلك في التوجّه إلى الحقّ وعدم التوجه إليه، وتنزلات وجود البعض من البعض في سلسلتي الطّول والعرض.

(وبالجملة)؛ إنّ القرب والبعد يتحقّق للخلق بالنّسبة إلَى الحقّ، لا للخلق بالنسبة إلى الخلق.

وسيجيئ زيادة بيان لهذا في بيان كيفية اختلاف القوابل إنْ شاء الله.

قَالَ عليه السلام: ﴿لَطِيفٌ لا يتَجَسّمُ﴾

(أقُولُ): إنّ اللّطيف لما كان من صفة الأجسام، كما أنّ الغليظ من صفة الأجسام، لأنهما متقابلان في اتصاف الجسم بهما.

قال عليه السلام هو: ﴿لطيف﴾ لا بمعنى انّه جسم اتصف بصفة اللطافة، بل هو لطيف لما خلق من الأشياء اللطيفة، كما في رواية فتح بن يزيد الجرجاني قال: ﴿لَقِيتُ أَبَا الحسَنِ عَلِيّ بْنِ مُوسَى الرّضَا عليه السلام عِنْدَ مُنْصَرَفِي مِنْ مَكّةَ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَمِعْتُهُ: مَنِ اتّقَى اللهَ يُتّقَى، وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ يُطَاعُ، فَتَلَطّفْتُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَوَصَلْتُ فَرَدّ عَلَيّ السّلامَ، ثُمّ قَالَ: يَا فَتْحُ؛ مَنْ أَرْضَى الخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ، وَمَنْ أَسْخَطَ الخَالِقَ فَلْيُوقِنْ[1] أَنْ يُسَلّطَ عَلَيْهِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِ، وَإِنّ الخَالِقَ لا يُوصَفُ إِلاّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ (إِلَى أَنْ قَالَ)[2]، قُلْتُ: فَقَوْلُكَ: اللّطِيفُ، فَسّرْهُ لِي فَإِنّي أَعْلَمُ أَنّ لُطْفَهُ خِلافُ لُطْفِ غَيْرِهِ...[3]، غَيْرَ أَنّي أُحِبّ أَنْ تَشْرَحَ لِي؟ فَقَالَ: يَا فَتْحُ؛ إِنّمَا قُلْتُ: اللّطِيفُ؛ الخَلْقُ اللّطِيفُ، وَلِعِلْمِهِ بِالشّيْءِ اللّطِيفِ، أَلا تَرَى إِلَى أَثَرِ صُنْعِهِ فِي النّبَاتِ اللّطِيفِ وَغَيْرِ اللّطِيفِ، وَفِي الخَلْقِ اللّطِيفِ مِنْ أَجْسَامِ الحَيَوَانِ مِنَ الجِرْجِسِ وَالْبَعُوضِ وَمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُمَا لا يَكَادُ تَسْتَبِينُهُ الْعُيُونُ، بَلْ لا يَكَادُ يُسْتَبَانُ لِصِغَرِهِ الذّكَرُ مِنَ الأُنْثَى وَالْمَوْلُودُ مِنَ الْقَدِيمِ، فَلَمّا صَغُرَ ذَلِكَ فِي لُطْفِهِ

---

[1]. في المخطوطة فراغ، وفي الكافي وغيره: فقمن، وفي تحف العقول: فليبقن، وفي مستدرك الوسائل: فليوقن.

[2]. من هنا لا يوجد في الكافي ولا في تحف العقول، وإنما في بحار الأنوار للمجلسي..

[3]. في المخطوطة فراغ وفي بحار الأنوار كلمة: للفصل.

وَاهْتِدَائِه للسِّفَاد وَالْهَرَب مِنَ الْمَوْت وَالجمْع لِمَا يُصْلِحُهُ مِمَّا فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، وَمَا فِي لِحَاء الأَشْجَارِ وَالْمَفَازَة وَالْقِفَارِ وَإِفْهَامِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ مَنْطِقَه وَمَا يُفْهِمُ بِه أَوْلادَهَا عَنْهَا أَوْ نَقْلِهَا الْغِذَاءَ إِلَيْهَا، ثُمّ تَأْلِيف أَلْوَانِهَا حُمْرَة مَعَ صُفْرَة وَبَيَاضٍ مَعَ حُمْرَة، عَلِمْنَا أَنّ خَالِقَ هَذَا الخَلْقِ لَطِيفٌ وَأَنّ كُلّ صَانِعٍ شَيْئٍ فَمِنْ شَيْئٍ صُنْعَ اللهِ، وَالخَالِقُ اللّطِيفُ الجَلِيلُ خَلَقَ وَصَنَعَ لا مِنْ شَيْئٍ﴾[1].

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(وبالجملة) إنّهُ -سبحانه- لطيف بهذا المعنى، لا بمعنى أنّهُ جسم، لأنّ الجسم متناه، وقد اختلف الناس في حقيقة الجسم:

(فجمهور المتكلمين)؛ على أنّ الجسم مخلوق، ومؤلّف مِنْ أجزاء لا تتجزئ، وقد ذكروا لمطلبهم حججاً كثيرة مذكورة في كتب المتكلمين.

(وَمِنْ حُججهم)؛ الكرة الحقيقية إذا وضعت على السطح، فإنّ موضع الملاقاة لو انقسم لوجب أن تكون مضلعة، والفرض أنها كرة حقيقية.

(هذا خلف).

واعترض عليهم بأنّ الملاقاة إنما هي بنهاية الخطوط الخارجية من المركز إلى محيط الكرة وهي نقطة، والنقطة عرض غير منقسم قائم بمحل منقسم، لأنّهُ عرض غير سا،ر فلا يلزم من انقسام محلّها انقسامها.

وعورضوا بالجوهر الواقع بين مثليه، فإنّهُ ذو نهايتين لاقاهما الطرفان، فلا يكون غير منقسم، وإلاّ لزم التّداخل.

---

[1]. الكافي للكليني وتحف العقول للحراني مختصراً والباقي في بحار الأنوار للمجلسي.

(ثمّ إنّ القائلين): بأنّ الجسم مركب من الجوهر الفرد، أعني: الجزء الذي لا يتجزئ، اختلفوا في انّه مركب من:

أجزاء متناهية أو من أجزاء غير متناهية.

والأوّل يذهب إليه الجمهور من المتكلمين.

والثاني مذهب النّظّام وَمَنْ تبعه.

(والحكماء)؛ ذهبوا إلى أنّهُ مركّب من الهيولي والصورة، وهو في الحقيقة شيئ واحد متّصل مع كونه قابلا للإنفصال، والقابل له ليس هو نفس الإتّصال، لأنّ الإنفصال ليس عين الإتّصال بل هو ضدّه، والشيئ لا يجتمع مع ضدّه، ولا يكون قابلاً له، فلابّد له من محلّ يبقى معه، فمحل الإتصال هو القابل للإنفصال، لأنّ القابل يبقى مع وجود المقبول، والإتّصال لا يبقى مع الإنفصال، فلابُدّ منْ قابل للإتصال والإنفصال، والإتصال للقبول هو الصورة، فالجسم مركّب من المادة والصورة، والمادة والصورة متلازمان، فلا يوجد أحدهما بدون الأخرى.

((وبالجملة))؛ فقد طال التشاجر بين الحكماء والمتكلمين في حقيقة الجسم، وأنّهُ مؤلّف من الجوهر الفرد أو هو مركّب من الصّورة والهيولي.

وتفصيل هذا الكلام مشروح في كتب القوم، فَمَنْ أراد الإطلاع عليه فليطلبه في مظانه.

وأمّا وجود الجوهر الفرد، فقد خصّنا الله ببرهان بطلانه مما لا مرد له، والحكماء غفلوا عن ذلك وهو:

إنّ الجوهر الفرد -الذي يقولون إنّهُ هو الجزء الذي لا يتجزّئ- هل هو ممكن أو واجب؟ لا سبيل إلى الثاني، للزوم تعدد القدماء، وهو باطل، لِمَا عرفتَ آنفاً، فانحصر القول بأنّهُ ممكن، والممكن لا يوجد إلاّ بالإيجاد والإنوجاد، فكان مركّباً من الإنوجاد والإيجاد، فلم يكن فرداً، فكان متجزّياً، لحصول هذين الإعتبارين فيه، لأنك مهما لاحظت الجوهر الفرد وجدت فيه هذين الإعتبارين.

وتلك الإعتباران اللذان عبرنا عنهما بالإيجاد والإنوجاد هما ليستا إلاّ المادة والصورة المعبّر عنهما بـ: (الوجه مِنْ جِهَةِ الرّبّ) و(الوجه مِنْ جهة النّفس) فكان هذا مركباً لا مفرداً.

(فإنْ قُلْتَ): إنّ المركب مسبوق بالفرد، فلابُدّ من وجود الفرد حتى يتركب منه، فإذن يلزم وجود الجوهر الفرد.

(قُلْتُ): إنّ هذا المركب مع الفرد، متساوقان في الوجود وليس التّقدم الملاحظ هذا تقدّمًا زمانيّاً، بل التّقدم لا يكون إلاّ بحسب الرّتبة، ونحن نقول بموجبه، ولا يضرّنا ذلك بوجه من الوجوه، فلا يكون فرداً في حقيقته، فلا بسيط في الحقيقة إلاّ الله، وأمّا الخلق فلا بسيط فيهم أبداً، وسيجيئ لهذا زيادة بيان في موضعه إنْ شاء الله تعالى.

((والحاصل))؛ إنّ الممكن بما هو ممكن مركّب من المادة والصّورة، وهو متناه عند وجود علّته، لإحاطة علّته به من جميع الوجوه، فكان محاطاً للعلّة

من جميع الوجوه، وإنْ كان بالنسبة إلى نفسه غير متناه فلا يوصف الله سبحانه بالمخلوق والجسم من جملة المخلوقات فلا يوصف الله بالجسمية، فافهم[1].

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قد كتبت هذه الرسالة امتثالاً لأمر مولانا الأكرم وملاذنا الأفخم عمدة العلماء الأعلام وقدوة الفضلاء الفخام المتمسك بحبل ولاء أهل البيت عليهم الصلوة والسلام ذي الشأن العظيم والقلب السليم جناب الميرزا محمد ابراهيم الشيرازي الحائري، وقد فرغت من كتابتها في صبيحة يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر جمادي الثانية من شهور سنة الرابعة والتسعين بعد المائتين والألف والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وأنا العبد الآثم ابن مصطفى الحسيني الحائري كاظم.

---

[1]. إلى هنا وجد في المخطوطة له تُدَرَّسُ والباقي من كلام الناسخ.

صورة من المخطوطة

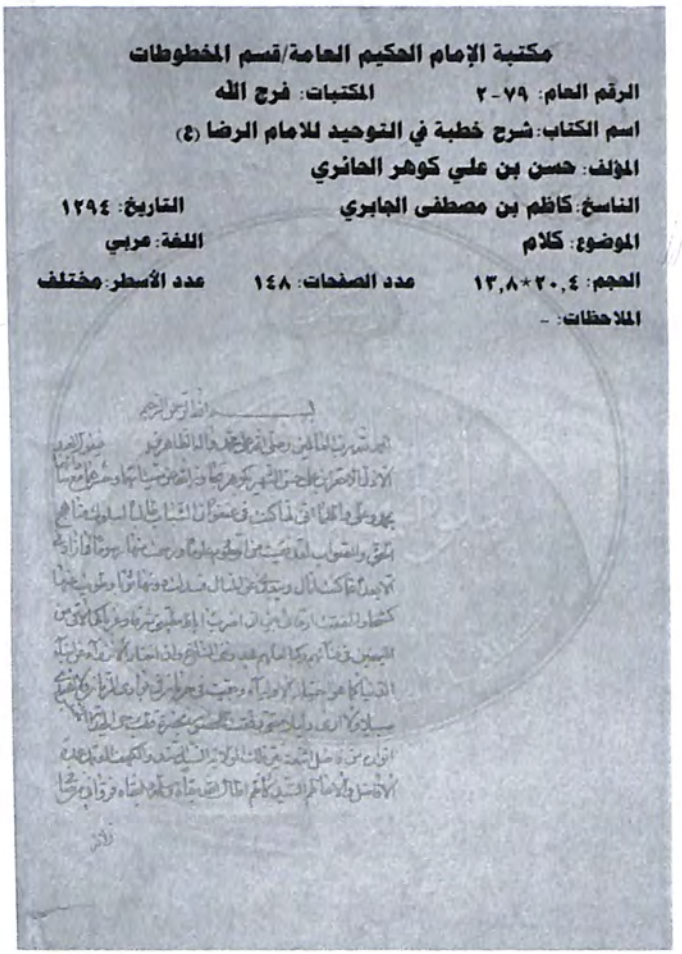

مكتبة الإمام الحكيم العامة/قسم المخطوطات

الرقم العام: ٧٩-٢ المكتبات: فرج الله

اسم الكتاب: شرح خطبة في التوحيد للامام الرضا (ع)

المؤلف: حسن بن علي كوهر الحائري

الناسخ: كاظم بن مصطفى الجابري التاريخ: ١٢٩٤

الموضوع: كلام اللغة: عربي

الحجم: ١٣,٨*٢٠,٤ عدد الصفحات: ١٤٨ عدد الأسطر: مختلف

الملاحظات: -

صورة من المخطوطة

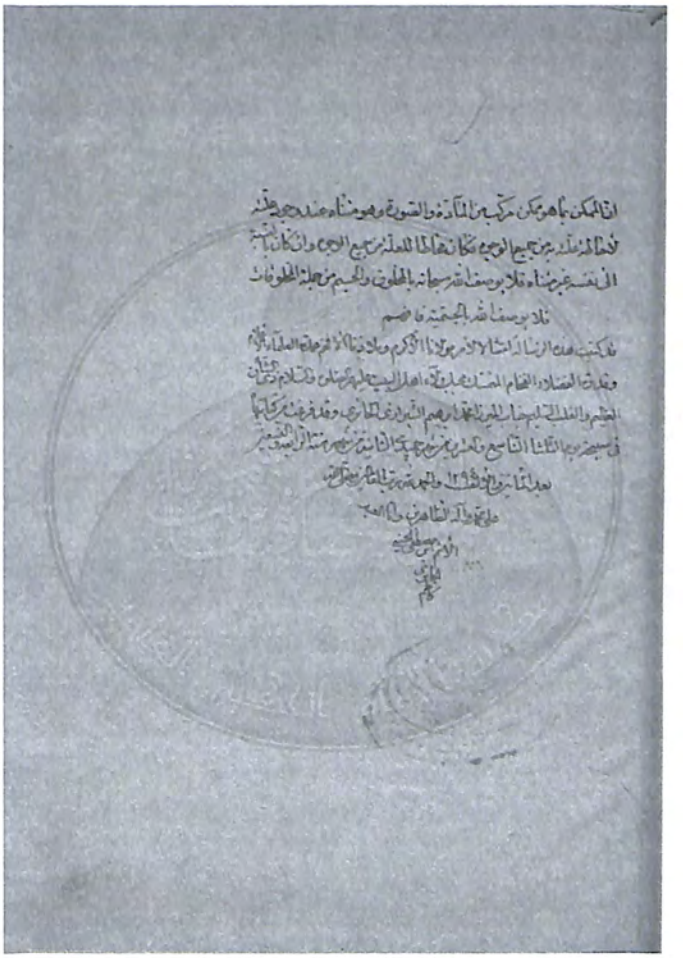

مصادر التّحقيق

القرآن الكريم
الإحتجاج للطبرسي.
أمالي الصدوق.
أمالي الطوسي.
الإقتصاد للطوسي.
الإرشاد للمفيد.
الإختصاص للمفيد.
أعلام الدين للديلمي.
إرشاد القلوب للديلمي.
إقبال الأعمال لابن طاوس
الأسفار للشيرازي.
بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام للطبري الامامي.
البلد الأمين للكفعمي.
بحار الانوار للمجلسي.
بصائر الدرجات للصفار.
التحصين لابن فهد الحلي.
التوحيد للصدوق.
تحف العقول للحرّاني
تهذيب الاحكام للطوسي
تأويل الآيات لشرف الدّين الحسيني
تفسير مجمع البيان للطبرسي
تفسير علي بن ابراهيم الكوفي
تفسير فرات الكوفي
تفسير الصافي لمحسن الكاشاني.
تفسير الاصفى لمحسن الكاشاني.
تفسير الكشف والبيان للثعلبي.

تفسير البغوي
تفسير البيضاوي
تفسير الرازي
تفسير الآلوسي
تفسير ابن كثير
تفسير أبي السعود
تفسير البحر المحيط
تفسير السراج المنير
تفسير اللباب لابن عادل
جنة المأوى لحسين النوري
جامع الاخبار لمحمد بن محمد السبزواري
جامع الاسرار لحيدر الآملي
الجواهر السَنيّة في الأحاديث القدسية للحر العاملي
الخصال للصدوق
دليل المتحيرين لكاظم الرَشتي.
الذريعة لمحسن الطهراني
روضة الواعظين للنيسابوري
رسائل الكركي علي بن الحسين الكركي ت ٩٤٠ هـ
رسائل كاظم الرشتي
الرواشح السماوية للداماد
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي
شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم البحراني
شرح الفوائد لأحمد الأحسائي.
شرح أصول الكافي للمازندراني.
شرح الزيارة الجامعة لعبد الله الشبر
الصحيفة السجادية.
علل الشرايع للصدوق
عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي(قرن السادس)
عوالي اللالي لابن ابي جمهور الاحسائي

عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق
فرائد الأصول للأنصاري
فضائل الشيعة للصدوق
قرة العيون لمحسن الكاشاني ت ١٠٩١ هـ
كنز الفوائد للكراكجي
الكلمات المكنونة لمحسن الكاشاني
الكافي للكليني
الكشكول للبهائي ت ١٠٣١
كامل الزيارات لابن قولويه
نهج البلاغة جمع السيد الرضي.
مصباح المتهجد للطوسي
مشارق انوار اليقين للبرسي
من لا يحضره الفقيه للصدوق
المحاسن للبرقي
مناقب آل ابي طالب لابن شهراشوب (ت٥٨٨)
المناقب للخوارزمي
المزار الكبير لمحمد بن المشهدي
متشابه القرآن لابن شهر آشوب
مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام
مجموعة ورّام لورّام بن أبي فراس
منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي
ملحق نهج البلاغة لاحمد بن ناقة الكوفي
معاني الأخبار للصدوق.
مشرق الشمسين للبهائي.
المراقبات لجواد آغا الملكي التبريزي.
مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي
مصباح الكفعمي
المخازن لحسن كوهر.
المزار للمفيد

مستطرفات السرائر لابن ادريس الحلي
مستدرك الوسائل للنوري
مجمع البحرين للطريحي ت ١٠٨٥
المؤمن للحُسَينِ بنِ سَعيدِ الكُوفيّ
مخطوطة تاريخها ٩٤٠ هـ (قرن عاشر)
الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي..
وغيرها من المصادر.

الفهرس

- الإهداء ٥
- مقدمة التحقيق ٧
- موجز سيرة المؤلف ٩
- أوّلُ عِبادَةِ اللهِ مَعْرِفَتُهُ. ١٩
- وَأصْلُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَوْحِيدُهُ. ٢٤
- نظام توحيد الله نفي الصّفات عنه ٢٨
- لشَهادَةِ الْعُقُولِ أنّ كُلّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٍ ٢٩
- وَشَهادَةِ كُلّ مَوْصُوفٍ انّ لَهُ خالِقاً لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلا مَوْصُوفٍ. ٢٩
- وَشَهادَةِ كُلّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالإقْتِرانِ ٢٩
- وَشَهادَةِ الإقْتِرانِ بِالْحَدَثِ. ٢٩
- وَشَهادَةِ الْحَدَثِ بِالإمْتِناعِ مِنَ الأزَلِ الْمُمْتَنِعِ مِنَ الْحَدَثِ. ٢٩
- فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته. ٣٣
- ولا إيّاه وحّده من اكتنهه. ٣٣
- ولا حقيقة أصاب من مثله. ٣٤
- ولا به صدّق مَنْ نَهّاهُ. ٣٤
- ولا صمد صمده مَنْ أشار إليه. ٣٥
- ولا ايّاه عَنَى مَنْ شَبّهَهُ. ٤١
- وَلا لَهُ تَذَلّلَ مَنْ بَعّضَهُ. ٤٧

- وَلا إيّاهُ أرادَ مَنْ تَوَهَّمَهُ. ٥٠
- كُلّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ. ٦٣
- وَكُلّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. ٦٩
- بِصُنْعِ اللهِ يُسْتَدَلّ عَلَيْهِ. ٧٢
- وَبِالْعُقُولِ نَعْتَقِدُ مَعْرِفَتَهُ. ٧٣
- وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجّتُهُ. ٧٧
- خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ حِجَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. ٨٥
- وَمُبَايَنَتُهُ إيّاهُمْ وَمُفَارَقَتُهُ إنّيّتَهُمْ. ١٠١
- وَابْتِدَاؤُهُ إيّاهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أنْ لا ابْتِدَاءَ لَهُ.. ..... ١٠٩
- وَأدَاتُهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أنْ لا أدَاةَ لَهُ... ..... ١١٣
- فَأسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ. ١١٥
- وَأفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ. ١٢٩
- وَذَاتُهُ حَقَائِقُهُ. ١٤٤
- وَكُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَغُيُورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ. ١٤٥
- فَقَدْ جَهِلَ اللهَ مَنِ اسْتَوْصَفَهُ. ١٥٢
- وَقَدْ تَعَدّاهُ مَنِ اشْتَمَلَهُ. ١٧٥
- وَقَدْ أخْطَأهُ مَنِ اكْتَنَهَهُ. ١٨٠
- وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدْ شَبّهَهُ. ١٩٠
- وَمَنْ قَالَ: لِمَ؟ فَقَدْ عَلّلَهُ. ١٩٣
- وَمَنْ قَالَ: مَتَى؟ فَقَدْ وَقّتَهُ. ٢٠٣

- وَمَنْ قَالَ: فِي مَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ. ٢٠٥
- وَمَنْ قَالَ: إِلَى مَ؟ فَقَدْ نَهَاهُ. ٢٠٧
- وَمَنْ قَالَ: حَتَّى مَ؟ فَقَدْ غَيَّاهُ. ٢٠٧
- وَمَنْ غَيَّاهُ فَقَدْ غَايَاهُ، وَمَنْ غَايَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ. ٢٠٨
- وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ وَصَفَهُ، وَمَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ أَلْحَدَ فِيهِ. ٢٠٨
- وَلَا يَتَغَيَّرُ اللهُ بِانْغِيَارِ الْمَخْلُوقِ ٢٠٩
- لَا يَتَحَدَّدُ بِتَحْدِيدِ الْمَحْدُودِ. ٢٠٩
- أَحَدٌ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ. ٢١٢
- ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ. ٢٢٠
- تَجَلَّى لِعِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْهُ. ٢٢٣
- بَاطِنٌ لَا بِمُزَايَلَةٍ. ٢٤٠
- مُبَايِنٌ لَا بِمَسَافَةٍ. ٢٤٤
- قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ. ٢٤٥
- لَطِيفٌ لَا بِتَجَسُّمٍ. ٢٤٨
- مصادر التحقيق. ٢٥٥
- الفهرس ٢٥٩

الأوحد

حوزة ومكتبة ودار الأوحد للثقافة والطباعة والنشر
النجف الأشرف ٠٧٨٠١١٣٥٧٥٦